طبعة ثالثة

شهر الموت

MONTH OF DEATH

بدر رمضان



الكتـــــاب: شهر الموت
اسم المـــؤلف: بدر رمضان
تصميم الغلاف: عبدالله رجب
المراجعة اللغوية: مها سيد
الطبعـــــة: فبراير ٢٠٢٠
رقم الإيـــداع: 2020 / 2240
الترقيم الدولي: 978 - 977 - 779 - 303 - 2
الإخراج الفنـي: مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله
dreidibrahim@gmail.com



العنوان: 10 ش هدى شعـــــراوي، وســـط البــــلد، القاهــــرة
هاتف: 0223909119 - موبايل: 01001631173
البريد الإلكتروني: ibda3bookstore@gmail.com



الإهــداء

بعد تفكير عميق قررت أن..

أُهدي روايتي السادسة إلى كل من سيقتنيها ..

لذا وجب التنويه:

تذكروا جيدًا أن "شهر الموت" روايةٌ لا تُقرأ..

بل تُعاش...

مقدمة

وفجأة انتقلت لمكان آخر في زمن آخر، فوجدت أمامي ثعباناً لم أرَ في حجمه قط! يلف جسده الملتوي جلد يحوي وشوماً سوداء، بها حروف لاتينية قديمة! اقترب مني ذو الأسنان المعقوفة للخلف وهو يخرج لسانه المشقوق بفحيح، جعل أنفاسي تتسارع برعب شديد.

للخلف عدت.. وعدت حتى التصق ظهري بالجدار وهو ما زال يقترب مني برأسه المرفوعة وعينيه الطوليتين السوداويتين وفحيحه يصم أذني، لف جسده حولي وأنا أصرخ به أن يبتعد، لكنه لم يأبه لصراخي.

اقتربت أسنانه من شُرياني النابض فتوقف قلبي عن الهدر وعاد لطبيعته وأنا أقول:

-ابتعد أيها الباثون ولا تؤذني بأنفاسك السامة، وقِف خاشعاً خاضعاً وإلا اعتبرتك من العاصين.

توقف الثعبان وابتعد عني، ثم تحول في لحظة إلى رجل ضخم جميل الوجه، طويل الشعر يكسو جسده وشوم كثيرة، أعطته مظهراً يخطف الأنفاس!

نفضت رأسي بعدم تصديق، فقد خرجت هذه الكلمات من فمي بلغة الثعابين التي لم أعرف عنها قط؟!

اقترب مني بنظرة غريبة متفاجئة، تخبرني أن الأسوأ قادم، وبلهجة غريبة ردد بصعوبة:

-نحن ننتظرك منذ سبعة قرون!

*****

اليوم الأول

١-أكتوبر

ومضات من خلف الزجاج يتبعها صوت صرير يأتي من فتحات صغيرة في شرفتها، جعلها تدرك أن هناك شيئاً غريباً يحدث، تركت دفتر يوميتها الذي لم تخُط به كلمة بعد، لتجد الساعة انطلقت بصفير مميز يُخبرها أنها أصبحت الثانية عشر منتصف الليل.

نظرت تجاه زجاج الشرفة ووقفت لتخطو نحوه؛ لكنها لم تجد شيئاً!

لقد توقف الصرير الذي اعتبرته من فعل الرياح، ولم ترَ أي ومضات تضيء، فعادت للجلوس وأمسكت بدفترها ثانية لتُسجل به، ثم ألقت نظرة على التقويم لتبتسم:

"اليوم هو الأول من شهر أكتوبر، كان صباح اليوم عاديًا للغاية بالنسبة إليَّ على الأقل؛ لكنه دائماً ما كان مختلفاً عند والداي، ذهبت للعمل صباحًا بنشاطٍ اعتيادي؛ لكني شعرت اليوم بشيء غريب وكأن أحدهم يراقبني في كل حركة وسكنة؛ لكني لم أرغب في إعطاء الأمر جزء كبير

من انتباهي، بالإضافة لأمي التي كانت مضطربة الفكر، شديدة العصبية تحذرني بشكل مستمر بالانتباه لنفسي، (كعادتها عند آخر يوم من شهر سبتمبر حتى يوم عيد مولدي تظل على هذه الحالة).

لقد تشاجرنا في الصباح على سبب تافه للغاية، جعلني طوال العمل أفكر بما يدور في عقلها، ولذلك حاولت عند عودتي التحدث معها، لكنها أبت أن تبوح لي عما بداخلها، لكن عينيها كانتا مخيفتين وتنظر لي بحذر شديد وكأنها تختبر شيئاً ما ولذلك قد... ".

عادت الومضات وصوت الصرير في الازدياد فهرولت نحو الشرفة لتفتحها على عجل، ثم نظرت للسماء فوجدت شهاباً يسقط بسرعة فائقة في نهر "فلتافا" المميز.

ابتسمت بسعادة وهي تضع دفترها على المنضدة بجوارها وفوقه عويناتها لتعود للشرفة تُغمض عينيها لتتمنى كما تقول "الأسطورة" نسمات هواء لطيفة أصبحت تداعب شعرها الحريري القصير، لكنها توقفت قليلًا وفتحت عينيها الزمرديتين اللتين تُشبهان حجر العقيق النادر، لتُفكر أنها لا تملُك أمنية واحدة حتى الآن!

دخلت أمها الغرفة دون أن تطرق بابها ويبدو على وجهها

الذعر الشديد، التفتت نحوها بفزع لتركض تجاهها قائلة:

-ما بكِ يا أمي؟!

أجابتها بالعربية -التي حرمت عليها التكلم بها منذ أن كانت في الخامسة من عمرها -وقد لمحت ارتعاش حدقتيها برعب واضح وهي تأمرها:

-اتبعيني.

خرجت من الغرفة بخطوات سريعة لتحاول مجاراتها، حتى وصلت لباب المنزل الخارجي، خرجت من المنزل وابنتها خلفها تتساءل عما يفعلون بالخارج في هذا الطقس الذي أصبح باردًا في هذا الوقت من السنة، لم تُجبها والدتها والتفت حول المنزل تتفحصه بعينيها بحذر، حتى وصلت للغرفة الموجودة في الحديقة الخارجية للبيت، فتحت الغرفة الخاصة بأدوات الزراعة الموجود بها آلة جز العشب وبعض أدوات الري، دلفت للداخل بعدما أشارت لها أن تلحق بها، بتعجب دخلت الغرفة تنظر حولها بترقب حتى انحنت أمها لتُزيل السجادة المفروشة في أرضية الغرفة ليظهر تحتها باب مثبت في الأرضية الخشبية، أخرجت والدتها مفتاحاً ذهبي اللون غريب الشكل من جيبها، لتفتح القفل الموجود على الباب.

أزاحت الباب ليصدر صريراً انزعجت هي له، لتلتف أمها بظهرها وتنزل على السُلم المعدني، الذي انفتح بمفرده ليسقط واقفًا بالأسفل، نظرت لها والدتها وما زالت ملامحها تتسم بالارتياع الشديد وهو تقول:

-الحقي بي!

ابتلعت ريقها بصعوبة وقد امتلأ قلبها بالخوف مما يحدث، ووالدتها ترفض الحديث عن أي شيء؛ لكن ليس أمامها حلٌ سوى الانصياع لأوامرها حتى تفهم ما يحدث!

ترجلت بقدميها على السُلم المعدني الطويل والظلام الدامس أصبح محيطًا بها، لتسمع وقع قدمي أمها بالأسفل ثم رأتها تتوجه لمفتاح الإنارة ليمتلئ المكان بالضوء، وصلت للأسفل لتجحظ عيناها بذهول وهي تردد:

-ما هذا؟!

أجابتها أمها بصوت مرتعش:

-هذا تاريخ عائلتك، وقد حان الوقت لتطلعي عليه بأكمله.

اقتربت من المكتبة الكبيرة التي تُحيط بالغرفة الدائرية، لتجد كُتباً كبيرة الحجم وفوق كل كتّاب يوجد ورقة مدون عليها تاريخ، توجهت ناحية البداية لتجد الورقة قد اصفر لونها بفعل الزمن مدون عليها (ما بعد الطوفان)

لتنتهي المكتبة بالورقة الصفراء نفسها المدون عليها تاريخ (١٢٩٥)، اقتربت منها والدتها لتهمس لها من الخلف وهي تُشير ناحية البداية:

-ابدأِ من هنا.

ثم تركتها وتوجهت نحو السُلم لتصعد للأعلى، أوقفتها متسائلة:

-إلى أين تذهبين؟!

أجابتها وهي تصعد الدرج:

-يجب أن تكوني بمفردك، لا تصعدي سوى في الصباح وحاولي التركيز في كل معلومة ستصلك، لأنك ستحتجينها في وقت قريب.

تعجبت من حديث والدتها وقبل أن تسألها ثانية عن

مدى أهمية هذه الكُتب، سمعت صوت الباب الموجود في السقف يُغلق بالقفل كما كان، التفتت نحو المكتبة الكبيرة تطالع ما بها بدهشة ارتسمت على وجهها، ثم رفعت يديها لتلتقط الكتاب الذي أشارت لها أمها أن تبدأ به، كادت أن تهوى أرضًا من ثقله على يديها فلم تكن تعرف أنه ثقيل الوزن هكذا، حاولت حمله قدر ما استطاعت لتضعه على المنضدة الخشبية الموجودة في طرف الغرفة، ثم رفعته ثانية لتضعه على حامل معدني صدأ بفعل الزمن كان يستند على المنضدة، بدأت تسعل من رائحة العطب التي انهالت عليها عندما وضعت الكتاب لتتناثر عليها الأتربة بكثافة، خففت من صوت سعالها وهي تضيق عينيها تتأمل غلاف الكتاب الجلدي، بني اللون لتُصيبها الحيرة من عدم وجود اسمًا عليه، جرّت الكرسي الجلدي الكبير لتنفض الأتربة من فوقه وتجلس عليه أمام المنضدة، فتحت الكتاب بهدوء لتشهق بفزع وهي ترى الصور المدونة في صفحته الأولى تتحرك، وكأنها حية ليبتلعها الكتاب بداخله، ولم تستطع سوى إطلاق صرخة مدوية!!!

*****

سقطت دمعة من عينيها التقطتها بسرعة عندما سمعت صرخة ابنتها وهي تفتح باب المنزل الخلفي لتدلف للداخل، صعدت الدرج على مَهل وهي تُفكر في مصير ابنتها

المجهول، كم كانت تتمنى وجود زوجها في هذه اللحظة، مؤكد كان سيستطيع معرفة ما يجب فعله، وصلت لغرفتها لتفتحها بحذر، تتفحص أركانها سريعًا حتى وجدت دفتر يوميات مُلقى على المنضدة بجوار النافذة، التقطت الدفتر وجلست على الفراش فتحت صفحته الأولى وهي تقرأ ما كُتب به بصوت خافت:

"بعد عدة سنوات عشتها في كوابيس مستمرة لا تنتهي، نصحني أقرب الناس لي أن أذهب لطبيب نفسي، وبالفعل ذهبت ونصحني الطبيب بدوره أن أدون كل مشاعري وانفعالاتي بدفتر صغير ووقتها سأشعر بتحسن، على كل حال سأفعل ما طلبه مني وسأبدأ كتابة يومياتي..

اسمي "آنا" أبلغ من العمر خمسة وعشرين عامًا، أعيش مع والدتي بمفردنا بعدما توفي والدي منذ ثلاثة أعوام، عربية الأصل؛ "متعددة الجنسيات" أعيش الآن في مدينة "براغ" أجمل مدن العالم من وجهة نظري، هاجرت عائلتنا من موطننا الأصلي "العراق" لمِصر وذلك منذ قرون كثيرة، هكذا أخبرني والدي عندما أردت معرفة موطننا الأصلي، وبعدما ولدتُ أنا بدأت هجرتنا لأكثر من خمس دول غربية، لتبدأ من فرنسا مرورًا بإنجلترا وهولندا والسويد لنستقر في التشيك منذ خمسة أعوام فقط قبل وفاة والدي بعامين.

كان والدي دائم الهجرة فلم يمكث في دولة من الدول الخمس أكثر من خمس سنوات وتحديدًا قبل عيد مولدي يتم الانتقال، تعجبت كثيراً لهذا الأمر وعندما سألت والداي عن السبب لم يخبراني بشيء.

حتى أخبرني "إيدين" ذات يوم أننا نهاجر كثيراً خوفًا من أن نُقتل، ركضت يومها لوالداي اللذين هدرا بي أن لا أتحدث بهذا الأمر مطلقًا، ومن بعدها عوقب "إيدين" بالحبس في المنزل لمدة أسبوعين، ومن وقتها لم يتحدث بالأمر ثانية وذلك منذ ثلاثة عشر عامًا، أمنيتي كانت أن أصبح طبيبة بيطرية وقد حدث، وأصبحت من أشهر أطباء المدينة الآن، لم يكن لدي أصدقاء مقربون لكثرة تنقلاتنا؛ لكن لي زملاء كثيري في كل بلد كنت أعيش بها.

ارتبطت بالرجل الذي طالما أحببته، صديقي المفضل وابن عمي والأقرب لدي "إيدين" لم يكن لي أحد غيره، وذلك لترابط عائلتينا حتى في الانتقال من بلد لبلد، له أخت وأخ لم أكن قريبة منهم بشكل كافٍ؛ لكني أحبهما على أية حال، تمت خطبتنا قبل وفاة والدي مباشرة ومن وقتها ووالدتي تؤجل زواجنا بحجج مختلفة وواهية، والغريب في الأمر أن "إيدين" وعائلته يؤيدون قرار والدتي

لسبب لا أفهمه حقًا، لذلك أنا أشعر باستياء شديد منهم جميعًا...".

توقفت "كوبا" عن القراءة وهي تشعر بالضيق الشديد على ابنتها، ثم أمسكت بالقلم وتخطت الصفحات المكتوبة في دفتر اليوميات حتى وصلت لصفحة فارغة، وبدأت تخط بيدها رسالة تحمل معانٍ كبيرة لن يفهمها سوى ابنتها إن عادت بخير من رحلتها المحتومة!

*****

فتحت عينيها فوجدت نفسها تقف في بهو حديقة قصر كبير، التفت حول نفسها بتعجب، وقد بلغت الدهشة منها مبلغها، لقد انتقلت للصورة الموضوعة في الكتاب الكبير لتتحرك الشخوص من حولها وكأنها تعيش معهم.

ركضت سيدتان من جانبها يتضاحكان بصوت رنان وكأنهم لا يرونها، خطت خلفهم بخطوات واسعة لتجدهما ينضمان لبضعة سيدات أخريات يلتفون حول بحيرة صغيرة الحجم تنتصف الحديقة.

اقتربت تتأمل ملابسهن الغريبة لتجدهن يلففن حول جسدهن قطعة قماش حريرية بألوان مختلفة، يربطونها على

خصرهن بحزام ذهبي اللون يتدلى منه عدة وحوش مختلفة تلتف حول الحزام الجلدي، بدأن بخلع أثوابهن لتُصبح أجسادهن عارية تمامًا، لينطلقن داخل البحيرة وما زالت ضحكاتهن تُجلجل الحديقة، وقفت أمامهم مباشرة لتجد رجلًا طويل البنية نحيف الجسد يرتدي قطعة قماش من الفرو الكثيف، يلفُها حول خصره وحوله عدد لا بأس به من الجنود، أزال القطعة التي تستر عورته ثم نزل في وسط البحيرة لتلتف النساء حوله بضحكات ماجنة في مشهد إباحي، جعلها تلتفت موالية ظهرها لهم، حتى رأته يأتي بخطوات ثابتة وقوية تنافي هيئته.

عجوز أحدب يُمسك بعصاة خشبية غريبة الشكل، منقوشة بحروف مزخرفة لا تعرف معناها، يرتدي ملابس سوداء مهلهلة ومقطعة ويقترب منها ببطء شديد.

ضيقت عينيها بترقب لتجده ينظر لها مبتسمًا وكأنه يراها، عيناه تحولت للأسود القاتم بعدما اختفت حدقتيه تمامًا في مشهد مرعب للغاية.

انقبض صدرها وتعالت دقات قلبها فزعًا، ووضعت كفها على فمها تكتم صراختها وهو يقترب منها لترتعد فرائصها بذعر إلى أن تخطاها الرجل نحو البحيرة.

تتبعته بعينيها ولم تجرؤ على الاقتراب منه لتسمعه يوجه حديثه للرجل الذي من الواضح أنه مالك هذا القصر الكبير:

-أأنت الرجل الذي يتطلع لحُكم الأرض ومن عليها؟!

نظر له الرجل بغضب، ثم بدأ ينهر الجنود حوله بصراخ شديد وهو يتسأل:

-كيف دخل هذا العجوز الخرف إلى هنا؟!

أصاب الرعب حراسه ليركضوا نحو الرجل العجوز يقيدونه بالحبال، حتى خرج الرجل من البحيرة يلف نفسه بالقطعة التي كان يرتديها سابقًا وهو يهتف بالجنود:

-اذبحوا هذا الرجل على الفور.

لم يتردد الجندي للحظة وهو يستل سيفه لينحر عنق الرجل، بينما نظر صاحب القصر للنساء اللاتي وقفن في البحيرة والرعب بادٍ على وجوههن ليُكمل:

-واذبحوا هؤلاء أيضًا.

ثم تمتم وهو يدلف للداخل متجاهلًا صرخات النساء التي ملأت البهو:

-لن يخرج أحد من هنا قد سمع هذه الإهانة.

ركضت آنا خلفه وهي تضع كفيها على أذنها، وتترك البهو الذي امتلأ بالصُراخ والعويل لتصعد معه لغرفته فوجدت العجوز الذي ذُبح منذ قليل يجلس على المقعد بالغرفة التي صعدوا لها، وقف صاحب القصر الكبير ينظر للعجوز بذهول شديد وهو يلتفت حوله، لقد رأه وهو يُذبح منذ لحظات!!

ردد بصوت مرتجف:

-من أنت؟!

أجابه العجوز بعدما رمق آنا بنظرة جانبية:

-أنا... أنا أمير النّور يوم خُلق النّور، فإذا أردت أن تحكُم الأرض وما عليها يجب أن تراني على هيئتي الحقيقيّة.

ارتبك صاحب القصر ليهتز جسده أمام عينيها وهو يقول:

-حسنًا! أرني هيئتك الحقيقية.

خلع الرجل ثيابه السوداء ليتضخم حجمه أضعافاً حتى وصلت رأسه للسقف المرتفع عنه بعدة أمتار، شهقت آنا بفزع، بينما وقف صاحب القصر جاحظ العينين، ليكسو الشعر جسد العجوز ويُصبح وجهه مُخيفاً للغاية، تردد صدى صوته الغليظ في جانبي الغرفة وهو يقول للرجل:

-أتريد أن تُصبح حاكماً للأرض بأكملها، ولا أحد يستطيع منافستك على المُلك؟!

هز الرجل رأسه بإيجاب واتسعت ابتسامته ليُخبره العجوز الذي أصبح بهيئة جني:

-اسجد لي الآن وسأجعلك ما تتمناه.

ودون تردد انحنى صاحب القصر على ركبتيه ووضع رأسه بين قدمي الجني ليردد الأخير:

-أنت أول رجل يقوم ببيع روحه لي مقابل السلطة والمال!

نهض صاحب القصر ليضم حاجبيه وينتظر أن يعطيه

ما قاله، ليفاجئه الجني بلفافة كبيرة منقوش عليها كلمات باللغة السومارية القديمة مخطوطة بالدماء قائلًا:

-اكتب اسمك هنا بدمائك.

أمسك صاحب القصر سكيناً كانت موضوعة على المنضدة في طبق كبير يحوي عدة أنواع من الفاكهة، ليجرح إصبعه بعمق حتى سالت دماؤه ليكتب بها اسمه أسفل المخطوطة "النمرود".

تشكلت الحروف لتلتصق ببعضها البعض حتى خرجت من اللفافة نحو رأس النمرود لتستقر داخل عقله ليُمسك الجني بعدها يد النمرود قائلاً:

-سأعلمك الآن السحر الذي من خلاله ستمتلك الأرض ومن عليها ولن يستطيع أحد الوقوف أمامك، لكن قبل ذلك يجب عليك أن تُضحى بأقرب الناس إليك.

وقف النمرود حائرًا ليصدمه الجني بقوله:

-يجب عليك أن تقتل والدك!

ظهرت الدهشة جلية على وجهه ليتردد قليلًا قبل أن

يقول له الجني:

-لا وقت لدي لضعفك هذا لو لم تقتل والدك بيدك الآن سوف اذهب من هنا ولن تراني ثانية.

أمسك النمرود السكين التي جرح بها إصبعه وذهب لغرفة والده لتتبعه آنا ومن أمامهم الجني، وصل الغرفة وهو يضع السكين خلف ظهره خافياً إياه ليأمره والده بالاقتراب حتى يُبلغه بأمر مهم.

اقترب منه النمرود ودون تردد غرس السكين بقلبه لتصرخ آنا بفزع فسقط والده، ينظر له بذعر كبير وهو لا يفهم لما طعنه ولده، جلس النمرود على ركبتيه بجوار والده قائلًا له بثبات تعجبت له آنا:

-سامحني يا أبي، لكن كان يجب عليَّ قتلك حتى أحكم الأرض.

ثم تركه وخرج من الغرفة ليبتسم له الجني، وهو يمد يده إليه ليتمسك بها النمرود حتى انتقل به لمكان لم تستطع آنا أن تتبعهم إليه،

نزلت من على الدرج تشعر بحزن شديد وقد تملكها

الخوف والرعب مما يحدث لها،

ذهبت نحو البهو الذي كانت به منذ قليل، لتحاول تجنب رؤية النساء المقتولين في البحيرة، تفاجأت بعدم وجود أثر لهم، فركضت نحو البوابة الكبيرة لتخرج منها لكنها لم تستطع، مجرد ما إن اقتربت من البوابة حتى اختفت!

شعرت بشيء غريب يسحبها لينتقل بها لقصر أكبر مما كانت فيه.

وجدت النمرود يصرخ بشدة وصوته يرج القصر رجًا، لينهال عليه جنوده بالضرب على رأسه بالمطارق حتى سقط مغشيًا عليه، ظلت تبحث عن مخرج بعدما أصابها الهلع مما رأت، لتجد بابًا كبيرًا أمامها، لم تتردد لحظة في الخروج منه لتجد نفسها أمام محراب للهيكل كبير وفي وسطه برج ضخم طويل وعريض، ويرتفع فوق هذا البرج برج آخر ويرتفع على هذا الأخير من جديد برج آخر، حتى يصل العدد إلى ثمانية أبراج، وقد بني الدرج الذي يرقي إليه من الخارج بشكل لولبي يحيط بكل الأبراج.

نظرت له بتعجب شديد وعلى الفور عرفت أنها في منشأها الأصلي "العراق" وهذا هو برج "بابل" الكبير الذي أراها له والدها عبر صور قديمة كانت دومًا معه، وجدت

رجلًا عجوزً يجلس في وسط البرج في استراحة خاصة به،

ضيقت عينيها بتعجب وعلت نبضات قلبها خوفًا من أن يكون الجني، رفرفت أهدابها لتتأكد من وجهه لكنه قد اختفى، ظلت تلتف حول نفسها لتسمعه من خلفها يهمس لها:

-لا تخافي يا ابنتي فأنا لست الشيطان الذي رأيته.

التفتت نحوه ترتعد خوفًا وهي تسأله بعدم تصديق:

-أنت تُحدثني؟! هل حقًا تراني؟!

ابتسم لها بود فارتاح قلبها لرؤية وجهه السمح شديد البياض، الذي به من الراحة ما جعلها تُنصت له وهو يُحدثها:

-أنا جدك ابن جدك ابن جدك هذا الجزء الخاص من القصة كان بقلمي، ولذلك أنت هنا بناءً على رغبتي.

شعرت بدوار شديد يلفها من حديثه، وقبل أن تتساءل أكمل هو:

-لا تقلقي ستعودين حين تصلين للمطلوب.

لكن احذري فالخيط بين الخير والشر رفيع جدًا لا تقعي في الفخ، ثم اختفى من أمامها وصوته ما زال يتردد صداه:

-لا تصدقيه فهو كاذب، اتبعي قلبك يا آنا.

ظلت تنادي عليه:

-أين ذهبت؟! أنا لم أفهم شيئًا؟! انتظر أخرجني من هنا.

لم تتلقَ إجابة!!

فاستمرت في المشي والناس يلتفون حولها دون أن يروها وهي تتأمل وجوههم وأجسادهم وملابسهم بعجب، هاتان فتاتان صغيرتان تركضنا خلف بعضهما البعض ويتضاحكان بمرح طفولي افتقدته منذ سنوات طويلة، وهؤلاء بضع سيدات يحملن وعاءً معدنياً فوق رؤوسهم ويتوجهن نحو البرج، وعلى الجانب الآخر مجموعة من الرجال يحملون أوعية من القماش الكبيرة يضعونها على حاملات خشبية ويجرونها للأمام.

شعرت بالتعب الشديد فقررت الجلوس على إحدى

المصاطب الحجرية وقد شعرت بالدموع توخز عينيها لتبدأ في التساقط، وهي تحس بضعف جسدها الشديد، جلس بجوارها دون أن تشعر به ليقترب من أذنها قائلًا:

-لا تبكي فأنا أشعر بالضعف تجاه دموع النساء.

شهقت بفزع لتستدير نحوه وهي تلتفت حولها لتتأكد أنه يحدثها هي، ابتسم لها وعيناه الزرقاويتين تلمعان في ضوء الشمس الذي بدأ بالخفوت، هزت رأسها بتعجب وهي تُجفف دموعها لتسأله بلهفة:

-من أنت؟! وكيف تراني؟!

أجابها بثقة شديدة:

-أنا من سينقذك من هنا.

تهلل وجهها بالسعادة رغم عدم شعورها بالارتياح، ليُكمل هو قائلًا:

-لكن عليكِ أولًا أن تعديني!

بحماس شديد أجابت:

-أعدك! لكن على ماذا؟!

شعرت بذبذبات جسده المفتول بجوارها وهو يقول لها:

-ألا تتركيني، حتى وإن عدتِ لزمانك.

شعرت بالحرج من تلميحاته لتبادر بالقول:

-لكني مخطوبة لرجل أحبه وسأتزوجه.

علت صوت ضحكاته فنظرت حولها فلم تجد أحداً يراهم أو حتى يشعر بهم،

فأعادت النظر إليه وهي تضُم حاجبيها بتعجب، فرأت عين أحدهم ترمقها من بعيد فلفت انتباهها وهي تطلع نحوه باهتمام، وقد انكمشت ملامحها وضمت حاجبيها مما جعل الشاب الذي أمامها ينظر خلفه ليرى ما الذي جعله تشرد هكذا، لكن للعجب لم يجد شيئاً!

سألها باهتمام:

-على من تنظرين؟!

هزت رأسها نفيًا:

-لا شيء.

ضم كفيه ببعضهما ليسألها بصوت أجش:

-حسنًا هل اتخذتِ قرارك؟!

كادت أن توافق؛ لكن قلبها أبى وما زالت كلمات جدها العجوز تتردد في أذنها "اتبعي قلبك".

حاولت أن تُفكر جيدًا فيما يحدث وهل عليها أن تظل جالسة داخل هذا الكتاب؟!

أنار عقلها بفكرة عرضتها عليه:

-أنا موافقة؛ لكن لن أعدك إلا وأنا في بيتي.

رسم الحزن على وجهه وهو يردد:

-ألا تثقين بي؟!

أجابته بمنطقية عجز هو عن الرد عليها:

-أنا لا أعرف من أنت حتى أثق بك!

ابتسم لها وهو يمد يده إليها قائلًا:

-حسنًا هيا بنا، وستعرفين من أنا.

ترددت للحظات، لكن نظراته شجعتها على التمسك بيده، لتُغمض عينيها باستسلام فوجدت نفسها في الغرفة التي تمتلئ بالكتب، ابتسمت بسعادة وهي تنظر للكتّاب الذي ما زال على الحامل؛ لكنه مغلق، كادت أن تصعد الدرج لتجده يقف أمامها قائلًا:

-وعدك يا آنا؟!

شعرت أنها وضعت نفسها في مأزق؛ لكنها أجابته سريعًا:

-أنت لم تُخبرني من أنت أولاً حتى أعدك بألا أتركك!

شعرت بحرارة الغرفة التي كانت باردة منذ ثوانٍ ترتفع بشكل كبير، جعلها تتصبب عرقًا، نظرت لوجهه الذي

بدأ بالاحمرار وعينيه اللاتي تتلونا ما بين الأزرق والأسود القاتم، لتستعيد النظرة نفسها التي رأتها من قبل، لتردد بذهول:

-إنه أنت؟!

اقترب منها يلتصق بها وهو يُمسك مرفقها بقوة جعلتها تتأوه، وهي تشعر بنيران كفه تحرق يديها وهو يقول لها بغضب:

-لا يستطيع أحد خداعي.

ثم اختفى من أمامها وهو يقول:

-ستعدينني يومًا ما، لن أتركك يا آنا!

جلست على الدرج وهي تلهث بتعب شديد، ثم تركت جسدها يهوى لتغلق عينيها وتترك العنان للنعاس يأخذها لعالم آخر غير هذا.

*****

استيقظت بفزع حين سمعت صوته ما زال يتردد في

أذنها:

-لن أتركك يا آنا.

نظرت حولها بتعجب لترى نفسها ممددة على فراشها ورنين المنبه الخاص بها بدأ في إرسال صفيره المميز لوصول الساعة للسابعة.

أغلقته وهي لا تصدق أن كل ما عايشته كان مجرد كابوس، وضعت كفيها على رأسها لتُعيد في عقلها ما حدث بالأمس، طرقت أمها باب الغرفة بهدوء، لتدلف قبل أن تأذن لها آنا لتجدها تبتسم نحوها قائلة:

-صباح الخير يا حبيبتي!

وكأن شيئاً لم يحدث!

تأملتها آنا بغرابة فجلست كوبا بجوارها لتُقبلها على وجنتها وهي تُحدثها بمرح:

-هيا انهضي يا كسولة لقد حان وقت العمل.

ثم تركتها جاحظة العينين لتخرج من غرفتها قائلة:

-الفطار جاهز، سأنتظر عشر دقائق إن لم تنزلي سأنهيه كله.

ترجلت من فراشها لتجري خلفها على الدرج تحدثها بلهفة:

-ما الذي حدث لي البارحة؟!

جّرت كوبا المقعد لتجلس عليه أمام المنضدة المليئة بالطعام وهي تنظر إليها وما زالت الابتسامة تشُق شفتيها:

-لم يحدث شيئًا يا حبيبتي.

ثم التقطت فنجان القهوة الخاص بها لترتشف منه بهدوء، فاقتربت منها آنا بغيظ قائلة:

-أميييي؟!

وضعت كوبا فنجانها وهي ما زالت تنظر لها بسكون غريب:

-اذهبي لتأخذي حمامك وارتدي ملابسك ستتأخرين على

العمل وسوف تفهمين كل شيء فيما بعد.

صكت أسنانها بغيظ وانطلقت نحو الحمام الخاص بها، علها تفيق وتفهم ما يجري حولها، بعد مرور عشر دقائق خرجت من الحمام لترتدي ثيابها على عجل، حتى انتهت لتنظر لشكلها النهائي عبر المرآة فوجدت العينين نفسها اللاتي رأتهما البارحة، كان يتطلعان نحوها من خلف الجني، ينظران لها الآن من خلال المرآة أمامها!

لكنهم الآن أوضح بكثير!

ضيقت عينيها تتأملهما! الآن.. عينان سوداويتين بحدقتين طوليتين، يحاوطهما اللون الأزرق الصافي!

انتفض جسدها لتلتفت برعب شديد فلم تجد أحداً خلفها، فتحت باب غرفتها لتنزل الدرج بسرعة فائقة وهي تقول:

-أمي.. أمي!

فلم تجد أمها على الطاولة كما تركتها منذ دقائق، الخوف تملك منها لتلتقط بعينيها ورقة موضوعة تحت الكوب المعدني الخاص بها، فتحت الورقة لتقرأ ما كُتب فيها:

"لقد صنعت لكِ قهوتك كما تحبينها، وهناك في القالب البلاستيكي يوجد الكعك المميز خاصتي، تناوليه مع قهوتك في العمل حتى لا تتأخري فاليوم مهمًا جدًا بالنسبة إليك".

ملحوظة أخيرة.

"لا تشعري بالقلق أو الخوف، لقد اجتزت اختبارك الأول بنجاح باهر، فلا تجزعي فالأسوأ لم يأتِ بعد".

قذفت الورقة بإهمال على الطاولة، وأخذت حقيبة يدها ووضعت بها كوب القهوة والقالب فهي تشعر بالجوع الشديد الآن، ولن تستطيع التفكير بمعدة فارغة، وكل ما يجول بخلدها أن أمها هربت، حتى لا تواجهها وتخبرها بما يحدث معها.

انطلقت خارج المنزل ومنها للجراج الخاص بهم لتركب سيارتها الرياضية الصغيرة تتوجه بها نحو العمل، وذهنها يضج بأسئلة كثيرة لا تجد لها إجابة شافية. رنين هاتفها أخرجها من شرودها لتتعجب من وجوده في حقيبتها! هي تتذكر جيدًا أنه كان في غرفتها، مؤكد والدتها وضعته لها في الحقيبة، مدت يدها نحوه لتبحث عنه بالداخل وهي

تتبع الصوت لتتحسس وجود شيء معدني غريب داخل حقيبتها، التفتت برأسها تنظر إليه لتجحظ عيناها بفزع حين سمعت صوت اصطدام سيارة، وصراخ أناس كثيرة في الشارع، ضغطت على الفرامل بقدميها عندما رأت عينيه في المرآة الأمامية تنظر إليها! لتصيح السيارة بصرير مخيف حتى وصل إلى أذنيها هتاف بعضهم.

يا إلهي! لن تنجو هذه الفتاة!

*****

اليوم الثاني

٢-أكتوبر

كعادته كل صباح يستيقظ في السادسة يرتدي بذلته الرياضية ويضع هاتفه في جيبه الخلفي، بينما السماعات الضخمة الموصولة بكارت إلكتروني صغير تعتلي رأسه لتصل مسامعه موسيقاه القديمة المحببة التي لم يعد أحد يسمعها منذ سنوات كثيرة.

انطلق خارج المنزل لممارسة رياضته المفضلة وهي الركض بمحاذاة النهر، رأسه ما زال يضج بالتفكير منذ أن رأى الشهاب ليلة أمس وسقوطه في هذه البلدة تحديدًا، معناه أن الشخص المنشود يعيش في البلدة نفسها، ظل يبحث على موقع الحكومة لتسجيل المواطنين المقيمين في براغ الذي اقتحمه ليلة أمس حتى يتطلع على مواليد يوم الثالث عشر من أكتوبر، ليحتار عقله عندما رأى اسمها! هل يُعقل أن تكون هي؟!

توقف عندما رأى مجموعة من الناس يلتفون حول شيء ما أمام الشاطئ والبعض منهم يصور بهاتفه ما يراه.

ضيق عينيه وأزاح سماعاته من على رأسه، بينما صوت الموسيقى ما زال يصله منخفضًا لتتضح همهمات المتفرجين وهم يبتعدون خطوات للخلف برعب واضح على وجوههم، تقدم نحوهم ليشق طريقه داخل الدائرة البشرية ليجد ثعباناً ضخماً من فصيلة الأناكوندا النادرة يصله طوله لعدة أقدام، يلتف حول نفسه وعيناه منفتحتان، بينما حدقتيه الطولية الملونة مثبتته للأعلى.

تقدم "سترا " من الثعبان ليتراجع الجميع للخلف بذعر شديد، ليلحق به أحد الرجال يُمسك بمرفقه ليجعله يتراجع خطوة وهو يحذره:

-لا تقترب يا رجل فربما يكون لا يزال على قيد الحياة، أزاح ستراش يد الرجل من على مرفقه بهدوء يخالف ما بداخله، فهو لم يعتد على هذه التدخلات.

تفحصه بعينيه وهو يتمتم داخله، يبدو أن هذا الرجل ليس من أهل المدينة فلكنته ليست صحيحة، من الواضح أنه سائح، تجول بعينيه على وجهه ليعرف على الفور من ملامحه ووجه المريح أنه عربي فلا أحد يتدخل بهذه الشهامة غيرهم.

ابتسم نحوه ليختفي غضبه على الفور حتى يوضح له الأمر:

-لا تقلق يا أخي فأنا طبيب بيطري وأستطيع التعامل مع هذه الكائنات.

تركه الرجل ليتقدم ستراش نحو الثعبان الذي ما إن انحنى ينظر اليه حتى وجد عينيه المتوجهتين للأعلى تنظران نحوه، فزعٌ أصاب من بالخلف ليصل إليه شهقات بعضهم المكتومة، ليتراجعوا عدة خطوات أخرى ويصبحوا على استعداد للركض حين يتحرك هذا الكائن الغريب بالنسبة إليهم.

لكن الفضول كان أقوى من الهرب، فقام الجميع برفع هواتفهم ليسجلوا المشهد الذي سيُصبح مادة جيدة لعرضها على مواقع التواصل الاجتماعي.

مد استراش يده يلمس جلده المموه لينتفض الثعبان ملتفًا حول جسده، لتبدأ الصرخات بالعلو بينما يقف ستراش ثابتًا حتى ارتفعت رأس الأناكوندا أمام رأسه، ليلف ستراش رأسه نحوه ينظر لعينيه اللتين تستجديانه بنظرة يعرفها جيدًا.

حرك الثعبان رأسه نحو أُذن استراش الذي أرهف سمعه ليتبين كل ما يخبره به الثعبان قبل أن يرتخي جسده

ويسقط على الأرض نافقًا.

انحنى مرة أخرى نحوه وبسرعة كبيرة أخرج إبرة طبية من جيبه ليسحب عينة من دمه، ليتناهى إلى مسامعه صوت صفير عربة النجدة تقترب منهم، بمجرد ما إن انتهى وأخفى العينة التي وضعها في زجاجة صغيرة لا تفارق جيبه، جاء رجال النجدة الخاصة بالحيوانات وفي يدهم معدات للإمساك بالثعبان الكبير، كما وصفه المتصلون ليجدوا ستراش عائدًا وجسد الثعبان يرتخي على الرمال.

تقدم نحو الثعبان رجلان بآلة حديدية طويلة في نهايتها خطاف، يحركونه ليتأكدوا من موته، بينما الرجل الثالث أوقف استراش عندما أخبره أحد الواقفين:

-هذا هو الرجل الذي التف الثعبان حول جسده.

منعه استراش من فحص جسده وهو يقول:

-لا تقلق يا سيدي فأنا بخير تمامًا.

رفع الرجل الهاتف أمام المُسعف ليريه ما حدث، لينظر الرجل للمقطع المصور بذهول، وأصر أن يقوم بالكشف على جسد استراش الذي أوضح له الأمر وهو يرفع كلتا

كفيه أمام المُسعف:

-يا سيدي أنا طبيب بيطري وما حدث لم يكن سوى ردة فعل طبيعية حين لمست جلده.

هذا الثعبان كان ميتاً منذ دقائق قبل مجيئكم؛ لكن مستقبلات الحس لدى الثعابين تعمل لوقت قصير بعد موتهم، لذلك حين يحفز أحدهم هذه المستقبلات مثلما فعلت، يقومون بردة فعل انعكاسية بالهجوم، فلو كان من النوع السام لما اقتربت منه؛ لكنه ليس سامًا وأنا أعلم بهذا جيداً.

هو من النوع الذي يلتف حول ضحيته ليسحق عظامها ويفجر أوردتها والتفافه حول جسدي لم يكن شديدًا لأنه كان ميتاً، ثم بطريقة مهذبة أخبرهم:

-يجب عليَّ أن أذهب الآن للعمل.

ليناوله بطاقة ورقية وهو يُكمل:

-هذه بطاقتي بها أرقام هاتفي إن احتجتم شيئاً فحدثوني.

عاد لمنزله على حمامه الخاص ثم خرج ليرتدي ثيابه على

وجه السرعة، وانطلق نحو سيارته بعدما أخذ معه عينة الدماء ووضعها في جيب سترته الخارجية لينطلق بأقصى سرعة للعمل، وصل للمركز الكبير ليصف سيارته في الجراج الخاص بهم، ليأتيه رنين هاتفه الخاص بالعمل.

ترجل من السيارة وهو يضع مفاتيحه في جيبه ويُخرج الهاتف ليرى أن المتصل هى إحدى زميلاته، مؤكد تريد أن تفعل به مثلما يفعل هو حين يتأخر أحدهم، أجابها بنفاد صبر وعقله يعمل في مكان آخر:

-أنا أتوجه للمصعد يا دينس.

حدثته بحزن بالغ لم يعتد عليه من زميلته خفيفة الظل التي لا يفارق وجهها الابتسامة:

-لم أتصل لذلك يا ست، كنت أريد أن أخبرك أن آنا تعرضت لحادث وهي قادمة إلى العمل.

تجعد وجهه من المفاجأة واستدار باتجاه سيارته وهو يقول لها:

-أخبريني إلى أي مشفى نقلوها.

*****

صفير من المنبه الخاص بها جعلها تفتح عينيها بهدوء ظاهري، للحظات ظلت ساكنة تحدق في سقف الغرفة حتى تذكرت كل ما حدث بومضات سريعة، لتتوالى بعدها المشاهد على ذهنها مما جعلها تنتفض جالسة تنظر لغرفتها بتعجب شديد، ثم نظرت للساعة بجوارها فوجدتها الثانية عشر، توقفت لبرهة تتأمل الساعة وهي لا تعرف تحديدًا هل هي الثانية عشر مساءً أم الثانية عشر صباحًا؟!

لم تمكث كثيراً في حيرتها وترجلت من فوق الفراش لتجد أمها تدلف للغرفة لتتفاجأ بها مستيقظة فتسألت:

-ما الذي أيقظك؟!

نظرت آنا بجوارها على المنبه لتشير نحوه:

-هو أيقظني.

لتُكمل بإرهاق شديد قد أصاب عقلها قبل جسدها:

-ما الذي يحدث لي يا أمي؟!

جلست كوبا بجوارها تضع كفها على شعرها تمسد عليه لتُجيبها:

-لقد تعرضتِ لحادث اليوم.

ثم سألتها بتعجب:

-ألا تتذكرين شيئًا؟!

أجابتها بوهن:

-أتذكر أنني كنت بالسيارة ورنين الهاتف جعلني أبحث عنه وفجأة وجدت عينيه تنظر نحوي في المرآة، ضغطت على المكابح ولم أشعر بشيء بعدها.

وضعت كلتا كفيها على رأسها وهي تشعر بصداع شديد ورغم ذلك لم تتوقف وهي تتساءل:

-من هذا؟!

أجابتها وهي تتنهد:

-لا أعرف يا ابنتي!

نظرت لها بعينين زائغتين وهي تردد:

-كيف وصلت للمنزل؟!

أجابتها وهي تُمسك كفيها تربت عليهما:

-عندما فقدت الوعي أخذوكِ للمشفى وهناك قاموا بالاتصال بإيدين الذي بدور هاتفني وهو يركض إليكِ.

-كنت وقتها في الغرفة التي تركتك بها البارحة أبحث عن إجابة لسؤال لم نعرف له إجابة منذ مولدك.

أوقفتها متسائلة:

-أي سؤال؟!

لم تجبها كوبا وأكملت:

-ستعرفينه في وقته.

ما حدث أنني لم أجد إجابة له فخرجت من هنالك وذهبت للمشفى على الفور، وأنا أشعر بالخوف الشديد

عليكِ، لكني أعلم أن الله يحميكِ يا حبيبتي.

مسدت شعرها بحنان وهي تبتسم لها:

-وكما توقعت كنتِ بخير تمامًا، لكنهم قاموا بحقنك بمهدئ حتى لا تصابي بالذعر مما حدث.

لقد عجت غرفتك بجميع عائلتنا ولم يكُف هاتفك عن الرنين من أصدقائك للاطمئنان عليكِ، لكن مجيء ستراش هو ما أدهشني حقًا.

ضمت آنا حاجبيها بتعجب وهي تردد:

-استراش ترك العمل وجاء للاطمئنان عليَّ؟!

ابتسمت كوبا بدورها وهي تقول لها:

-وأنا أيضًا تعجبت مثلك لذلك أصابني القلق، فشعر بي إيدين ليطلب من الطبيب الذي استلم حالتك نقلك للمنزل ووافقوا على الفور وعدنا بكِ إلى هنا ولم يتركَكِ إيدين وعائلته إلا منذ قليل.

تسألت:

-وسيارتي؟!

أجابتها بابتسامة:

- كل من رأها أقسم أن من كان بداخلها قد انتقل للرفيق الأعلى.

ضمت حاجبيها بدهشة لتُكمل كوبا:

-لقد أصبحت مثل عُلبة صفيح دهستها سيارة نقل كبيرة.

ظهر الحزن جليًا على وجهها فقبلتها أمها قائلة:

-لا تحزني يا حبيبتي.

عندما يحل الصباح اذهبي لشراء واحدة أخرى من حسابي الخاص،

ثم أمسكت كفها لتوقفها:

-لكن الآن علينا إكمال مهمتنا.

ضيقت عينيها بتساؤل:

-أي مهمة؟!

خطت للأمام وهي ما زالت تُمسك يدها لتجرها خلفها، فعرفت آنا على الفور أنها تأخذها للأسفل، وبعد نظرة خاطفة للنافذة تبينت أنها أصبحت بعد منتصف الليل!

سحبت يدها من يد أمها بقوة لتتوقف قائلة بجزع:

-لن أذهب إلى هناك ثانية.

وقفت كوبا ترمقها بغضب:

-ما الذي تقولينه؟! يجب عليكِ أن تعرفي كل ما حدث حتى تسطيعين مجاراة ما سيحدث.

هدرت بها آنا:

-ما الذي سيحدث لي؟!

وقفت كوبا بتوتر ظاهر:

-لا أعرف! ولا أحد يعرف.

ثم أمسكت كفها مرة أخرى:

-لقد سقط الشهاب يا آنا.

تساءلت وهي تهز رأسها:

-وما الذي يعنيه سقوط شهاب في مشهد نراه كل يوم؟!

حركت كوبا رأسها نفيًا:

-لا لم يحدث أن سقط شهاب في الأول من أكتوبر منذ سبعة قرون.

نفضت يدها من بين كفي أمها لتقول بلا مبالاة ظاهرة:

-لا يعنيني أيًا من هذه الخرفات.

ثم رفعت سبابتها في وجه أمها:

-أنا لن أذهب لهذا المكان الغريب ثانية قبل أن أفهم

ماذا يحدث ولما تفعلين بي ذلك؟!

زفرت كوبا بضيق وهي تهدر بها:

-أنا أفعل ما أُمرت به، ولا أحد يعرف ماذا حدث في الماضي ولا أحد سيعرف ما الذي سيحدث لكِ يوم الثالث عشر، سواكِ يا آنا.

وقفت تنظر لأمها بدهشة وهي تردد:

-لا تعرفين أن الكتاب الذي جعلتني أفتحه ليلا ابتلعني بداخله وخرجت منه بأُعجوبة!

اقتربت منها بعدما شعرت بقليل من القلق وهي تقول لها:

-لا أعرف ما بداخل الكتاب ولا كيفية اطلاعك عليه، ولا أحد يعرف ذلك منذ آخر سلالة من "المُخلصين" وذلك منذ سبعة قرون كما أخبرتك.

التفتت آنا حولها بحيرة:

-من هم المُخلصون؟! ولماذا أنا منهم؟!

قبضت على يدها ثانية وهي تخبرها:

-هم مجموعة من البشر اختارهم الله ليكونوا عباده المميزين الذين يستطيعون ترجيح كفة الميزان للخير وتخليص الناس من لعنة شيطانية أزلية.

ثم أكملت وهي تسحبها خلفها وآنا ما زالت تُعيد ما قالته أمها في عقلها مرارًا علها تستوعب ما سمعته:

-سننزل الآن للأسفل لكي تُكملي رؤية أجدادك.

استسلمت لها آنا بعدما وجدت أنها لا تملُك خيار الاعتراض، لقد تربت على ذلك منذ صغرها، لا يجوز لها الاعتراض على أوامر الأبوين وكأنهم كانوا يؤهلونها لحدث عظيم حتى تسطيع مواجهته، يجب عليها أن تطيع من تثق بهم ويثقوا بقدراتها التي لا تعلم عنها شيئاً.

نزلت الدرج الحديدي وقدماها يرتجفان مما ستراه الليلة، وكيف ستستطيع العودة من هناك بعدما قامت بوعد للجني ولم تفِ به وظل هو يهددها فمن سيعيدها إذن؟!

عند هذا الحد وقفت تتأمل الغرفة ثم كادت لتصعد مرة

أخرى وهي مذعورة، أمسكت أمها بمرفقها لتوقفها:

-اثبتي يا آنا لا تجزعي هكذا.

وقفت ترجوها:

-أمي أتوسل إليك لا تتركيني، أنتِ لا تعرفين ما حدث لي هناك البارحة وكيف عدت من هناك،.

نظرات أمها اللائمة جعلتها تُكمل علها تُقنعها:

-لو ذهبت الليلة لن أعود!

شعرت كوبا بالقلق الشديد على ابنتها، لكن ليس بيدها حيلة، يجب عليها أن تُكمل الكُتب التي تركها لها أجدادها وإلا لن تنجو وقت الهلاك!

برقت بعينيها نحوها وهي تنهرها:

-لولا أنني رأيت بعيني النجوم وقت ميلادك، وشاهدت الشهاب البارحة لقولت إنني مخطئة وإنك لا تستحقين هذه المكانة.

كادت آنا أن تبكي حزنًا لما قالته أمها وهي تتمنى من كل قلبها أن تكون مخطئة بالفعل، وأن ما يحدث معها هو مصادفة أو خيالات ينسجها عقلها.

تركتها كوبا وخرجت من القبو وأغلقت الباب من الأعلى كما فعلت في السابق لتجلس آنا على المقعد الجلدي بإرهاق شديد، تُفكر جليًا بما عليها فعله الآن،

نظرت نحو المكتبة بخوف شديد تحول لفضول قاتل عندما سقط كتاب من الكتب على الأرض!

انحنت لتلتقطه فانفتح على مصرعيه ليأخذها بداخله حتى ترى ما يجب عليها معرفته.

*****

أمسك بيده جزء من عينة الدم التي أخذها من الثعبان في الصباح، وبيده الأخرى النتيجة التي كان يعرفها سابقًا، لكن عينة الدماء لها غرض آخر غير التحليل، مؤكد سيجعل فضولها يسوقها إلى هناك!

رفع زاوية فمه بابتسامة وهو يردد:

-لم يعد سوى القليل.

ثم فتح حاسوبه ليدخل على قاعدة البيانات الخاصة بالمركز الطبي الذي يرأسه ويدلف إليها بكلمة السر الشخصية ليكتب في مربع البحث "آنا مليم إلكو أغا".

*****

صرخات متتالية أطلقتها لتركض الخادمة نحوها وهي ترى الماء اللزج يتساقط من بين قدميها، شهقت الخادمة بفزع وأمسكت بكلتا يديها قبل أن تسقط أرضاً لتضعها على لوح الخشب خاصتها التي تستخدمه "زرا" للنوم.

نظرت نحو السماء من بين الألواح الخشبية التي توضع فوقها لتحميها من الشمس والمطر، وجدت ضوء النجوم يتسلل للكوخ فتوقفت عن الصراخ بعدما أغلقت فمها بصعوبة لتأنَ بألم، وقد جذبها تحرك إحدى النجوم لتصطف خلف ثلاثة يسبقونها!

جاءت الخادمة تركض وفي يدها إناء كبير يحوي ماء المطر الذي احتفظت به منذ عدة أيام، وجلست بين قدمي سيدتها وهي تحثُها على الدفع للأمام.

تعلقت عيناها بالنجوم التي تنتظم بشكل خاص إلى أن وصلت لست نجمات يقفن خلف بعضهن البعض، وقد نال التعجب منها مبلغه حتى إنها تجاهلت تقلصات معدتها القوية وهي تُمعن النظر في السماء، وكأن أحدهم يُمسك بتلك النجوم ويضعها بتسلسل واضح.

ازداد العدد وبدأت تأخذ النجوم شكلاً لم تتبينه بعد وهي ما زالت تكتم صراخها، وخادمتها تشجعها على الاستمرار بالدفع للأمام بعدة كلمات حماسية، وصل الألم لذروته ولم تتحمل زارا إغلاق فمها أكثر من ذلك فانطلقت بصرخة قوية اندفع على إثرها طفلها الباكي بصراخات تُماثلها.

حملت زارا طفلها وضمته لأحضانها بينما قامت الخادمة بقطع الحبل السري وأخذته من يدي أمه لتنظفه بالماء ثم بسعادة غمرتها تسألت:

-ستطلقين عليه أي اسم سيدتي.

نظرت زارا لطفلها الذي يتملل في يدي الخادمة وهي تسكب عليه بعد من الماء لإزالة بقايا رحمها من على جسده، ثم تركتها وحاولت الوقوف بوهن شديد وهي تستند على جدران الكوخ حتى وصلت للخارج، نظرت

نحو السماء فوجدت النجوم قد اكتملت في شكلها النهائي، قاعدة تشكل خطاً مستقيماً يعلوها قبة نصف دائرية تنتصف خطين مستقيمين على شكل ميزان!

تقدمت منها الخادمة لتناولها صغيرها فحملته زارا وهي تنظر نحوه مبتسمة مرددة:

-نيبائيل.

رفعت الخادمة رأسها تنظر نحو النجوم قائلة بسعادة:

- كم يليق به الاسم يا سيدتي.

أجاباتها زارا بتأمل:

-أتمنى أن يتخذ الطريق الصحيح.

اقتربت آنا نحوهم بعدما فتحت عينيها بعد أن كانت تغلقهما وتسُد أذنيها حتى لا تسمع صرخات زارا، تطلعت للسماء لتنظر للنجوم وهي تضيق عينيها بتركيز حتى سمعت زارا تقول لخادمتها:

-كنت أعلم أنه سيُصبح مميزًا عندما رأيت الشهاب يسقط

يوم الأول من "أرخ تشريتوم".

لم تكن تتكلم العربية ولا حتى لغة أجنبية تعرفها، لكنها كانت تفهم ما تقوله بوضوح ولا تعرف سببًا لذلك، سمعت صوت الطفل يناديها فنظرت إليه جاحظة العينين موقنة أنها تهذي!

تطلعت لأمه التي أخرجت ثديها لإرضاعه والخادمة تتحرك داخل الكوخ وهي تفعل شيئًا ما، تجهله فوجدت أنهما لم ينتبها لما قاله الطفل الصغير، كادت أن تخرج من الكوخ عندما تأكدت أن ما سمعته لم يكن سوى..

-آنا أنتِ لا تهذين فأنا بالفعل أحدثك.

عادت إليه تقترب أكثر منه لتجد أمه بوجه مجعد بالألم تضعه على لوح خشبي سميك وهي تهدهده بوهن قائلة:

-نم يا صغيري، سأعود على الفور.

ابتعدت عنه أمه لتُمسك الخادمة بيدها وتقودها لمكان ما، بينما جلست آنا على ركبتيها تتطلع نحوه وهو ينظر إليها بابتسامة طفولية أشعرتها بسعادة غامرة وعيناه الزمرديتين الخاطفتين للأنفاس التي تماثل لون عينيها، سحرتها لتمُد يدها

تحاول لمس وجهه الملائكي وهي تعرف جيدًا أن يدها ستعبر من خلاله؛ لكنها وللعجب شعرت بملمس جلده الطفولي تحت أصابعها فأصابها الذهول ليحدثها بالابتسامة نفسها:

-نعم آنا فأنتِ تستطيعن لمسي والتحدث معي.

تسألت بحيرة:

-أين أنا؟! ومن أنت؟!

أجابها:

-أنتِ هنا لتعرفي ماذا حدث لكِ ولعائلتك، وأنا جدك الذي دونت هذا الجزء من الكتاب.

ثم مد يده الصغيرة نحوها لتمُد هي الأخرى، يدها تُمسك به حتى انتقل للمكان نفسه الذي زارته بالأمس "برج بابل".

لكن حداثة مظهره الحالي جعلها تنظر له بدهشة حتى حدثها جدها وهو يشير للبرج:

-هنا بدأ كل شيء.

التفتت نحوه لتضع يدها على فمها تكتم شهقة خرجت منها عندما رأته شابًا طويلاً بعضلات مفتولة وجسد رجولي عاري لا يستر سوى عورته بجزء من قماش صغير، ضيق عينيه بتعجب وهو يتسأل:

-ماذا حدث؟!

هزت رأسها نفيًا لتعود لواقعها بسؤال تتمنى أن تعرف إجابته:

-أنا لا أفهم لماذا أتجول في ماضيكم؟! ما الذي سيحدث لي؟!

نظر لعينيها التي تشبه عيناه بفخر قائلاً:

-لأنك أنتِ المنشودة.

هزت رأسها نفيًا:

-ما زلت لأفهم! ماذا سيحدث معي؟!

أخذ بيدها وانتقل بها لأعلى نقطة في البرج، ترك يدها ليرفع سبابته على فمه ليأمرها بالتزام الصمت، ثم أشار لها نحو الساحة الكبيرة لتضُم حاجبيها وهي تنظر لترى رجلًا ضخم الجثة كبير الحجم يكسو الشعر جسده بكثافة، وجهه يتلون بالأزرق القاتم، له قرنان كبيران وشعر كثيف يلتف حولهما، دب الرعب أوصلها وهي تتأمل ملامحه التي لا تمت للبشر بصلة!

يجلس على عربة خشبية كبيرة يحملها عدد من الرجال الأشداء، وبيده سوط جلدي طويل يحركه برتابة أمام العبيد الذين يعملون في البناء.

بينما هو يتحرك بعربته الخشبية حولهم ثم يختفي ليظهر في مكان آخر على عربة بالشكل نفسه لكن حوله مزارعين، يشير للرجال الذين يحملون العربة ليتجولوا به بينهم، ثم يختفي ثانية ليظهر على العربة نفسها أمام كهنة المعبد الكبير الذي يطوفون حول صنم كبير هيئته تمثل الشيطان في أبهى صوره.

ليتجول هذا المسخ بينهم وهو يشاهد الرعايا تغدق الهدايا في وعاء ذهبي كبير ليفرد هو كفيه ويأخذ كل ما يحمله الوعاء وهو ينظر للجميع بتعالٍ، بينما الكل ينظرون لأقدامهم ولا يجرؤن على النظر نحوه!

التفتت آنا نحو نيبائيل لتحدثه وتسأله عما تراه فلم تجده بجوارها!

وجدت نفسها تُسحب إلى بهو قصر كبير مليء بتماثيل ذهبية تشبه ما رأتهم في المعبد، وأمامها عرش ضخم يجلس عليه رجل أسود الوجه بعينين سوداوين قاتمتين جاحظتين ببشاعة، يكسوه الشعر بمظهر مقزز للغاية يرتدي قرنين من العاج يتلونان باللون الأحمر الناري، تأملتهم آنا بتركيز لتعرف هل هما قرناه حقيقيان أم هي قبعة يرتديها!

يجلس بجواره على مقعد أصغر مسخ يشبه الذي رأته منذ قليل؛ لكن حجمه يضاهيه لأضعاف، يُمسك بيده ملفوفة كبيرة بنية اللون تشبه جلد البقر يفتحها أمام سيده وهو يقول له:

-لقد أنهى الملك الأول هذا الجزء من المصفوفة السوداء מטריצה שחורה

لم ينظر له سيده واكتفى بإيماءة من رأسه ليتسأل بعجرفة لا مثيل لها:

-وهل استطاع رسم صورتي بحرفية؟!

أجابه بغرور:

-وهل يستطيع ألا يفعل؟!

دلف المسخ الذي رأته في السوق الكبير يحمل بين يديه عطايا الفقراء ليضعهما في وعاء أكبر بكثير مما رأته في المعبد، يمتلئ بالذهب حتى تدلى منه بعض الحُلي، عندما وضع المسخ ما بيده فوقهم، ثم سجد أمام سيده الذي أشار له بيده قائلًا:

-لا أريد هذه العطايا، أنت تعرف ما أريده أليس كذلك؟!

ارتجف جسد المسخ أمامه وهو يحني رأسه مُجيبًا:

-ما زلت أبحث يا سيدي بكل ما أوتيت من قوة.

انتقلت آنا من القصر لتجد نفسها في الموضع السابق نفسه، على قمة برج بابل، وقفت تُشاهد ما يحدث أمامها لترى حربًا ضارية بين عدد كبير من البشر يرأسهم جدها الذي بدا أكبر سنًا، وعدد كبير من البشر يرأسهم المسوخ الذين رأتهم بالقصر الكبير.

تعاقب عليها الليل والنهار وهي ما زالت تقف في النقطة نفسها تشاهد بانفعال شديد، حاولت التدخل أكثر من مرة لحماية جدها من الهجمات؛ لكن شيئاً ما كان يوقفها مكانها جعلها لا تستطيع التحرك، وبين فينة وأخرى كان تتسرب صرخاتها لمن في الأسفل ليلقي عليها نيبائيل نظرة تحذير فتصمت بعدها لوقت ليس بكثير، حتى تتابع تفاعلها الصوتي والجسدي مع ما يحدث أمامها، لا تعرف كم مر من الوقت؛ لكنها شعرت بالإنهاك الشديد وقد اختفى صوتها من كثرة الصراخ.

لتجلس على إحدى المصاطب الحجرية وتسند رأسها للخلف ولم تشعر بشيء بعدما ثقُل جفنيها ولم تعُد تقدر على فتحهما!

*****

اليوم الثالث

٣ -أكتوبر

فتحت عينيها سريعًا حين سمعت صوت جلبة من أحدهم، نظرت حولها بتساؤل لتتبعه عيناها بذعر وهي تتأمله، طوله يفوقها أضعاف، بينما قوة جسده جعلتها تشعر بالخوف الشديد، لم تتبين ملامحه وحين بدأت تدقق بوجهه أخفاه بغطاء رأس وهو يدخل غرفة متخفيًا برداء حريري لا ينتمي لهذه الحقبة من الزمن.

تتبعت خطاه بحذر ليمر بردهة كبيرة تحوي من الأثاث الذهبي ما لم تراه منذ أن وطأة قدميها هذه الكتب، ضمت حاجبيها بتعجب حين رأته يلتفت خلفه باحتراس لتختبئ هي خلف أحد الجدران المنقوشة بمنقوشات ذهبية اللون.

لتمُد رأسها بريبة حتى رأته يحرك أحجارًا بكلتا يديه ليدلف داخل غرفة تراها من موضعها مظلمة، سمعت صوت تحرك الأحجار فركضت لتدخل خلفه قبل أن تنغلق البوابة الحجرية.

حمل شعلة فضية لينفث بها عدة نفثات خفيفة فاشتعلت

النار بها ليمضي وهو يحملها كي يتبين به طريقه، لحقت به حتى وصل لحجرة كبيرة وضخمة جدرانها مبطنة بحرير مخملي اللون، يستند على جدرانها الأربعة، أحد عشر حجراً غريب الشكل واللون مدون بها كلمات ورسومات تضيء الغرفة بأكملها.

بحظت عيناها بذهول وهي تتأمل أحد الاحجار التي تحوي رسومات للكرة الأرضية وتتابع النجوم بشكل غريب ومظهر.

المجرات خارج الغلاف الأرضي مرسوم بإتقان شديد لم تره عيناها من قبل،

انتقلت لحجر آخر به شكل البحار ومواضعها وعلامات لم تفهمها في كل موضعٍ، وهي تتأمل هذه الحجارة باستمتاع ودهشة سمعت صوته يُتمتم بغرابة وكأنه يتحدث مع أحدهم، بحثت عن صوته وسط الأحجار الكبيرة لتراه يقف على أحدهما منقوش عليها حروف لم تعلم بوجودها من قبل ولا تفهم منها شيئاً، وضعت يدها على فمها تكتُم أنفاسها المتسارعة حين رأته خلفه!

رجل طويل وضخم يضاهيه في الحجم، نظر إليها بطرف عينيه السوداويتين لتبين أنه يقف بطوله وشكله الحقيقي كما

ظهر للنمرود!

ارتدت للخلف حتى التصقت بأحد الأحجار الغريبة لتشعر ببرودتها تنتقل لبشرتها وهي تراه يقترب من أذن الرجل، أرهفت السمع فلم يصل إليها منه شيء سوى همسات متكررة تشبه الوساوس، التي على إثرها تحرك الرجل الضخم خارج الحجرة وعيناه حمراويتين من الغضب.

تركها الجني بابتسامة تعرفها هي جيدًا وركضت خلفه برعب واضح لتراه يقتحم إحدى الغرف المغلقة لتجد بداخلها رجلين يماثلانه في الحجم، ليبدأ ثلاثتهم عراكاً دامياً جعلها تصرخ بصوت عالٍ، لتفزع حينما شعرت بيد أحد لا تراه يلكزها في كتفها، فتحت عيناها فوجدته إيدين يوقظها ووجهه مرتعب للغاية، اعتدلت سريعًا وهي تحاول مجاراة أنفاسها المتعاقبة لتسأله بقلق وصوتها يكاد يخرج بوضوح:

-أين أنا؟!

جلس بجوارها يحاوط وجهها بكفيه وقد بدا الذعر على ملامحه الحادة، ورغم ذلك حاول أن يطمئنها:

-لا تقلقي يا حبيبتي.. أنتِ في فراشك.

أزاحت كفيه من على وجنتيها ونظرت حولها بريبة لتتأكد أنها بالفعل في غرفتها!

هل كل ما حدث كان حُلمًا؟!

رددتها بخفوت ليتساءل إيدين:

-ما الذي حدث ورأيته يا آنا؟!

وقبل أن تفتح فمها لتقص له ما رأته وجدت كوبا تدلف من باب الغرفة مبتسمة بسعادة تجهل مصدرها وهي تقول لها:

-صباح الخير يا حبيبة القلب.

نظرت نحوها بتردد ثم نظرت نحو إيدين الذي ما زال يتفحص وجهها بتعجب لتتساءل:

-من الذي جاء بي إلى هنا؟! لقد..

أوقفتها أمها وهي تلوح لإيدين:

تفضل يا بني على المائدة وسنلحق بك حينما ترتدي آنا ملابسها، حتى لا نتأخر على العمل.

وقف إيدين بحدة واضحة وهو يقول بصوت مرتفع:

-أي عمل يا خالتي؟! لقد نجت آنا من حادث أليم البارحة بأعجوبة!

ليُكمل بانفعال واضح:

-ل.. لقد كانت تطلق صراخات شديدة في نومها منذ قليل، فهي ما زالت تحت تأثير الصدمة!

نظرت لها أمها نظرة ذات مغزى فهمتها آنا لتحدثه على الفور بصوتها الواهن:

-من فضلك اسمح لي يا إيدين أن أبدل ملابسي وحين انتهي سنتحدث بالأمر.

رمقهم بنظرة غاضبة وخرج يغلق الباب خلفه لتنتفض آنا بجوار أمها تتساءل بلهفة:

-كيف عدت إلى هنا؟!

بهمس أجابتها:

-لا أعلم لقد سمعت صوتاً في الغرفة الساعة الخامسة صباحًا فهبطت لأسفل لأجدك نائمة تفترشين الأرض.

حاولت حملك فلم أستطع فأيقظتك، لكنك كنتي في عالم آخر حتى وضعتك في فراشك، وجاء إيدين منذ قليل ليطمئن عليكِ وأصر أن يوقظك بنفسه، ثم تساءلت بقلق:

-هل أخبرته شيئاً؟!

حركت رأسها نفيًا وعقلها يدور بما رأته أيهما كان حُلمًا وأياهما كان ما يحتويه الكتاب؟!

لقد اختلط كل شيء بعقلها!

أخرجت ملابسها من الخزانة بآلية تامة، ثم بدأت بخلع ملابس نومها التي ارتدتها ليلة أمس، خرجت أمها من الغرفة وهي تلوح لها وتخبرها أنها ستحضر لها قهوتها ريثما تنتهي.

أمسكت آنا المنامة لتضعها على الحامل الخشبي فوجدت

ورقة قديمة تلتصق بمنامتها من الداخل! أمسكت بها تتفحص ملمسها لتتبين أنها من جلد الماعز، فتحتها فوجدت بداخلها نقوشاً ورسماً مدوناً بالدماء المخلوط بشيء لزج وغريب وكأنها لغة لم تتبين حروفها، دققت النظر فوجدتها السومارية القديمة، التبس عليها الأمر وهي تتهجى:

"أنتا.. إنسا.. ائيسا..

زفرت بضيق وطوت الورقة ووضعتها في حقيبتها وعادت وهي تُجزم أن من الممكن أن تكون انقطعت من الكتّاب وحتما بها جزء مفقود، بدأت في ارتداء ملابسها لتتوقف حين تذكرت السبب في الحادث!

أسرعت لتفتش الحقيبة بفضول حتى وجدت رأس ثعبان معدني باللون الأخضر الزيتوني المائل للون النحاسي، زمت شفتيها بتعجب وهي تتساءل:

-ما الذي وضع هذا الشيء بحقيبتي؟!

كادت أن تخرج من الغرفة عارية لتسأل أمها، لكنها تذكرت وجود إيدين، فعادت لتُكمل ارتداء ملابسها على عجل حتى انتهت وخرجت سريعًا، لتجدهما يجلسان على

المائدة يتحدثان بأريحية وكأن لا أحد يشعر بما تعانيه وتمر به!

رفعت رأس الثعبان أمام وجه أمها من خلف ظهر إيدين، فحدجتها بنظرة جعلتها تبتلع سؤالها وتخفي ما بيدها وتجلس على المقعد بجوار إيدين الذي أمسك بكفها يُقبلها برقة وهو يقول:

-هل تشعرين بخير الآن؟!

ابتسمت له بحب لا تستطيع إخفاءه وأومت برأسها، ليُطعمها إيدين شطيرة جُبن سويسري تعشقه من صِغرها، تناولت قضمه من بين أصابعه لتلامس أصابعه شفتيها فترتعش، بينما هي تخفض رأسها بحرج لتُقاطع كوبا هذه اللحظة الرومانسية وهي تناولها قهوتها في كوبها المعدني قائلة لها ضاغطة على كل حرف:

-ستتأخرين على عملك!

تحولت نظرات إيدين العاشقة للغضب، بينما تذكرت آنا الثُعبان المعدني والورقة التي لم تفهم محتواها لتهُب واقفة:

-أمي أريدك في شيء مهم قبل أن أذهب.

أمسك إيدين مرفقها بحدة:

-تذهبين إلى أين؟! ألم نتحدث بهذا الشأن؟!

ابتسمت له برقة وهي تسحب مرفقها من بين كفه قائلة:

-لا تقلق يا حبيبي فأنا لن أتأخر وأنت سوف تقلني إلى هناك، أليس كذلك؟!

زفر بضيق:

-أنتِ تحتاجين للراحة يا آنا.

نظرت نحو أمها التي غادرت المكان لتنتظرها في غرفتها كما أشارت لها، ثم وضعت كفه بين يديها واقتربت منه لتفصلهما مسافة صغيرة وهي تود أن تُفصح له عما يحدث معها، فهي تحتاج مشورته بشدة لكن إصرار أمها على ألا تخبر أحداً بما يصير معها جعلها تبتلع كلماتها لتقول له:

-أنا أحتاج للذهاب يا إيدين، صدقني.

استسلم لها وضيق عينيه يحاول أن يخفي ابتسامته التي

رأتها هي بوضوح فوقفت على أطراف أصابعها لتبلغ وجنته، فطبعت عليها قُبلة خجلة أغمض هو عينيه على إثرها، ليتنهد بعمق جعله يفتح عينيه وهو يمسك كلتا يديها قائلًا برعب ما زال يختبئ بداخله:

- كدت أن أموت وأنا أتخيل أن مكروهاً قد أصابك.

تأملت عينيه البنيتين بعشق تُكنه بداخلها منذ صغرها لحاميها وصديقها وحبيبها الذي يُمثل كل شخص قريب في حياتها، لتحاول أن تجعله يشعر بالاطمئنان الذي تحس هي به في قربه:

-لا تخف يا إيدين لن يصيبني مكروه.

صوت أمها تناديها جعلها تترك يده وهي تحني رأسها بدلال وتحرك أهدبها قائلة:

-جهز السيارة سألحق بك.

ثم ركضت نحو غرفتها لتُمسك سريعًا بحقيبتها تخرج منها الورقة التي وجدتها والثُعبان المعدني لتسلمهم لأمها وهي تقول:

-هذا الشيء هو ما تسبب بالحادثة، ولا أعلم من الذي وضعه في حقيبتي.

نظرت كوبا بتركيز لوجه الثُعبان الذي يفتح فمه ليتدلى منه لسانه المشقوق قائلة:

-لا أعلم شيئاً عن هذا، لكن..

توقفت آنا تتأمل وجه أمها التي على ما يبدو تتذكر شيئاً مهماً لتتحرك كوبا بسرعة كبيرة خارج الغرفة، فأوقفتها آنا قائلة وهي تتقدم نحوها:

-ابحثي على مهل، يجب أن أذهب الآن؛ لكن قبل ذلك افتحي هذه الورقة الغريبة واقرأِ ما بها.

أمسكت كوبا الورقة لتفتحها وهي تردد بتعجب أن على وجهها:

-"ائيستا قورقاز".

تساءلت آنا وهي تضُم حاجبيها:

-ماذا تعني "ائيستا قورقاز".

أجابتها أمها وهي تقلب الورقة بيدها باهتمام بالغ:

-اسم كتاب لكن...

توقفت كوبا عن الحديث حين سمعت صوت مزمار سيارة إيدين لتركض آنا وهي تقول:

-سأبحث عن هذا الاسم؛ لكن نقبي أنتِ عن هذا الثُعبان.

خرجت من المنزل ثم صعدت بجوار إيدين وهي تبتسم نحوه قائلة:

-لا تتعجل فأنا أريد قضاء بعض الوقت معك.

*****

خرجت كوبا خلفها قاصدة غرفة الحديقة الخلفية لتدلف إليها نحو المكتبة الكبيرة،

جلست على ركبتيها لتفتح خزانة خشبية بالأسفل، حيث أخرجت منها صندوقاً معدنياً متوسط الحجم،

أخذته بين يديها ووضعته على المنضدة لتجلس على المقعد تفتحه بمفتاح فضي صغير احتفظت به في سلسلة مفاتحها الشخصية،

وجدت دفترًا سميكاً مدوناً على غلافه بخط اليد باللغة التشيكية "Zatracené začít".

"بداية اللعنة"

فتحت أولى صفحاته وبدأت تلتهم الكلمات بعينيها ولم تنتبه إلى الوقت الى أن سمعت صوت أقدام أحدهم من فوقها يتجول بالغرفة، اتسعت حدقتيها بترقب فهي واثقة أنها أغلقت الغرفة قبل أن تنزل لهذا المخبأ فمن ذا الذي يجرؤ على اقتحام منزلها بهذا الشكل، تركت الكتاب من يدها وقامت من على المقعد بهدوء شديد وبحرص ألا تُصدر صوتاً، صعدت على السُلم المعدني بحذر حتى وصلت لنهايته لترهف بسمعها عندما وجدته يتحدث مع أحدهم بالعربية:

-لا يوجد شيء هنا، لا لقد تأكدت من الغرفة بأكملها، لا لا لقد بحثت جيدًا، المنزل أيضًا فارغ ولا يوجد أي ورقة مما نبحث عنها، لا تقلق لقد ،رجعت كل شيء كما كان.

-حسنًا سأعود الآن ودعنا نفكر في مكانًا جديد.

التقطت انفاسها حين سمعت خطواته تتوجه ناحية باب الغرفة، لتعود أدراجها للأسفل بروية حتى تنتهي مما تفعله، وفجأة انزلقت قدمها من فوق آخر درجة ليهوى جسدها على أرضية الغرفة مصدرة صوتًا شديداً جعل الرجل يعود مرة أخرى يبحث من مصدر الصوت، بينما ظلت كوبا ممددة على ظهرها تخشى أن تتحرك فينتبه لمكانها!

*****

أوقف سيارته بوجه عابس أمام المبنى الخاص لعملها، أزاحت آنا حزام الأمان الذي يلتف على خصرها، لتلتصق بمقعده وهي تبتسم قائلة:

-هيا يا إيدين لا أحب أن أرى هذا الوجه الغاضب.

ظل على وضعه وهو ما زال يقطب حاجبيه، بينما هي رفعت كفها بدلال تُمررها على وجهه وهي تترجاه:

-أرجوك يا حبيبي لا تتهجم هكذا لقد وعدتك أنني سأكون لك في يومي العطلة.

أدار وجهه تجاهها ينظر لعينيها اللتين آسرتاه منذ أن كانت في الخامسة من عمرها لتضيق هي عينيها بمرح، بينما تجعد ملامحها الطفولية وتذم شفتيها بمزاح وهي تنظر بطرف عينيها إلى الساعة التي تعدت الثانية عشر والنصف فهي اليوم إجازة ولا يعلم ستراش بقدومها، لكنها على أية حال يجب عليها الصعود حتى تبحث عما تريد فهي لن تجد أية معلومات عن اسم هذا الكتّاب سوى في حاسوبها الخاص بالعمل، تحركت نحوه تقبله على وجنته برقة جعلته يبتسم لها وهو يمسك كفها مقبلًا إياه قائلاً بصوته الأجش الذي تعشقه:

-انتبهي لنفسك جيدًا ولو شعرتي بأي تعب عديني يا آنا أن تهاتفيني وسأكون هنا على الفور.

أومت برأسها وهي تترجل من السيارة ليخبرها:

-سأنتظرك هنا في الثالثة لا تتأخري.

التفتت نحوه تلوح له بكفها ثم بحركة مسرحية انحنت له وهي تردد بشفتيها:

-"السمع والطاعة".

ضحك على خفتها التي يعشقها، فهي امرأة تستطيع قلب كيانه من النقيض إلى النقيض بنظرة من عينيها، تنهد بعشق يملأ قلبه تجاهها وعيناه ما زالتا تتابعنها حتى اختفت عن ناظره داخل المبنى، أغمض عينيه وهو يذكر سنوات كثيرة مضت وهما معًا لا يفارقان بعضهما البعض فهذه كانت وصية جدهما، هو يتذكر جيدًا هذا اليوم المشؤوم الذي لا تتذكره آنا لصغر سنها وقتها، لن ينسى جسد جده المُمدد على الفراش بهزل شديد والعائلة بأكملها يلتفون حوله ليفتح عينيه التي تماثل آنا، فلم يأخذ أحد لون عيني أجدادهما سواها في هذه العائلة الكبيرة، أشار الجد نحوه ونحو آنا ليسمع هو همسات عماته وأعمامه الباقين من خلفه بكلمات لم يفهمها قط، ليقترب أبوه وعمه والد آنا خلفهم فوضع الجد كفه على رأس آنا ليتجهم وجهه على الفور، قبل أن تنقلب ملامحه للحزن الشديد حتى سقطت دمعة من عينه وهو يمرر كفه على شعرها برفق، وآنا تنظر له بحب وتبتسم وهي تقفز بمرح كعادتها ليبتسم لها الجد وهو يقول كلمة لم تفارق ذهنه:

-ستكونين فتاة قوية يا حبيبتي؛ لكن عليكِ أن تحذري فلن تحصلي أبدًا على كل ما تتمنين.

ثم نظر لإيدين حتى يقترب منه فدفعه والده للأمام ليضع الجد كفه على رأسه قائلاً:

-وأنت يا بني قدرك أن تعاني معها؛ لكن في النهاية عليك أن تختار بينك وبينها.

لم يفهم ما قاله جده؛ لكنه يحفظ هذه الكلمات عن ظهر قلب من يومها؛ خاصة عندما أمر الجد والديهما أن لا يفترقا أبدًا مهما حدث، ليتفاجأ جميع العائلة بقرار جده الواجب نفاذخ لأبيه وعمه:

-يجب عليكم أن تهاجرا من هنا ولا تعودا أبدًا.

ثم نظر لعمه محذرًا إياه:

-لا تأمن سوى لأخيك وأولاده ولا تمكث في بلد أكثر من خمس سنوات، وحين يحين الأوان يجب عليك أن تجهزها جيدًا.

أحنى عمه رأسه بطاعة، بينما فعل أبوه بالمثل، ليشير لهم الجد بالخروج جميعا من غرفته، لتدخل عمته بعد قليل لتطمئن عليه ليسمع الجميع صياحها من الداخل:

-لقد مات أبي!

فتح إيدين عيناه وهو يردد:

-ماذا سيحدث لنا يا آنا؟!

ثم انطلق بسيارته نحو بيتها فهو الآن بحاجة لجسدها حد الثمالة!

*****

شهقت دينس من أثر المفاجأة حين رأتها تقف أمامها، فانتفضت من على كرسيها لتتجه نحوها وتحتضنها بشوق وهي تتسأل بلهفة:

-هل أنتِ بخير؟! ماذا حدث لكِ؟!

ثم تركت احتضانها لتتفحص جسدها بيدها، كأمٍ كادت أن تموت قلقًا على طفلها:

-هل ما زلتِ تتألمين؟!

ثم شهقت حين تذكرت وجودها لتباغتها:

-ما الذي جاء بكِ اليوم يا مجنونة؟!

ابتسمت آنا للهفتها التي لم تعتادها أبدًا من أحد سوى أمها، تأملت ملامحها التي تحولت من السعادة حين رأتها للقلق -وهي تسأل عن حالتها -للغضب الآن من وجودها في المركز، لتوقفها قائلة:

-اهدائي يا دينس فأنا بخير، أقسم لكِ.

وضعت دينس كفها على صدرها تلتقط أنفاسها وهي تردد:

-حمداً لله.

ثم وضعت كفها على كتفها تربت عليها وقد ترقرقت عيناها بدموع متأثرة وهي تقول لها:

-مرحبًا بعودتك يا حبيبتي.

تطلعت آنا نحوها بتعجب فدينس هذه لم تكن أبدًا الصديقة المثالية لها، لكن ما أثار دهشتها هو قلقها عليها الآن دموع عينيها الحبيسة، تأثرًا على ما حدث لها جعلها تُعيد كلمات أبيها في عقلها:

"معادن الناس لا تظهر إلا وقت الشدائد، فإن آمنتِ بذلك ستدهشين حقًا".

ابتسمت لها بحب حقيقي، لم تكن تشعر به نحوها قبل الآن لتهُم باحتضانها وهي تمرر يدها على ظهرها قائلة:

-لقد سعدتُ برؤيتك اليوم دينس.

خرج استرش من مكتبه ليجدها أمامه تحتضن دينس، وبرغم تعجبه من إتيانها اليوم فإنه شعر أنه محظوظ جدًا لوجودها الآن، حاول السيطرة على سعادته وتقدم نحوهم بخطوات ركيزة وثقيلة وهو يضم حاجبيه قائلاً:

-ما هذه المفاجأة؟!

ابتعدت آنا عن زميلتها لتنطلق دينس بضحكتها المعتادة وهي تتخصر قائلة:

-لم تستطع الابتعاد عني أكثر من ذلك!

ضحك استراش وهو يمد يده نحو آنا التي صافحته وهو يقول لها:

-على أية حال لقد سعدت برؤيتك.

بادلته آنا الابتسامة وهي تشكره:

-أشكرك يا ستراش على مشاعرك هذه.

ثم تركت يده وهي تُكمل:

-وعلى زيارتك لي البارحة.

وضع يده في جيب بنطاله وهو يرفع كتفيه بزهو يليق به قائلاً:

-لا شكر على واجب يا آنا.

ثم بخطوات ثابتة تحرك نحو مكينة القهوة ليُكمل:

-عندما تستريحين قليلًا أريدك أن تطلعي على شيء ما.

ثم أمسك بفنجانه وانطلق على مكتبه تاركًا إياه تودع دينس بابتسامة، وتنطلق نحو مكتبها لتبحث عما جاءت من أجله.

*****

انحنى الرجل وهو يضع أذنه على السجادة المفروشة يسترق السمع بهدوء قاتل، بينما ظلت كوبا على حالها تأبى حتى أن تُخرج صوتاً لأنفاسها، ظلت على وضعها هذا لعدة دقائق، حتى سمعت صوت أقدامه يتوجه للباب مرة أخرى.

تنفست ببطء حتى تناهى إلى سمعها صوت إغلاق باب الغرفة، قررت أن تظل مكانها إلى أن تتأكد من خروجه بالفعل فهي تعرف مثل هذه الخدع، وبالفعل بعد عدة دقائق تعدت العشر انفتح الباب مرة أخرى وخطواته وصلتها وهو يترجل للخارج.

وقفت بعدما تنفست الصعداء لترتب الغرفة كما كانت ثم أخذت دفتراً صغيراً قد دونت بها كل المعلومات المهمة التي أخرجتها من الكتاب لتريها لآنا حين تعود،

نظرت لساعة يديها فوجدتها تخطت الواحدة ظهراً، فقررت أن تجلس ثانية لبعض الوقت لتُكمل باقي الكتاب الذي تركه لها زوجها ونبهها أن لا تفتح غيره، ألقت نظرة نحو فتحة الغرفة المغلقة وهي تردد:

-ما زال هناك بعض الوقت.

*****

كتبت في مربع البحث في حاسوبها "Esta Kurgaz"، لحظة واحدة وكان أمامها مواقع عدة، فتحت أولها فوجدتها تتحدث عن منتج لتنظيف الأغراض المنزلية.

زفرت بضيق لتفتح الموقع التالي الذي يشير لمكان ما على الخريطة، للحظات ظلت تتأمل الموقع لتُدخل إحداثياته عبر موقع خاص بالخريطة العالمية لتجدها اسماً لإحدى المدن في كولمبيا!

ظلت تتصفح فلم تجد أي معلومة تفيد أن هذا الاسم هو اسم كتّاب، أصابها الضجر بعد مدة ليست بقصيرة، ليأتيها صوت رنين الهاتف الداخلي الخاص بمكتبها، تلقت الاتصال لتجده ستراش يدعوها لمكتبه على الفور في أمر مهم!

ضمت كفيها بعضها البعض ثم وضعتهما تحت ذقنها وهي تتأمل الشاشة وتفكر ما الخطأ؟

هل يمكن أن تكون دونت الاسم بحروف ناقصة أم

زائدة، تأففت وهي تردد:

-أنا لم أكتب بالعربية منذ زمن مؤكد هناك.

جحظت عيناها وقد شعرت بالغباء الشديد وهي ترى الحروف التشيكية تزين مربع البحث!

خبطت بكفها على جبهتها:

-يا لغبائي المتناهي!

رنين استدعاء استراش جعلها تنتفض من مقعدها وتنطلق نحو مكتبه بخطوات سريعة وغاضبة فهي هنا من أجل شيء ما، ومؤكد العمل ليس من اهتماماتها اليوم، مرت على دينس التي لوحت لها بابتسامة لتقذف نحوها قبلة هوائية جعلتها تبتسم بخفة وهي تبادلها القبلة وتذم شفتيها بوجه مُضحك.

وصلت لمكتب استراش فطرقت عليه ليأتيها صوته المتعجل على غير عادته:

-ادخلي على الفور.

أغمضت عيناً وفتحت الأخرى، بينما حاجبيها متدلٍ وهي تنظر لستراش الواقف على جهاز مجهري كبير خاص بتحاليل الدم ووجه متجهم ينظر داخل العدسة المكبرة بينما جسده يهتز بتوتر، اعتدل في وقفته فأرخت ملامح وجهها ليشير إليها وتتقدم نحوه، فرفعت كتفيها بتساؤل جعله يدعوها لتنظر عبر المكبر وهو يقول لها:

-دققي النظر في هذه العينة.

انحنت نحو المنظار لتغمض عيناً وتفتح الأخرى تتطلع لنقطة الدماء التي تنقسم بشكل عملي وبمميزات خاصة، لتسمع صوته يسألها بفضول وكأنه يشك في تحليله أو ربما يختبرها لغرض ما هكذا شعرت:

-ماذا ترين؟!

اعتدلت في وقفتها فالعينة واضحة كالشمس والأمر ليس فيه لبس أو تدليس، أجابته بثقة:

-بحسب أنواع البروتينات أو Antigens التي تظهر على سطح كريات دمه الحمراء فهذه العينة من فصيلة AB+ .

خلل شعره بأصابعه وهو يقول بحيرة:

-أنتِ واثقة إذن إنها عينة دماء بشرية؟!

رفعت حاجبًا واحدًا وهي تتسأل بتعجب:

-مؤكد يا استراش هذا عملي الذي لا يضاهيني فيه أحد منذ خمس سنوات وقبلها أكثر منهم في التعلم في أكبر جامعات العالم.

لم يعلق استراش على حديثها الواثق بينما أمسك هاتفه يعبث به قليلًا مما جعلها تضم كفيها وقد بدت علامات الحنق تظهر على وجهها ليصبح صوتها حاداً وهي تقول:

-أتشكك في مهنيتي؟!

رفع وجهها وهو يُمسك بالهاتف ليريها مقطعاً مصوراً وهو يخبرها:

-شاهدي هذا بتركيز.

أخذت الهاتف من يده باستياء وهي تشاهد لتبرق عينيها وتتسع حدقتيها وهي ترى استراش واقفاً والثعبان يلتف حوله، حتى ارتخى جسد الثعبان ووقع أرضًا لترى

استراش ينحني نحوه وبإبرة تعرفها جيدًا أحدث ثقباً كبيراً في جسده لتتساقط الدماء من الثعبان فالتقطها ستراش في أنبوبة مختبر ووضعها في جيبه، وعند هذا الحد توقف المقطع!

سحب ستراش الهاتف من يديها وهي ما زالت على وقفتها المشدوهة وجسدها يتشنج تلقائيًا مما رأت، ليصدمها استراش أكثر بقوله:

-العينة التي رأيتها منذ قليل هي نفسها التي أخذتها من الثعبان الضخم، لأعرف فصيلته النادرة التي تجعله بهذا الحجم العملاق!!

*****

خرجت كوبا من القبو بحذر شديد، رغم أنها تكاد تُجزم أن من جاء ليبحث عن الكتب قد رحل منذ ساعات بعد أن يئس أن يجد شيئاً، ترجلت من الباب الخلفي للغرفة ومنها إلى الحديقة لتُسرع في خطواتها نحو منزلها لتدلف للداخل وهي تلتفت حولها، تفحصت المنزل سريعًا فلم تجد شيئاً مريباً فهؤلاء اللعُناء أصبحوا محترفين بشكل لا يصدق؛ لكنها على أية حال اعتادت الأمر؛ لكن المخيف فيما حدث أنهم لن يستطيعوا الانتقال من براغ

بعدما سقط الشهاب هنا ولذلك عليها الحذر الشديد واتباع اللازم حتى لا يقتحم أحدهم المنزل مرة أخرى أو أن يكون هناك من يراقبهم.

صعدت لغرفة آنا وأخرجت الدفتر الصغير من جيبها ثم وضعته في درجها الخاص لتنزل السلالم بهدوء ثم بخطوات ثابتة انطلقت نحو جهاز الإنذار الداخلي، لتغير كلمة السر التي من المؤكد اقتحمها الدخيل ثم فَعّلت خيار بصمة اليد حتى لا ينفتح الباب لسواها وبذلك لن يشك من جاء اليوم بوجود شيء في الغرفة الخارجية للحديقة.

-يجب أن أتذكر كي أخبر آنا أن تضع بصمتها هي الأخرى.

دلفت للمطبخ وهي تشعر بمعدتها تتوسل لها أن تتناول شيئاً ما، فقررت أن تبحث عن شيء خفيف مع كوب من الشاي بالهيل الذي تعشقه، ثم تبدأ بعدها في صنع طعام الغداء فلم يتبق سوى القليل على عودة آنا.

*****

عادت آنا لمكتبها شاردة الذهن تفكر فيما رأته منذ قليل، وعينة الدماء الحيوانية التي من المستحيل أن تُصبح

بشرية بمجرد وضعها تحت المجهر! هناك احتمالان يدوران برأسها الآن، إما أن يكون استراش كاذباً وهذه عينة أخرى لبشري وبذلك فهو يريد اختبارها لشيء ما ما زالت تجهله، أو الاحتمال الآخر والأصح بناء على شخصية استراش التي تعرفها جيدًا منذ خمس سنوات، أنه بالفعل صادق وهذه هي عينة الأناكوندا التي رأها أمس على الشاطئ وهناك أمر خطير لا تعرف كنهه؛ لكن تشعر بقوة أنه يعود إليها وإلى ما يحدث لها كل ليلة بعد الثانية عشر!

نظرت نحو الحاسوب لتكتب بالعربية "ائيستا قورقاز" ليظهر لها على الفور مقال في موقع ويكيبيديا بصفحة واحدة مدون به: الرقوم السماوية.

"أسطورة سومرية قديمة عن إحدى عشر رُقم من حجر فريد، نقشت عليه رسوم ومخططات عن هيكل الكون، وكيف يجب على الجنس البشري إتمام بناء الكون، ويؤمن السومريون أن ثلاثة إخوة من العائلة التي ملكت هذه الرقوم اختلفوا بفتنة من الشيطان، وضاعت الرقوم في الأرض وعليهم البحث عنها.

اتسعت حدقتيها لتقفز في عقلها حُلمها الذي رأته وهي نائمة بعد الحادث ليتشكل في عينيها رؤية الرجل الضخم

الكبير والأحجار المتراصة في الغرفة المخملية!!

وشجاره مع الاثنين الآخرين من العمالقة، هل يُعقل؟!

أكملت المقال وهي تلتهم الحروف بعينيها، الصحائف السمائية وهو كتاب النور أو الشمس المعروف باسم " ائيستا قورقاز" لدى السومريين القدماء ويحمل الكتاب معنى ومضمون الرقوم السمائية، وكُتب الكتاب الذي عُرف باسم كتاب الصحائف أو كتاب الأرواح الذي يحمل نقوشاً ورسوماً مكتوبة بالدم المخلوط بالزئبق لكن الكتاب لم يُعثر عليه أبداً.

إنما تروي القصص المعروفة حول الكتاب أن للكتاب وجهاً آخر مضاد كتب على أيد أحفاد الجن أبناء الجن من شيطان الشر "عقازئيل " بأيدِ تسعة ملوك من ملوك الأرض لكتابة الكتاب الذي سماه القدماء باسم:

"المصفوفة السوداءמטריצה שחורה".

شهقت آنا وهي تتذكر المسخ وما قاله للشيطان الكبير الجالس على كرسي العرش حينما دخلت في الكتاب ليلة أمس!

مؤكد هذا هو عقازئيل! ضغطت على إغلاق للصفحة ثم إغلاق الحاسوب وأخذت حقيبتها وخرجت مسرعة من الغرفة لتُقابل دينس التي سألتها:

-إلى أين يا آنا؟! هل حدث شيء؟!

لم تلتفت إليها حتى وهي تُجيبها:

-أخبري ستراش أنني شعرت بالتعب وعدت للمنزل.

دخلت المصعد ومنها للشارع الرئيسي لتوقف سيارة أجرة وهي تخبره عنوان بيتها ثم أخرجت هاتفها لتبعث رسالة نصية سريعة لإيدين تبلغه بها عن عودتها للمنزل وأنها بحاجة للراحة وستحدثه غدًا، وقبل أن تنهي الرسالة أكدت عليه ألا يأتي للمنزل اليوم، ثم اغلقت الهاتف ووضعته في حقيبتها ثانية وقد عزمت أمرها على الدخول الليلة للكتابة نفسه حتى تفهم ما يحدث!

*****

أصدر هاتفه صوت وصول رسالة من أحدهم، ليتحسس إيدين بيده المنضدة جواره حتى وقع كفه على زر الإضاءة فضغطه لتنير الغرفة من مصباح صغير بجواره

جعله يرى هاتفه ليلتقطه بيده، تململت ميلان بجواره وهي تصدر صوتاً متذمراً من الضوء الذي اقتحم عينيها النائمتين، لترفع كفها نحو صدره العاري وتحرك أصابعها عليه وهي تقول بصوت ناعس:

-أغلق الضوء يا إيدين.

لمعت عيناه وهو يرى اسم المُرسل ليفتح الرسالة على عجل وهو يتوقع أنها تريد رؤيته، لتصيبه الصدمة حين وجدها تطلب منه أن لا يراها اليوم، زفر بضيق وهو يصك أسنانه بغيظ جعل ميلان تجلس وهي تضم حاجبيها بتعجب وتسأله وهى تلتصق بجسده:

-ما الذى حدث؟!

نظرت للهاتف الذى بيده وهي تقول:

-هذه آنا؟!

لم يجبها فضحكت بعنج قائلة:

-لا أحد يفعل بك هذا سواها.

نظر لها نظرة تعرفها جيدًا لترتفع ضحكتها ثانية وهو يجرها نحوه بيد وباليد الأخرى يُغلق الإنارة التي بجواره، ليعلو صوت صياح ميلان الماجن.

*****

اليوم الرابع

٤-أكتوبر

جلست آنا بغضب وقد عَلا صوتها وهي تقول:

-أنا لا أفهم لما يمكنني النزول للقبو الآن؟!

نظرت لها كوبا بحنق وهي تلتفت حولها بريبة:

لتصيح بها:

-ألم أخبرك منذ الصباح ما حدث معي، اخفضي صوتك، ثم إنني أخبرتك أنك لن تستطيعي أن تنزلي إلى هناك قبل أن نُصبح في يوم جديد.

-لماذاااا؟!

مطت بها آنا شفتيها وهي تصك أسنانها وتكتم صوتها حتى لا يعلو، زفرت كوبا بضيق وهي تردد:

-هكذا أخبرني والدك "لا يمكن أن تدخل آنا للكتب

مرتين في يوم واحد، سيحدث لها مضاعفات نحن في غنى عنها".

جلست آنا تنظر للساعة التي تعدت الثانية عشر وهي تُشير لأمها على ساعة الحائط وتقول لها بغيظ:

لقد أصبحنا في يوم جديد منذ عشرين دقيقة.

كادت أن تقطع كوبا شعرها وهي تصرخ بها:

-ماذا بكِ؟! لقد أصبحت أكثر غباء مما كنت أظن، ألم أخبرك عن الذي اقتحم بيتنا بالصباح وقلت لكِ منذ قليل من الممكن أنه يراقبنا الآن فيجب علينا أن نتأخر قليلًا، اهدأي يا آنا واطلعي على المعلومات التي أخرجتها لكِ.

-يا أمي لقد قرأتها مئة مرة منذ أن عدت من العمل ولم أفهم منها شيئًا!

هدرت بها آنا وهي تُمسك الدفتر بيدها، أخذت منها كوبا الدفتر وهي تفتح أولى صفحاته قائلة:

-أنا لم أفهم تمامًا ما هو مدون لأنني لا أمكث داخل الكُتب طوال الليل، مؤكد قد قابلتِ معلومات تُفيدك عن

هذه اللعنة.

هزت رأسها نفيًا:

-لا، لم أقابل شيئاً.

ثم خطفت الدفتر من يد أمها وهي تفتح صفحاته وتردد بصوت مرتفع علها تصل لشيء ما:

-مخطوطة جيجياس قد تم كتابتها بيد راهب في دير القديس بنديكتين الذي يقع في جمهورية التشيك، ويقال إن لهذا الراهب قصة وهي أنه قام ببعض الأفعال الخاطئة، وتم محاكمته وانتهي الأمر بالحكم عليه بالتصليب حياً، ولكي ينجو من العقاب قام بتقديم عرض وهو تأليف مخطوطة عملاقة لا مثيل لها، على أن تضم هذه المخطوطة جميع العلوم والمعارف التي توجد في العصر، والمذهل في الأمر أنه عرض أن يقوم بكتابتها في ليلة واحدة فقط، ولأن الرهبان وجدوا أن عرضه مستحيل تنفيذه فوافقوا على العرض؛ لكن الغريب أن هذا الراهب قام بفعل طقوس معينة من أجل الاستعانة بالشيطان لإنهاء هذه المخطوطة، وقام بعقد صفقة معه كان نصها هو "أن يقوم الراهب بتسليم روحه للشيطان بموجب هذه الصفقة، بالإضافة إلى ترك مساحة من الكتاب له ليتحدث مباشرة

إلى البشر".

وتم كتابة المخطوطة ومن هنا أطلق عليها اسم كتاب الشيطان، ويقال إن بهذه المخطوطة صورة للشيطان.

تكلمت كوبا وهي تناولها المفتاح الخاص بالصندوق المعدني:

-خذي هذا وافتحي به الصندوق المعدني بالأسفل ستجدينه بأسفل المكتبة انظري بداخله عن صورة الشيطان المدونة في المخطوطة، وابحثي أنت عن معلومة ما.

لتفكر قليلًا ثم أخذت المفتاح مرة أخرى وآنا تنظر نحوها بتعجب:

-لا، لا اجعلي تركيزك فيما يخصك، ودعي هذا الأمر حتى لا يتشتت انتباهك، مؤكد ستعرفينه في وقته، فأجدادك لم يتركوا لكِ شيئًا سيساعدك إلا وقد دونوه، اذهبي الآن واطلعي على الباقي.

تنهدت وعيناها مثبتتان تنظران للفراغ أمامها وهي تردد:

-منطقي، خاصة أن ما ذُكر عن هذه المخطوطة ليس

مختلفاً عما رأيته في اليومين السابقين، دومًا كانت هناك روح تُباع للشيطان، لأجل غرض ما لكني لا أفهم ما علاقة كُل هذا بالثُعبان المعدني؟!

أمسكت الثُعبان بين سبابتها وإبهامها وهي تلفه بينهما:

-وأكاد أجزم أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين هذه القطعة وبين ما ظهر اليوم في تحاليل المعمل، وهناك شيء آخر.

ضمت كوبا حاجبيها بتساؤل لتُكمل آنا:

-الدير صاحب الحادثة الأخيرة، هنا في التشيك والشهاب أيضًا سقط هنا!

لتردد بحماس:

-يجب أن أذهب لهذا الدير وأبحث هناك عن شيء ما.

أمسكت أمها بكفها قائلة:

-حسنًا دعي هذا الأمر الآن واذهبي للقبو.

-ألن تأتي معي؟!

سألتها آنا بتعجب، لتُجيبها كوبا:

-لا سأظل بالخارج أرقب جيدًا حتى تنزلين لأسفل، لأنني ما زلت لا أشعر بالراحة حيال هؤلاء المتطفلين.

ضيقت عينيها بحزن وهي تقول:

-أنتِ لم تُخبريني حتى الآن من هؤلاء؟! وماذا يريدون؟!

ربتت على كتفها قائلة:

-سأخبرك كل شيء بوقته، ومن الجائز حين يأتي الوقت تصبحين على معرفة به من كتبك.

أومت برأسها ثم تحركت نحو غرفة الحديقة، وقد تشوش عقلها بكل هذه الأحداث المتلاحقة؛ لكنها اليوم لديها إصرار شديد لمعرفة ماذا حدث مع نيبائيل.

وصلت للقبو بحذر كما أخبرتها أمها حتى تأكدت أن لا أحداً يتبعُها، نزلت السُلم بلهفة حتى وصلت للكتاب وبمجرد أن فتحت غلافه حتى اختفت داخله، وصلت للسوق الكبير لتفزع من وجودها بين حرب ضارية وجثث

متحللة ووجوه مفزعة ليست من البشر!

انعقد لسانها وجحظت عيناها وتدلى فمها للأسفل وهي تدور حولها برعب بيّن، وقد شُلت حركتها لتقف في المنتصف والسيوف تعبر من خلالها، وملامح الجن تصيبها بالفزع والغثيان في آن واحد.

لم تشعر بشيء للحظة حتى وجدت نفسها فوق البرج، التفت حولها لتجده يقف أمامها يتسأل بقلق:

-هل أنتِ بخير؟!

رفعت رأسها وفغرت فاها وهي تنظر نحوه بدهشة!

رجل يفوق طولها أضعاف لديه شعر طويل وكثيف وناعم، وجهه أبيض ومريح بشكل لا يصدق، ملامحه رقيقة وجسده عريض ومفتول، خرجت من دهشتها وهو يقول لها بصوته الرخيم:

-أغلقي فمك يا فتاة، فمؤكد رأيتِ بكتبك من هم أكبر مني حجماً.

تنحنحت وأغلقت فمها الذي جعلها تبدو كالبلهاء لتُحدثه

بحالمية:

-بالفعل رأيت من هم أضخم منك حجمًا، لكن وجوههم بشعة المنظر وصوتهم غليظ ومخيف.

ابتسم نحوها وهو يستعد للعودة للمعركة:

-لا تتحركي من هنا حتى أعود إليك.

ثم أشار بسبابته نحو السوق لتتبعه آنا بعينيها:

-تستطيعين رؤيتنا من هنا.

وقبل أن تلتفت إليه لتسأله من هو كان قد غادر البرج، زفرت بضيق وجلست على إحدى المصاطب الحجرية تراقب هذه الحربِ الشعواء التي لم تنتهِ بعد، بينما عيناها تتجولان بحثًا عن جَدها لتجده يقابل عقازئيل وقد أرداه الأخير بقبضته ليقع أرضًا.

وقفت بتوتر بالغ وقبل أن تصرخ باسمه مثل الليلة السابقة وجدته ينهض سريعًا يلف ذراعه حول رقبة الشيطان، بينما عقازئيل لا يستطيع الفكاك منه وظل يتلوى تحت ذراعه ليحكُم نيبائيل قبضته عليه ويجره خلفه نحو قصره

الذي رأته بالأمس.

وقفت تفرك بكفيها تنتظر أن ينقلها أحدهم إلى هناك كما يحدث في كل مرة ليلفت انتباهها هذا العملاق الذي كان معها منذ قليل، وهو يختفي ويظهر تارة أمام المسخ الكبير يطعنه بسيفه وتارة أمام المسخ الصغير يضربه بمطرقة كبيرة على رأسه، دققت النظر لوجهيهما لتجد أنهما خادمان عقازئيل اللذان رأتهما الليلة الماضية،

تبعته بعينيها لتجدهما بعد مدة ليست بكبيرة يقعان أرضًا، وقبل أن تتحقق من موتهما شيء ما سحبها لتجد نفسها خلف جدها في قبو مظلم يملأه النيران على جوانبه، لتتحرك في الممر الطويل بقدمين يرتعدان خوفًا، حتى وصلت لزنزانة دائرية الشكل كبيرة الحجم رائحتها تُصيب بالاختناق.

ظلت تسعُل من الرائحة العفنة لتغطي أنفها براحة يدها، وهي تقترب منها لتجد جدها يقف أمام القضبان الحديدية يتلو كلمات لم تفهمها بلغة لا تعرفها، وبالداخل عقازئيل يفترش الأرض ميتًا؟!

ضمت حاجبيها وهي تردد بهمس:

-لو كان ميتًا لما حبسه جدي، مؤكد أنه فاقد الوعي.

وقبل أن تتم جملتها وجدته يتحرك بعشوائية ليعلو صوت جدها بما يردده حتى انتفض عقازئيل واقفًا، ليصرخ بصوته المخيف جعلها تترك أنفها وتضع يديها على أذنيها كي لا تصاب بالصمم من صوته الكريه.

اختض جسدها للخلف وهي تراه يصطدم بالقضبان الحديدية الغليظة ليرتد للخلف عندما انطل منه هالة ضوئية جعلته يسقط أرضًا وكأن أحدهم دفعه بكل قوته، عند هذا الحد توقف نيبائيل عما يتلوه وهو يبتسم براحة جعلته يلتفت نحوها، ويغمز لها بعينه ويمُد لها يده لتُمسك بها، حركت رأسها بتساؤل ليومئ هو لها "إنها ستفهم فيما بعد".

انتفضت فزعة مرة أخرى من صوت عقازئيل الذي تحدث بالعربية المفهومة هذه المرة وهو يهددهم:

-لن أتركك أنت ولا أبنائك يا نيبائيل، أعدك أنني سأخرج من هنا بعد قليل ووقتها سأقضي عليك وعلى جميع ذريتك حتى قيام الساعة.

انقبض قلبها من صوته وحديثه البغيض، لتشعر داخلها بشيء يُخبرها أنه نفذ تهديده بالفعل!

انتقل بها جَدها للخارج لتجد نفسها على قمة البرج بجواره، وبجانبه الرجل الضخم الوسيم الذي قابلته منذ قليل، وتحت البرج امتلأت الساحة الكبيرة بالبشر لتصل الجموع لمدد البصر، وبصوت رج المكان رجًا وقف نيبائيل يحدثهم باللغة السومارية القديمة، التي أصبحت تفهمها جيدًا منذ أن بدأت في الولوج داخل الكُتب:

-لقد انتصرنا يا إخواني على الملعون عقازئيل.

ثم أمسك يد الرجل الضخم ليرفعها عاليًا وهو يُكمل:

-وقد قتل آصف الملكين الصغير والكبير الذي سخرهم هذا الملعون لاستعبادكم.

هلل الجميع بصياح كبير ليوقفهم نيبائيل بإشارة من يده وهو يقول:

-لقد عاوننا الجن لفعل المستحيل ولولاهم لما استطعنا الانتصار عليهم، فمنذ ألف عام ونحن نحاول لذلك، فهم في أمان ببلادنا ما داموا يلتزمون بالقوانين الخاصة بنا.

رفعوا أيديهم بسعادة وهم يصيحون باسمهم لينهي حديثه قائلًا:

-أنتم الآن أحرار تملكون قوت يومكم، وحُلي نسائكم، وأموالكم، والأهم من كل ذلك أنكم أصبحتم تملكون أرواحكم.

ثم تركهم يحتفلون، ونظر نحو السماء حين شعر بقدومها ليجدها أمامه بهيبتها قائلة:

-بعد السلام أنت تعرف يا نيبائيل أن سجنك لن يصمد أمام عقازئيل.

أرخى قبضته وهو يبتسم نحوها قائلًا:

-وعليكِ السلام يا فيجا، ولهذا أود أن أسألكِ، هل تضمنين لي أن تصعدي به لسجنك دون أن يحاول هو الهرب وينجح!

نظرت له بتحدٍ:

-إن كنت قد نسيت من هي أقوى حارسة للسماء فدعني أجرب.

هز رأسه نفيًا وهو يحرك كتفيه باعتراض:

-لن أجازف.

تركته فيجا وانطلقت عائدة لقصرها وهي تحذره:

-سوف تندم يا نيبائيل.

تبعتها آنا بعينيها التي كادت أن تخرج من محجريهما ليُمسك جدها بيدها يقدمها لآصف قائلًا:

-لقد انتهى جزأي هنا سوف يريِك آصف ما تبقى من الكتاب.

نظرت آنا لعينيه وما زالت الدهشة تعتلي ملامحها وهي تسأله:

-من هذه؟!

أجابها ببساطة جعلتها تكاد تقطع شعرها:

-حارسة سماء.

ضيقت عيناها وهي تناديه:

-جد ييي!

ليبتسم نحوها:

-معلومة ليست مهمة لكِ يا آنا، ركزي على ما تبقى من الكتاب.

تركت يد آصف قبل أن ينتقل بها لتنطلق تجاه جَدها تتعلق برقبته وهي تهمس له:

-سأشتاق إليك.

ربت على ظهرها وهو يهمس لها كما فعلت هي:

-ستجدينني هنا كلما أحببت رؤيتي تعالِ إلي.

تركته لتنزل أرضًا فأوقفها وهو يُمسك يدها بملامح يبدو عليها القلق والحزن قائلًا لها:

-احذري يا آنا.

فتحت فمها لتسأله فوجدته اختفى من أمامها، استدارت

نحو آصف الذي ما زال ينتظرها لتضيق عينيها وهي تتأمل لون عينيه قائلة:

-أنت لست من أجدادي أليس كذلك؟!

سألها بتعجب بدا على وجهه:

-وكيف عرفتي ذلك؟!

أجابته بذكاء أعجبه:

-لون عينيك مختلف عنا.

أومأ برأسه وهو يمُد لها يده قائلًا:

-نعم لست من أجدادك، لكن أنا من دونت ما سيأتي، لأن أجدادك لم يعرفوا بما حدث في هذا الجزء.

مدت يدها إليه ليلفت نظرها سوار أخضر اللون لامع شكله جميل وعجيب في الوقت نفسه، لم تستطع كبت فضولها وهي تسأله:

-من أين لك هذا السوار؟!

لم يُجيبها وهو ينتقل بها نحو السوق الكبير الذي اختلف كليًا عما رأته منذ لحظات، فقد عج بجنود قصار القامة بأجساد ممتلئة يشبهون الأقزام؛ لكن وجوههم قبيحة بشكل لا يُصدق، ثم تحركت إلى القصر الكبير الذي يقطنه ملك مثلهم قصير الحجم بجسد ممتلئ أكثر منهم،

يتدلى جلده من كل جسده، ووجه قبيح المظهر يشبه جنوده إلى حد كبير، يجلس على العرش بخيلاء لا تليق به على الإطلاق.

لتجد نفسها تنزل لأسفل تقف أمام زنزانة عقازئيل برائحتها العفنة وشكلها القابض للأنفاس،

تعجبت من أنه جعلها ترى كل شيء حولها، وهي تنتقل بشكل بطيئ وليس مثل كل المرات السابقة، أوقفها أمام رجل دميم الشكل وجهه يمتلئ بالبثور بعينين بارزتين مخيفتين للغاية، يرتدي ملابس بمظهر قذر للغاية، جعلها تشعر بالغثيان من رؤيته.

جلس هذا الرجل أمام القضبان على ركبتيه ووضع يده بمحاذاة الحديد دون لمسه، وهو يردد كلمات بصوت بغيض جعل قلبها ينقبض بداخل صدرها لتَضيق عليها أنفاسها

حتى أمسك آصف بكفها يربت عليها وهو يهمس لها:

-اهدأي يا آنا.

نظرت نحو عقازئيل الذي جلس على الأرض متربعًا ينتظر الإشارة من ذي الوجه الدميم، استمر الرجل بترديد الكلمات المتشابهة إلى حد كبير لتكتشف آنا أنها تعويذة شريرة جدًا، جعلت القضبان تصدر شررًا ليقف عقازئيل منتفضًا يتنفس براحة وهو يعبُر من خلالها دون أن تُصده الهالة الضوئية ليلتصق بالحائط كما حدث سابقًا، أوقفه الرجل الدميم وهو يقف أمامه ينهاه عن الخروج من القصر قائلًا:

-لن تستطيع الخروج للناس بهيئتك هذه يا سيدي.

احمرت عيناه بالغضب لينقلها آصف من هذا القبو للخارج، لتأخذ هي نفسًا عميقًا وهي تقول:

-أشكرك.

أشار إليها أن تنظر نحو ثور أسود اللون بقرنين طويلين وعريضين، جسده ضخم وكبير عن حجم الثور العادي، لتضُم حاجبيها وهي تتأمله لتقترب منه حتى اتضحت لها

الصورة كاملة، الثور غريب الشكل يقف في منتصف مجموعة من الناس الذين يرتدون زيًا أسود اللون موحد الشكل، وبيد كل منهم محبرة وريشة وبعض من جلود الماعز المجففة يكتبون عليها كل ما يقوله الثور باللغة السومارية القديمة.

نظرت نحو عينيه لتجدها سوداء قاتمة ذا بؤبؤ حمراء دموية لتعرفه على الفور وهي تردد:

-عقازئيل!

التفتت نحو آصف تسأله:

-ماذا يعلمهم هذا الملعون؟!

أجابها وهو يمد لها كفه لتتعلق به:

-السحر والشر كي يتموا كتابة "مصفوفة إبليس".

انتقل بها لموقع آخر لتتجاهل النظر لمكانها وهي تقول:

-تقصد المصفوفة السوداء أم هذه شيء آخر؟!

-نعم هي.

أجابها وهو يتطلع أمامه لتنظر هي إلى السماء المظلمة لا ينيرها سوى القمر الكبير الذي يتميز باللون الأصفر القاتم، أو كما يُطلقون عليه في زمنها القمر الدموي، أخفضت بصرها لتجد المجموعة التي كانت تلتف حول الثور ينظرون للقمر ويقف كل منهم في اتجاه مختلف، وهناك واحد يقف بعيدًا يدون ما يقوله كل منهم، تسألت بدهشة:

-ماذا يفعل هؤلاء؟!

أشار لها بسبابته نحو النجوم لتجدها تصطف كما رأتها يوم ولادة جدها نيبائيل ليهمس هو لها:

-يتبعون التقويم القمري كي يقومون.

توقف عن الحديث لتنظر إليه بتعجب لما صمت! فوجدت نفسها في الصباح أمام قرية كبيرة ليلتف بها آصف ببطء حتى ترى المجازر الجماعية التي تحدث على يد المجموعة الملعونة ليُكمل آصف همسه:

-بقتل كل سلالة جدك نيبائيل.

شهقت بفزع وهي تضع يدها على فمها ودموع عينيها تتساقط بألم، عند رؤية أجدادها وعائلتها الأصلية يُذبحون بأبشع الطرق على يد مجموعة من السحرة المرتزقة، أخذها آصف من أمامهم لبرج بابل لتجلس هي على الأرض تشهق ببكاء مرير وهي تتذكر أن لهذا السبب كانوا ينتقلون من كل بلد حتى لا يتم قتلهم، لحظات أمضتها بحزن على عائلتها لينحني آصف يربت على كتفها قائلًا:

-ما حدث قد حدث يا آنا، لكن ما سيحدث سوف يكون بيدك.

انتفضت واقفة بفزع وهي تردد:

-أمي!

رفعت يدها لتحاوط بهما مرفقيه قائلة بذعر:

-أريد العودة لأمي.

أزاح يدها برفق قائلًا:

-اهدأي يا آنا لن تستطيعي العودة قبل إنهاء الكتاب، لقد كسرت القواعد أمس وعدت بكِ على مسؤوليتي

الشخصية، عندما وجدتَكِ غفوتي منهكة من صُراخك.

هزت رأسها بتوتر:

-لا.. لا يجب أن أعود، أمي بمفردها وقد اقتحم أحدهم المنزل وغرفة الحديقة اليوم، ومن الممكن أن يعود ولو هذا الشخص من سلالة هؤلاء الملاعين فسوف يقتُل أمي.

حاول طمأنتها:

-هم يريدون الكُتب يا آنا وبالأخص ائيستا قورقاز.

كادت أن تقاطعه، لكنها توقفت حين نطق باسم الكتاب الذي كانت تبحث عنه بالصباح لتتسأل بدهشة:

وهل هذا الكتاب لدينا؟!

مد لها كفه لتُمسك به برغم القلق الذي ينتابها على والدتها، لكن آصف هذا جعلها تطمئن قليلًا بعدما التمست الصدق في صوته، انتقل بها نحو معبد كبير ليدلف بها داخله فانشرح صدرها لهذا المكان للمرة الأولى منذ أن وطأت قدمها هذا الكتاب، ببطء وروية تحركت معه

لتجد مجموعة من الناس يرتدون ملابس بيضاء تسُر النظر، وحولهم مجموعة من المباخر التي تصعد منها رائحة ذكية، يلتفون حول منضدة كبيرة وبيد كل واحد منهم ريشة يدونون بها أشياء غريبة.

تتوسط المنضدة ورقة بنية اللون دائرية مرسوم عليها شكل للشمس يخرج منها سهوم، وكل سهم مكتوب فوقه جُملة لم تفهم معناها سألته بهمس:

-ما هذا؟!

أجابها وهو يحني رأسه ناحيتها:

-التقويم الشمسي وما يدونوه هو كتّاب ائيستا قورقاز.

وقفت على أطراف أصابعها وهي تقول:

-وهل هذا الكتّاب يحوي بالفعل ما دُون في الرقوم السماوية التي اختفت بفعل الشيطان؟!

ضيق عينيه وهو ينظر نحوها قائلًا:

-من أين لكِ تلك المعلومات؟!

أجابته بابتسامة متفاخرة:

-رأيت حُلمًا البارحة عن الرقوم واستيقظت لأبحث عنها عبر الإنترنت حتى وجدت هذه المعلومات.

تعجبت حين اعتدل في وقفته ولم يسأل عن الإنترنت بالتحديد، وقد قصدت ذكره لتتحذلق عليه لكنه خيب ظنها بعدم اهتمامه، لينتقل بها لقرية في مدينة أخرى وقد سطعت الشمس على وجهها وهي ترى الأناس الذين يرتدون الملابس البيضاء في المعبد، يقف كل واحد منهم أمام كل بيت بالقرية ليدخلوه وبعد قليل يخرجون بترحيب من أهل البيت وعلى وجوههم ابتسامة مطمئنة، ليتبع النهار الليل حيث رأت السحرة الملاعين يقفون أمام القرية نفسها يلتفون حولها لفترة ثم يغادرونها بغضب شديد، همست لآصف:

-لا يرونها صحيح؟!

هز رأسه إيجابًا فابتسمت هي براحة وقبل أن تلاحظ وجدت نفسها في المكتبة السفلية، رفعت كفيها بجوارها وهي تردد:

-هذا فقط!

أومأ لها برأسه لتتنهد وهي تُعيد الأحداث:

-هؤلاء القوم أخرجوا عقازئيل.

أوقفها آصف مُضيفًا:

-ضال، قوم ضال تذكري.

رفعت كفها باستسلام:

-حسنًا لن أنسى، وبعدها تخفى الشيطان على هيئة ثور ليعلمهم السحر حتى يُتموا ما بدأه في المصفوفة السوداء.

وقبل أن يوقفها ثانية رفعت كفها:

-أو كما قلت مصفوفة إبليس، ليجتمع أبناء النور فوضعوا كتاباً مضاداً يسمى ائيستا قورقاز به معلومات قيمة كالتي كُتبت في الرقوم السماوية، ويستطيعون من خلاله حماية سلالة نيبائيل التي قُتل الكثير منها على يد السحرة أتباع عقازئيل.

ليُكمل لها آصف:

-وما زالوا يتبعونكم.

شهقت آنا وهي تركض نحو السُلم المعدني قائلة:

-أمي!

لتجد نفسها قبل أن تُدرك في منزلها، نظرت للخلف فلم تجده لتتجاهل ما حدث وكل ما يُهمها الآن الاطمئنان على أمها، ظلت تناديها بصوت مرتفع لتخرج كوبا من غرفتها راكضة نحوها بفزع تتسأل:

-ما بكِ يا مجنونة ستفضحيننا؟!

ركضت آنا تصعد السلالم نحوها لتحتضنها بسعادة وهي تردد:

-حمداً لله أنكِ سالمة.

أبعدتها عن أحضانها وهي تضُم حاجبيها بتعجب:

-وما الذي جعلك تقلقين حيالي؟!

تجعدت ملامحها بحزن قائلة:

-لقد رأيت السحرة وهم يقتلون أجدادي فارتعبت عليكِ أن يعود من اقتحم منزلنا اليوم لأذيتك.

ربتت على كتفها قائلة:

-لا تقلقي يا حبيبتي فقد علمني والدك أن أؤمن نفسي جيدًا، بالإضافة أن من جاء اليوم كان يريد الكُتب وليس قتلنا، وإلا كنا انتقالنا لبيت آخر كما تعرفين الإجراءات.

رددت بخوف وهي ترفع زاوية فمها بابتسامة:

-آصف كان محقًا.

شعرت بالتعب الشديد وهي تنظر لساعة الحائط التي تعدت السادسة والنصف لتقول بإنهاك:

-لقد تعبت من قلة نومي وأشعر بإعياء شديد حيال ذلك.

أمسكت أمها بيدها لتوجهها نحو غرفتها قائلة:

-هيا اذهبي إلى فراشك وسأوقظك في العاشرة صباحًا.

تقدمت تفتح باب غرفتها لتتذكر شيئاً فعادت لأمها التي كانت على وشك دخول غرفتها لتفاجأها بقبلة في وجنتها وهي تقول:

-تُصبحين على خير يا حبيبتي.

ثم انطلقت نحو غرفتها تاركة أمها من خلفها تنظر نحوها بحب خالص، وهي تلهث بالدعاء أن تمر هذه الأيام على خير لتعود لها ابنتها سالمة، بمجرد أن أغلقت آنا الباب وجدته يقف أمام الشرفة قائلًا:

- كان يجب عليَّ أن أودعك قبل أن أذهب.

اقتربت منه بخطوات واسعة وكأنها تريد أن تُقلص المسافة بينهما قدر ما تستطيع وهي تقول له:

-سعدتُ برؤيتك.

ابتسم لها ابتسامة جعلتها تتأمل ملامحه وهي تتساءل:

-أنت إنسي؟!

ضحك بصوت مرتفع ليجيبها:

-أنا لست هنا يا آنا أنا مت منذ زمن طويل.

أسبلت جفنيها بألم ليرفع هو وجهها بسبابته قائلًا:

-لا تحزني هكذا لقد عشت حياة حقيقة، وفعلت بها إنجازات عظيمة مُخلدة باسمي، وحين وافتني المنية مت على طاعة للرحمن.

ابتسمت بسعادة لأجله ليُكمل هو:

-أتمنى أن تحذي حذوي.

أومت برأسها ليقدم لها حجرًا زمردي صغيرًا يشبه لون عينيها ليضعها في راحة يدها، ويُطبق عليه أصابعها وهو يقول:

-إياكِ أن تُضيعيه يا آنا، سيكون لكِ منقذًا وقت حاجتك وإن شعرتي باليأس فنادي على يوناس من

خلاله.

سألته بفضول:

-من يوناس؟!

أجابها وهو يترك كفها ويرفع سبابته:

-هكذا حفظتِ اسمه، لا ترديه دون الحجر.

ثم نفخ في وجهها وهو يردد جملة بالعربية لم تعيها ثم اختفى! لم تشعر بشيء بعدها سوى يد أمها وهي توقظها:

-هيا يا آنا لقد هاتفك ستراش منذ ساعة مضت وقال إنه يريدك أن تتصلي به لأمر عاجل.

انتفضت جالسة تنظر حولها بريبة ليهدأ جسدها على الفور وتفرك عينيها بسبابتها، لقد اعتادت الأمر، مطت يدها بتكاسل وهي تتثاءب ناظرة للساعة بجوارها فوجدتها العاشرة مساءً، ضمت حاجبيها بتعجب وهي تقول لأمها:

-لقد قلتي لي إنك ستوقظينني في العاشرة صباحًا وليست العاشرة مساءً يا أمي!

ابتسمت لها امها وهي تُقبل جبهتها:

-لم أستطع إيقاظك لقد كنتي في عالم آخر.

ابتسمت وهي تقول لأمها التي أوشكت على مغادرة الغرفة بعدما فتحت لها النافذة:

-مساء الخير يا أمي!

اقتربت منها كوبا مرة أخرى تُقبل وجنتها بقوة:

-مساؤك سكر يا حبيبة أمك.

ثم خطت ناحية الباب قائلة:

-سأحضر لكِ طعامًا ريثما تهاتفين ستراش، لقد اتصل بكِ خمس مرات اليوم وقد أصابني الضجر من إخباره أنكِ مُتعبة للغاية ولن أستطيع إيقاظك.

ثم رفعت سبابتها نحوها قائلة:

-وهذا لا يبشر بخير.

أومت برأسها وهي تحسس فراشها تبحث عن هاتفها لتجد الحجر تحت وسادتها، أخرجته سريعًا تتفحصه بإعجاب فهو كلما حركته باتجاه مختلف تغير لونه بشكل مُذهل، أحكمت قبضتها عليه وقامت من الفراش تبحث عن شيء تضعه فيه حتى وجدت كيساً قماشياً ذهبي اللون صغيراً قد أهداه لها إيدين وبداخله قرط ماسي مميز، وضعت الحجر داخل الكيس ووضعته داخل حقيبتها الصغيرة التي لا تفارقها وهي خارج المنزل، بحثت عن هاتفها فوجدته على المنضدة، أمسكته لتهاتف ستراش الذي لم ينتظر سوى جرس واحد ليرد عليها قائلاً:

-أريد مقابلتك حالًا.

مطت شفتيها بدهشة فهذا ليس طبع استراش أبدًا، لكنها شعرت بشيء خطير لتجيبه على الفور:

-حسنًا، أمهلني ساعة وسنتقابل في..

صمتت ليكمل هو:

-سأنتظرك عند..

أجابته:

-حسنًا.

قبل أن تنهي المحادثة وتضع هاتفها بحقيبتها وتنطلق نحو خزانة الملابس لتخرج منها بنطالاً أسود اللون يعلوه قميص حريري فاتح اللون يشبه الكريمة الحامضة، دلفت لدورة المياه لتضع جسدها تحت صنبور المياه الدافئة، وتُغمض عينيها وهي تُعيد في ذهنها كل ما حدث! ظلت على هذه الحالة نصف ساعة حتى شعرت كوبا بالقلق فطرقت عليها الباب لتفتح آنا عينيها وهي تخرج من حوض الاستحمام وترتدي منشفتها وعقلها يعمل بالسرعة القصوى، ارتدت ملابسها سريعًا ثم وضعت قدميها في حذائها الأسود ذي الكعب العالي لتقف بعدها أمام المرآة تصفف شعرها القصير بسرعة لتخرج من الغرفة على عجل، وجدت أمها تجلس على المنضدة تقرأ الجريدة اليومية وهي تتناول قهوتها بهدوء، قبلتها على وجنتها وأخذت فنجانها المعدني وهي تتحرك بسرعة كبيرة، أوقفتها كوبا قائلة بعتب:

-تناولي شيئاً ما يا آنا لا تخرجي هكذا.

عادت آنا عدة خطوات لتلتقط شطيرة وضعت بها الزبد وفوقها العسل لتُقبل أمها ثانية وهي تودعها:

-انتبهي لنفسك وهاتفيني لأطمئن عليكِ.

حذرتها أمها:

-لا تتأخري فأنتِ تعرفين ما سيحدث الليلة.

أجابتها وهي تغادر البيت:

-لن أتأخر لا تخافي.

شعرت كوبا بشيء ما يراودها قد انقبض قلبها لتقوم من على مقعدها تتوجه للشرفة لترى ابنتها توقف سيارة أجرة وقبل أن تدلف بداخلها نظرت لفوق لترى أمها تراقبها فلوحت لها بقبلة هوائية جعلت كوبا تبتسم لها وقد ازداد شعورها السيئ أضعافًا!

*****

وصلت آنا المكان الذي أخبره به استراش لتجد نفسها على أعتاب دير قديم يلتف حوله أعمدة بناء ويلُفه لاصق أصفر اللون مكتوب عليه ممنوع الاقتراب، نظرت للافتة الكبيرة الموضوعة أمامه المكتوب عليها "قيد الترميم.. ممنوع

الاقتراب.. منطقة عمل".

ارتعش جسدها حين وضع استراش يده على كتفها قائلاً:

-تعالي معي لنجلس في مكان قريب.

رافقته بضع خطوات حتى وصلا لمقهى قريب من هذا الدير، جلسا على طاولة خارجية تواجهه ليطلب ستراش من النادل قهوته المعتادة وهو يسألها:

-هل تريدين شيئاً؟

هزت رأسها نفياً ليشير ستراش للنادل بالذهاب لجلب قهوته، بينما أخرجت آنا فنجانها المعدني من حقيبتها وبدأت في تناوله وهي تسأله:

-ما الأمر الخطير الذي طلبتني مرارًا من أجله؟!

أجابها استراش وعلامات القلق بادية على وجهه:

-هل تتذكرين عينة الأمس؟!

أومت برأسها ليُكمل:

-تتبعت الأخبار عن هذه الأناكوندا فعرفت أنها خرجت من هذا الدير لذلك حذروا الاقتراب منه.

ضيقت عينيها بعدم فهم ليتبع هو:

-وبعد بحث عميق عن اسم هذا الدير عبر التاريخ، لأنني أعرف قديماً أنه أقدم دير في التشيك وجدت أنه..

توقف حين جاء النادل بطلبه ليأخذه منه على عجل لينصرف النادل وآنا تنظر نحو استراش، وقد عاد لعقلها كل ما تحدثت بها مع أمها عندما عادت من العمل البارحة والمعلومات عن دير القديس بنديكتين، وفي اللحظة نفسها التي تذكرت بها كل حرف كان مدوناً في دفتر أمها نطقه ستراش بصوت عالٍ لتتصاعد نبضات قلب آنا وهي تنتفض واقفة لتجعله يتوقف عن الحديث:

-هيا بنا ندخل إلى هناك.

تعجب لحماسها غير المعتاد ليقف هو الاخر يحذرها وهو يُشير نحو الدير:

-ألم تشاهدي هذه اللافتة؟!

أخذت حقيبتها على كتفها وانطلقت ليوقفها ستراش مناديًا فلم تجبه ليُخرج من جيبة ورقة أموال ليضعها تحت طبق فنجان القهوة ليلحق بها قائلاً:

-آنا انتظري.

وقفت حتى اقترب منها:

-أنتِ تعرفين أنني لا أحب التهور.

طبقت كلتا ذراعها حول خصرها تنظر نحوه بتحدٍ واضح وهي تريد بشدة أن تقول له إنها كانت تنوي البحث عن هذا الدير وزيارته اليوم؛ لكنها لم تستطع أن تبوح له بسرها، لذلك ظلت على وقفتها حتى مد لها يده قائلاً:

-حسنًا هيا بنا سأدخلك من مكان خلفي وجدته وأنا أنتظرك هنا منذ ساعة ونصف.

نظرت لساعتها فوجدتها الثانية عشر إلا دقيقتين، أمسكت بيد استراش وهي تبتسم على تنويهه ثم قالت له:

-هيا يا استراش يجب أن أكون في البيت الآن.

وعل عجل خطى معها لمكان خلف الدير، وبحذر تأكد من عدم وجود أحد العُمال لتفتح آنا الباب الخشبي القديم لتجحظ عين استراش وتتسع ابتسامته، وهو يراه ينفتح بين يديها بينما هو يحاول الولوج من خلاله منذ ثلاثين عاماً لم يتحرك بها هذا الباب قيد أنملة، وهو لم يكُف يومًا عن المحاولة، تبع خطواتها لكن شيئاً ما دفعه خارج الدير ليقع أرضًا بينما انغلق الباب خلفها ودقات الساعة تعلو على وصولها لمنتصف الليل! ليقف استراش يركل الأرض بغضب شديد وهو يردد:

-اللعنة!

*****

اليوم الخامس

٥-أكتوبر

ظلام حالك أحاط بها من كل مكان بعدما انغلق الباب في لحظة دخولها، حاولت أن تضبط زمام جسدها الذي يرتجف خوفًا من هذا المكان وظلت تردد:

-ستراش أنت هنا؟! أجبني أرجوك؟!

لم تسمع سوى صدى صوتها الخفيض فتعجبت لتُفكر، هل استراش زجها في هذا المكان واختفى؟! تراجعت وهي تقول:

-أنا من أصريت الدخول.. لقد حذرني.. على كل يجب عليَّ أن أتبين مكانًا للخروج من هنا.

تحركت بضع خطوات وهي تفرد ذراعيها لتتوازن وفي الوقت نفسه تبحث عن حائط تستند عليه حتى كادت أن تتعثر فزعقت:

-اللعنة! ألا يوجد أية إضاءة هنا!

وقفت تفرد جسدها وما زالت تحسس المكان حولها حتى اصطدمت يدها على حائط أمامها مباشرة، أخرجت نفسًا عميقًا فيبدو أن هذه نهاية الغرفة، تمتمت وهي تستطلع الحائط:

-يجب أن أجد بها بابًا يمرُ بداخل الدير.

تجمد كفها عندما شعرت بشيء معدني تحت يدها! مررت كفها عليه تتبين شكله، فشهقت بصوت عالٍ لتتحسس بيدها حقيبتها، وتفتح سحابها بسرعة فائقة وتبحث بها عن الثُعبان المعدني، أخرجته على عجل ثم ثبتت حقيبتها على كتفها بعدما أغلقت السحاب مرة أخرى، وبيدها الأخرى الفارغة ظلت تبحث بها عن ثغرة تُشبه المجسم الصغير الذي بيدها، فمن الواضح أن ما تملكه يُشبه هذا الشكل كثيرًا، وفي لحظة اقتربت يدها التي بها الثعبان من الحائط فعادت للخلف حين وجدت ما بيدها يشدها نحو المثبت على الحائط، وقفت للحظات لا تستوعب ما يحدث وللتجربة رفعت يدها التي بها الثعبان نحو الحائط لتجده يسحبها بقوة!

أصابها الفزع؛ لكنها شعرت بشيء ما يحُثها أن تتقدم به وترى ماذا سيحدث، لم تلبث سوى ثوانٍ في ترددها حتى

رفعت ما بيدها عليًا وتركته يجذبها للأمام ليضيء الثُعبان البارز المرسوم على الحائط باللون الأصفر، بينما الصغير الذي بيدها خرج من بين كفها كالمغناطيس ليستقر مكانه أمام الكبير لينفتح الحائط، وشيء ما يدفعها للداخل ثم عاد الحائط كما كان!

*****

نظرت كوبا لساعة يدها بقلق شديد وهي تُمسك بهاتفها لتعاود الاتصال بهما، لقد تخطت الساعة منتصف الليل وآنا لم تعد بعد وهاتفها مغلق وهاتف استراش أيضًا، طرقت بأظافرها على شاشة الهاتف الكبيرة وهي تُفكر ماليًا أن تخرج للبحث عنها؛ لكن من أين تبدأ؟!

لا تعرف فالأمر مُحير للغاية، ظلت تجوب الشرفة ذهابًا وإيابًا والقلق أصبح رعباً حين تفكر أن يكون حدث لها مكروه، نظرت على الشاشة السوداء التي في يدها لتفتحها وتأتي باسم إيدين،

وقبل أن تضغط زر الاتصال تراجعت على الفور فلن يكون إيدين معاونًا جيدًا لها سيُصبح عبئًا ولن يتوقف عن الأسئلة، متى خرجت؟! وكيف لها أن تخرج في وقت متأخر دون أن تحدثه؟ ومنذ متى تُقابل رئيسها في العمل؟

إلخ.

رددت بامتعاض:

-لما تفعلين بي ذلك يا آنا، لقد وعدتني؟!

رنين هاتفتها في يدها جعلتها تنتفض لتنظر سريعًا على شاشته فوجدته ستراش، فتحت الخط بلهفة وهي تسأله:

-أين آنا؟

صمته جعل نبضات قلبها تتسارع بفزع لتسأله بحدة أكبر:

-أين ابنتي يا استراش؟!

رغمًا عنه خرج صوته يهتز وهو يجيبها:

-هي بخير لا تقلقي يا كوبا.

صرخت به:

-لقد كان سؤالي واضحًا أين هي؟! ولماذا لم تأتِ بعد؟!

تحرك من أمام باب الدير الذي دخلته آنا منذ قليل ليُحدثها بهدوء يُنافي قلقه:

-نحن هنا في دير القديس بنديكتين.

صمت للحظة جعل كوبا تصيح:

-لا تختبر صبري يا ستراش.

تأفف قائلًا:

-حسنًا يا كوبا لقد دلفت من باب الدير الخلفي الذي لم يستطع أحد الولوج إليه منذ أن علمت بالأمر من ثلاثين عامًا.

صوت أنفاسها المضطربة وصله بوضوح ليُكمل:

-أقسم لكِ أنني حاولت الدخول معها، لكن شيئاً ما لم أراه دفعني للخارج لينغلق الباب خلفها.

ومنذ أن دلفت وأنا أحاول الدخول ولم أستطع.

-سأتي حالًا لا تتحرك من مكانك.

قالتها كوبا وارتدت حذاءها سريعًا وهي تردد:

-باكرًا باكرًا للغاية يا آنا، لِمَا فعلتِ ذلك؟!

ثم انطلقت نحو القبو فهي لا تملُك الآن سوى استخدام آخر حل لها، قد حذرها منه زوجها مرارًا حتى لا تُقدم عليه إلا عندما تصل للنهاية؛ لكن ليس بيدها حيلة فيجب عليها أن تحمي ابنتها حتى لو كان الثمن حياتها.

*****

ضيقت عينيها بتعجب، بينما تنظر للممر الخشبي الكبير المُضاء بالمشاعل على جانبيه لتجحظ عيناها وتلتف حول نفسها بدهشة وهي تردد:

-هذه ردهة قصر؟!

فحيح جاءها من الخلف لتتسمر مكانها وقدميها يرتعدان من شعورها باقترابه من جسدها،

التفتت بسرعة فائقة لتجده أمامها مباشرة ينظر نحوها بعينيه الطوليتين المخيفتين، ثعبان بحجم خرافي يقف على

نصف جسده المموه باللون الزيتوني والأسود والأبيض والذهبي!

ومن تأملها للنّمط المميَّز لتداخُل الألوان والخطوط على حراشف جسده، التي تشكّل ما يشبه الشَّبكة عرفت نوعه على الفور، ثُعبان شبكي خطير يُعد الأطول في العالم، ليتحول جلده في لحظة للون الأسود القاتم بينما ارتسمت حروف لاتينية باللون الذهبي على جلده، وكأنه بدله في لحظة!

جسده ثابت لا يهتز، يحملق بها و ينتظر شيئاً ما!

هي واجهت من قبل هذه الحيوانات، لكن بهذا الحجم لم تره قط سوى في المقطع المصور على هاتف استراش، لكن الذي رأته لا يضاهي هذا الشيء في ضخامته!

مؤكد هناك خطب ما فلا يوجد ثعابين بهذه الأحجام في العالم الحقيقي!

بخطوات بطيئة وحذرة كانت تعود للخلف وقلبها يكاد يتوقف من الرعب وهو ما زال واقفًا مكانه لا يتحرك.. ينظر نحوها فقط!

ابتلعت ريقها بصعوبة وتوقفت عن التنفس حتى ارتطمت بالحائط من خلفها لتجده في لحظة لم تدركها حتى.. يلتف حول جسدها وأسنانه المعقوفة تقابلان عرق رقبتها النابض،

أخرج لسانه المشقوق تجاه وجهها الذي تلفه للجانب الآخر وهي مغمضة العينين تحبس أنفاسها وتنتظر موتها في أية لحظة، وكأن صوتها أبى أن يصمت وهي تلقى حتفها دون مقاومة لتبدأ بالصُراخ عله يبتعد عنها؛ لكنها توقفت حين شعرت بحراشفه تتحرك على جسدها وكأنه يضمها بشدة كي يُفجر عروقها ويسحق عظامها، أحست بشيء ما يتردد في أذنها لتنظر نحوه في لحظتها ولسانها يردد ما تسمعه دون وعي منها وكأن أحداً ما احتل جسدها؛ لكنها واثقة أن ما خرج من فمها هو صوتها!

لم تفهم أبدًا ما قالته؛ لكنه التوى بجسده الرخو وسقط من على جسدها، التقطت عدة أنفاس لتحبسها ثانية مع شهقة مكتومة خرجت منها عندما رأته يتحول لرجل!

رجل طويل ضخم الجثة ذو عضلات مفتولة وشعر طويل مجعد بشكل جميل، لا يغطي جسده شيء سوى الوشوم المرسومة في كل سنتمتر على جلده الخمري، وضعت كفها على فمها وأوقفت عينيها عن تأمل جسده

العاري ليقترب هو منها بنظرة جهلت تمامًا مقصدها، فهي مزيج من التعجب والدهشة والسعادة في آن واحد جعلتها تتأمل عينيه الزيتونية اللامعة بافتتان،

لتجده بصوت هادئ ورخيم وبلهجة تشيكية قديمة قال لها:

-لقد كنا ننتظرك منذ سبعة قرون!

لم تُصدق ما قاله فهزت رأسها علها تحلُم أو تتخيل وبخفوت سألته:

-ماذا قلت؟! أين أنا؟! وماذا أنت؟!

انطلق بخطوات ثابتة وواثقة حتى تخطها وهو يقول:

-تعالي معي وستفهمين كل شيء، لكن أولًا يجب علي أن أرتدي ملابسي فلا يجب أن يراني الخدم هكذا.

-خدم! ماذا يحدث هنا؟!

قالتها وهي مازالت تقف مكانها بتردد هل تلحق به أم تستمر في البحث عن مخرج من هنا،

اختفي عن ناظرها حين أخذ اتجاهاً آخر الردهة مما جعلها تركض خلفه وهي تقول:

-تبًا!!

تطلعت حولها بذهول وهي تشاهد الحائط المدون عليه كلمات باللغة التشيكية القديمة، حتى كادت عيناها أن تلتهمها، لتصطدم به وهو يقف أمام بابٍ ضخم فارتدت للخلف حتى كادت أن تفقد توازنها ليضع ذراعه حول خصرها حتى لا تقع أرضًا، أدامت النظر لعينيه الزرقاويتين الساحرتين وهي تتذكر أنها هي!

هي التي طاردتها حتى كادت أن تموت في حادث أليم! بينما هو ظل يُحدق بعينيها الزمرديتين ذو الأهداب الكثيفة للحظات ليسحب ذراعه ببطء من على خصرها وهو يقول:

-انتبهي لنفسك فأنتِ لست في عالمك فإن وقعتِ هنا لن يلحق بكِ أحد، يااا.

ضمت حاجبيها وذمت شفتيها تُفكر بما قاله وعقلها يعمل في اتجاه آخر، لتجده فتح باب الغرفة ودلف بداخلها،

سمعت صوت أقدام تأتي من بعيد فأسرعت تتبعه للداخل وهي تقول له بصوت مرتفع:

-اسمي آنااا.

ثم رفعت رأسها لترى المكان باندهاش وهي ما زالت لا تستوعب أنها لا تتجول داخل الكتب وأجدادها يحمونها من أي شر قد يحيط بها.

*****

وصلت كوبا لمكان الدير فصفت سيارتها بالقرب منه وترجلت على عجل نحوه، وعيناها تبحث عن استراش الذي وجدته يقف أمام الباب الخلفي الذي دلفت منه آنا، ينظر لساعته بينما جسده يهتز بتوتر، تقدمت نحوه ليضع هاتفه بجيب بنطاله وهو يمُد يده إليها يُحييها، بينما هي تجاهلته غاضبة لتُخرج ورقة من حقيبتها تناولها إياها قائلة:

-أريد هذه الطلبات.

نظر للورقة ليضُم حاجبيه وهو يقرأ ما بها لتباغته قائلة:

-الآن.

رفع استراش رأسه نحوها متسائلًا:

-ماذا ستفعلين بهذه الأشياء يا كوبا؟!

ضغطت على أسنانها بغضب وهي تنطق حروف اسمه:

-ستراااش!

حرك رأسه رافضًا وهو يقول:

-لن تفعليها يا كوبا! أجننت أنتِ؟!

اقتربت منه هامسة بحنق شديد:

-أنا لا أنتظر منك أن تأذن لي هنا، أنت تعرف أنني لا أدري أين تُباع هذه الأغراض.

أمسك بكفها يجُرها خلفه برفق قائلًا:

-تعالِ معي نتحدث بعيدًا عن هنا.

حاولت التملص منه وهي تردد:

-أترك يدي يا استراش ودعني أنقذ ابنتي.

توقف أمام المقهى الذي كان يجلس به مع آنا قبل دخولها للدير ليدعوها:

-دعينا نجلس لنتحدث بعقلانية.

تأففت كوبا وتقدمت معه مرغمة وداخلها يحثها على التأني فيما تريد عمله فهي ما زالت تشعر بالخوف الشديد رغم محاولاتها لتشجيع نفسها وهي قادمة.

جر المقعد لتجلس عليه بينما جلس هو على المقابل لها ليطلب اقتراب النادل الذي جاء ينظر لهم بتعجب في هذا الوقت المتأخر من الليل فهو كان يأمل أن ينال قليلًا من الراحة، لكن هيهات فمناوبته لن تنتهي سوى السادسة صباحًا وهنا في براغ لن يتوقف المارة ولا السائحون عن القدوم طوال الليل، وقف ينتظر طلب استراش الذي كان فنجانان من القهوة ليختفي من أمامهم بوجه مُتهجم، ضم ستراش كفيها ببعضها وهو يضعهم على المنضدة قائلًا:

-أنتِ لا تعرفين حقيقتي سوى اليوم أليس كذلك؟!

هزت كوبا رأسها إيجابًا ليُكمل:

-لقد أخبرتك قبل أن أصطحب آنا إلى هنا أن الأمر خطير، وأنني لا أعرف ما الذي حدث بالداخل، وكل ما وجدوه معي أمام الدير الورقة التي أريتك إياها ولم أكذب عليكِ في كلمة واحدة.

قاطعته كوبا بتوتر:

-لكني قلقة عليها بشدة يا ستراش، ما كان مقدرة لها المواجهة الآن، لقد أعدتها عليك مرارًا كما أخبرني زوجي كل ما يحدث لها هو تحضير ليوم الثالث عشر وليس الآن!

جاء النادل بالقهوة ليضعها على المنضدة أمامهم ثم انصرف ليتحدث ستراش بثقة وإيمان:

-لا شيء يحدث في هذا الكون مصادفة يا كوبا، أنا واثق أن ما حدث لآنا هو اختبارها الأخير.

أخرجت الورقة من راحة يدها تطالعها بتردد ليهز ستراش رأسه نفيًا وهو يقول:

-لا تُفكري بالأمر الآن أنتظرِ لليوم الأخير، أرجوكِ

يا كوبا، وأعدك أنني لن أتركك حتى تخرج آنا من هنا بسلام، وأنا بنفسي من سيأتي لكِ بهذه الأغراض وسأساعدك في تحضيره يوم الثالث عشر.

نظرت نحوه ثم للورقة التي بيدها وهي تستشعر الصدق بحديثه الذي يتوافق مع إيمانها وفي الوقت نفسه قلبها لا يطاوعها على ترك ابنتها في مكان مجهول لم تستعد له جيدًا بعد، حسمت أمرها وطوت الورقة لتضعها في جيبها ليبتسم لها ستراش وهي تسأله:

-ماذا سأخبر إيدين وباقي عائلته عن اختفاء آنا بهذا الشكل المفاجئ؟!

رفع فنجانه على فمه ليستلذ بقهوته ثم وضع الفنجان عندما أنهاه وهو يقول لها:

-تناولي قهوتك وسأخبرك ماذا تقولين لهم.

*****

فغرت فاها وهي تتأمل غرفته وقد بدا على وجهها الاندهاش الشديد، الغرفة بأكملها من الخشب البني الأملس اللامع، الحائط والأرضية حتى السقف، رفعت

رأسها لتتأمل السرايا الدائرية الكبيرة المصنوعة من الخشب على شكل أوراق الشجر المصفوفة فوق بعضها البعض بحرفية شديدة،

تضيء الغرفة بالضوء الأصفر الفاقع الذي يماثل لون الشمس.

في منتصف الغرفة توجد مدفأة كبيرة موقدة بالنار، أمام المدفئة مقعدان كبيران من الخشب المصنوعان ببراعة على شكل أوراق الشجر، ومن موضعها تجولت عيناها في الغرفة فلم تجد أثاثًا سوى المدفئة والمقعدين!

تقدمت للأمام فوجدت ممراً صغيراً على جانبها، خطت نحوه؛ لكنها تراجعت حين وجدته يخرج من فتحة جانبية للممر الصغير، يرتدي سروالاً قُماشياً بني اللون يعلوه سترة طويلة زرقاء تماثل لون عينيه منقوشة بخيوط ذهبية تُشبه كثيرًا التي رأتها في القصص المصورة لملوك الحقبة المئوية، يُغلقها بأزرار سوداء تاركًا زرها الأول ليظهر الوشم المرسوم على رقبته لتزداد وسامته أضعافًا وقد ربط شعره المجعد برابطة مطاطية سوداء، وقف أمامها بغرور قائلًا:

-أعرف جيدًا أنني شديد الجمال وسوف أخصص لكِ وقتًا إضافيًا لتحدقي بي كما تشائين لكن عليكِ الآن تنفيذ

ما سأقوله لكِ، اتبعيني.

تقدم نحو المدفئة ليجلس على أحد المقعدين ينتظر مجيئها؛ لكنها مكثت على وقفتها بصدمة من جراءته غير المعتادة وحديثه الفظ الذي صم أذنيها ليزعق هو بها:

-لن أنتظرك كثيرًا هنا.

استحضرت قوة شخصيتها وتقدمت نحو المقعد الفارغ بخطوات ثابتة لتجلس عليه قائلة بثبات وصوت يبدو عليه الغضب:

-ما هذا المكان؟!

أجابها بهدوء:

-مكان ملعون.

إجابة صادمة تلقتها لتُضم حاجبيها ليُكمل هو:

-لا أتذكر اسمي البشري؛ لكني هنا اسمى عدار من عائلة "البيثون"، وأنا حاكم هذه العائلة ثم ضم حاجبيه قائلًا:

-اعتقدت أنكِ تعرفين من أنا حين أمرتني بالابتعاد عنك في الغرفة الخارجية.

توقفت وهي تتذكر ما تفوهت به حين هاجمها، لكنها لا تعرف ماذا قالت؟! ولن تُعطي هذا المغرور فرصة للتحذلق عليها فتجاهلت حديثه لتسأله بجدية:

-من لعنكم؟!

أجاب بابتسامة باهتة:

-الشيطان.

توقعت الإجابة، لتسأل:

-لما؟!

ارتجفت عيناه ولا تعرف سبباً لذلك لكنه أجابها بثبات:

-من أجل مخطوطته الملعونة.

على الفور تذكرت مخطوطة الشيطان التي كُتبت على يد الراهب في دير القديس بنديكتين؛

لكن لم يذكر الكتّاب أي لعنة!

أكملت:

-منذ متى؟!

لمعت عيناه وهو يقول:

-أجبت عن ذلك أول ما التقينا.

تذكرت جملته قائلة:

-ولماذا كنت تنتظرني منذ سبعة قرون؟!

قام من مقعده وبضحكة ساخرة أجابها:

-كنا ننتظرك نحن الملعونين بسبب المخطوطة ولست أنا بذاتي.

ثم انحنى يستند بكلتا يديه على طرفي مقعدها ليتأمل عينيها قائلًا بكبر أربكها:

-أنتِ هنا لتكسري اللعنة وتنقذي أربع عائلات يصل عدد ذاويهم لمليون شخص ويزيد،

ليس لأن نقيم سويًا علاقة حميمة قائمة على الإعجاب المتبادل الذي سيصل للحب الملتهب بين الشاب الوسيم وبطلة القصة.

ثم اقترب من أذنها هامسًا:

-لا تنسِ أنني من ذوات الدم البارد، لذلك لو أردتِ معاشرتي فأنا على استعداد تام لذلك لكن دون مشاعر سامية.

ثم تركها بوجه شاحب يشبه الأموات من صدمتها وخرج من الغرفة وهو يأمرها:

-لا تتحركي من هذه الغرفة حتى أعود إليكِ.

*****

سمعت صوته يخرج من غرفته فتحولت لجسدها الأفعوانِ اللين الصغير باللون الوردي والأبيض ثم تسللت على بطنها وهي تخرج من القصر مختبئة بين ثنايا الخشب ليساعدها

جسدها الضئيل على تجاوز القصر وما حوله من بيوت لباقي العائلة، حتى خرجت من المكان بأكمله قاصدة قصرها بسرعة فائقة قبل أن يراها أحدهم، وصلت لقصرها الزجاجي المليء بالبحيرات الصغيرة وحين دلفت من تحت باب القصر تحولت لهيئتها البشرية، فتاة حسناء ترتدي بذلة من الجلد المماثل للعنتها، الذي يتلون بالوردي والأبيض بينما تتدلى ضفيرتها السوداء على طول ظهرها الممشوق لتركض نحو كبيرها في غرفته الرئيسية تنحني أمامه ووجهها يكاد يذوب فرحًا وهي تُخبره:

-لقد أتت يا أبي.

وقف "أمام" كبير عائلة الأصلات بدهشة وجسده يهتز من المفاجأة، ليتساءل بتعجب وكأنه ما زال يريد تأكيدًا على ما سمعه:

-ماذا قلتِ يا فريترا.

ابتسمت نحوه وهي تهز رأسها مرددة:

-صدق يا أبي لقد جاءت المنشودة.

وبأعلى صوته نادى:

-أبالا.

فجاءه ولده يهرع إليه بقلق يتسأل عما حدث، لم يُجبه إمام وأمسك بيده وباليد الأخرى أمسك بكف فريترا وانطلق بعدما تحول لأناكوندا كبير، ليتحول الاثنان لثعبان البوا متجهين نحو غرفتها الجدة "أنجيتا".

وصل ثلاثتهم لغرفتها فعادوا لهيئتهم البشرية لينحني الأخوان أمام الجدة، بينما جلس إمام تحت قدميها وعندما رأت وجهه عرفت الأمر على الفور لتسألهم بهدوء:

-أين هي الآن؟!

أجابتها فريترا بقلق واضح:

-في قصر عدار.

تفاجأ أمام لينتفض واقفًا بينما زفر أبالا بضيق لترفع أنجيتا يدها قائلة:

-اهدأوا يجب أن نجد حلًا.

*****

شعرت بالضيق الشديد في هذه الغرفة لتترك قدميها يحملاها لتتفقد الردهة الخارجية التي كانت بها منذ قليل، فتحت باب الغرفة لتخرج منها وهي تردد:

-شخصٌ وقح وعديم الذوق والحياء، وأنا بالطبع لستُ جاريته لأطيعه.

خطت في الردهة الخشبية الطويلة وهي تتأمل أركانها وتكتشف القصر الغريب بالنسبة إليها حتى وصلت لنهاية الردهة، زفرت بضيق وهي تلتفت لتعود للخلف؛ لكنها سمعت حفيفاً ونسمة هواء عليلة قد مرت على جسدها جعلتها ترجع كما كانت، وهي تضم حاجبيها وتتبع الهواء حتى دخلت في فتحة صغيرة تُشبه الجحر، استمرت في المشي حتى وجدت شرفة كبيرة في آخر هذا الرواق الضيق، فتحت باب الشرفة الزجاجي لتدلف بداخلها، تنظر للمكان حولها بذهول وهي تفغر فاها!

شهقت شهقة كتمتها براحة يدها وهي تتأمل المكان الغريب هذا، مجموعة من البيوت الخشبية بدور واحد تشبه الخشب المصنوع منه القصر نفسه، وحول هذه البيوت

تلتف الأشجار الطويلة والكثيفة بأوراقها، تلتصق البيوت بعضها ببعض وتلتف في دائرة وكأنها بجحور كهف منظمة ومفتوحة من الخلف، تضيء المشاعل المكان بأكمله وكأن الشمس ساطعة لا تغيب في هذا المكان، بينما الشعور بالحر الشديد بسبب المشاعل والمدفئات الموجودة في كل مكان أمامها جعلها تحس بخنقة لم تعتدها.

ضيقت عينيها وهي تنظر على مدد بصرها إلى قصر كبير مصنوع من الزجاج يعكس ضوء المشاعل في عينيها، دققت النظر نحو القصر وهي تردد:

-هل هذا ماء؟!

وبينما هي تدقق النظر لم تشعر بالكوبرا البيضاء الكبيرة التي تقف خلفها تفتح فمها على آخره لتظهر أنيابها الطويلة اللامعة، وهي تحرك ضلوع رقبتها لتبدو مسطحة وكأن لرأسها غطاء، بينما لسانها المشقوق يخرج للأمام ليستشعر الحركة حوله وهي تتقدم منها ببطء شديد.

*****

دفعها عنه برفق ليعتدل في الفراش يبحث عن ملابسه ليلتقطاها من على أرضية الغرفة الرملية ويرتديها، بينما

"سودا" تنظر نحو ظهره العاري بحنق شديد، وقد احمرت عيناها بالغضب وهي تقول له:

-أنا لم أنتهِ منك بعد يا عدار.

بهدوء أجابها:

-سنلتقي فيما بعد، أنتِ تعرفين أن هذا ليس هو الوقت المناسب لقد أخبرتك أنها هنا يجب أن نُفكر في حمايتها بدلًا من أن نلهو سويًا ونتركها لهلكها، ولو هلكت أنتِ تعرفين أننا سنهلك قبلها.

زفرت بضيق وهي تقول:

-لن يصل إليها أحد ما دامت في قصرك.

أغلق آخر زر في سترته الزرقاء وصفف شعره بأطراف أصابعه، وتوجه ناحية باب الغرفة وهو يأمرها:

-استعدي جيدًا يا سودا فالأيام المقبلة لن تمر بسلام.

ترك قصر سودا الرملي وانطلق نحو قصره وهو يفكر جيدًا في طريقة للتعامل معها، تخالف شخصيته التي فردتها

عليه طبيعتهم الملعونة، بينما يجب عليه حمايتها من عائلة الأصلات قبل أن يعثروا عليها، وفي الوقت نفسه يجب أن يتحضر لمواجهة كبير الأحناش وإقناعه للانضمام إليه، وحين سيكون معه عائلة الأحناش مع الأفعويات فلن يستطيع أحد الوقوف أمامه.

سمع صوت صرخة مكتومة من ردهة قصره فتحول على الفور لثعبان شبكي كبير، ليزحف بأقصى سرعة له حتى وصل إليها، احمرت عيناه الطوليتين وهو ينظر للكوبرا البيضاء السامة التي تلتف حول جسدها بغضب شديد، لقد وقع ما كان يهابه فعائلة العرابيد تريد قتلها!

*****

اليوم السادس

٦-أكتوبر

استيقظت كوبا تُمط جسدها المنهك بعدما ظلت طوال ليلة أمس في القبو، تبحث عن أي شيء في الكُتب المتاح لها فتحها لكي تطمئن على ابنتها أو حتى تستطيع معرفة أية معلومة عن المكان التي ذهبت إليه، لكنها وللأسف الشديد لم تجد شيئاً مفيدًا.

أخذت هاتفها الذي تضعه جوارها لتفتحه بعدما أغلقته طوال اليوم كي تتجنب مواجهة إيدين وعائلته، انفتح الهاتف لتُصدم بعدد الرسائل التي بعثها إيدين، بالإضافة لمجموعة لا بأس بها من الرسائل المُسجلة، قامت بفتح الرسالة الأخيرة لتتنهد بألم، صوته المرتعب أصابها بالندم والإشفاق عليه، فهو دائمًا الأقرب لآنا وليس من السهل عليه أن يشعر أنه كم هو مُهمل لديها؛ لكن واجبها وما خُلقت من أجله أهم من حبها له.

شرعت بالاتصال به وهي تعلم أن ما ستقوله له لن ينطلي على طفل صغير فما بال هو إيدين الجزء الثاني من آنا!

لم تنتظر كثيرًا حتى أجابها بلهفة رجل ملكوم ظل طوال يوم وليلة يبحث عنهما بجنون، حتى غفا بملابسه التي كان يبحث بها عنهما، على الأريكة الموضوعة في غرفة المعيشة ولم يستطع حتى الدخول لغرفته حتى يبدل ملابسه.

-أين أنتما؟!

قالها بعدما تحرك من غرفة المعيشة للخارج قاصدًا سيارته دون حتى أن يضبط هيئته، أجابته كوبا وهي تنزل من على فراشها تتجه لشرفتها لتراه يركض نحو سيارته:

-أنا في المنزل يا إيدين.

أغلق الخط ورفع رأسه ينظر نحوها ثم دفع باب السيارة بيده وانطلق بخطوات واسعة وسريعة نحو منزلها، التقطت كوبا وشحها المُلقى على مقعدها الموضوع أمام المرآة وركضت على الدرج لتفتح الباب لإيدين، الذي لم يرفع إصبعه من على الجرس الخارجي للمنزل، فتحت له الباب وهي تحاول رسم ابتسامة باهتة على وجهها قائلة:

-اهدأ يا إيدين ما بك؟!

دلف للداخل وعيناه تمشطان المكان بلهفة حزنت لها

كوبا ليقول بصوت متهدج:

-أين آنا؟!

تأملت مظهره المذري بعطف، فملابسه رثة وشعره مشعث وعيناه حمراء جاحظة، يبدو أنه لم ينم منذ البارحة! تركته كوبا بحزن وهي تتحرك صوب مطبخها لتُعد فنجان قهوة ثقيلة حتى نتوازن:

-اجلس يا إيدين كي أصنع لك معي فنجان قهوة مميز وسوف أخبرك أين هي آنا.

خبط بكفه على المنضدة الرخامية التي تضع عليها كوب القهوة الخاصة بها لتُغمض عينيها بفزع من صوت طرقته المفاجئة ليصيح هو بها:

-لا أريد شيئاً يا كوبا أين هي آنا اجيبي حالًا.

فتحت عيناها وقد بدا الغضب على وجهها وهي تحذره:

-لا تفعل هذا ثانية، لا نتعد حدودك يا إيدين، فأنا سأراعي حالتك النفسية وأمررها للمرة الأولى.

جز أسنانه بحنق لأنه لم يتلق الإجابة بعد، ظل يحدق بها حتى قالت له بصوت متوتر للغاية فهي لم تعتد الكذب أبدًا:

-آنا سافرت لجنوب أفريقيا في مهمة خاصة بعملها، ولم تستطع التحدث إليك وإخبارك بالأمر، فطلبت مني محادثتك لحين وصولها واستقرارها هناك، وحينها ستُحدثك بالتأكيد.

رفع حاجبًا واحدًا وقد رأت ما توقعته، رواية واهية لا ترقى حتى لكذبة، صوت جرس المنزل جعلها تُسرع نحو الباب لتفتحه، فتهلل وجهها حين رأت استراش يغمز لها بعينه، دعته للدخول لتقع عيناه على إيدين الذي ضم ذراعيه على صدره ووقف يستند بظهره على حائط المطبخ الخارجي يتأمل استراش وكوبا معًا وهو يضيق عينيه منتظرًا العرض الذي سيعرضونه عليه، وبالفعل قال استراش بسعادة تُخالف طبيعته التي يعرفها إيدين جيدًا:

-لقد حدثتني آنا من الفندق وأخبرتني أن بطاريتها فارغة، وأن أطمئنك أنها قد وصلت أخيرًا بسلام وستخلد للنوم وحين تستيقظ سوف تهاتفك.

عقب إيدين باستهزاء:

-مؤكد قد نسيت رقم هاتف منزلها وتذكرت هاتفك أنت!

وقبل أن يُجيبه استراش أكمل إيدين وهو يتحرك نحوه ببطء شديد:

-ما الذي حدث لآنا حتى تفتعلان هذه الكذبة الحمقاء.

رفعت كوبا سبابتها أمامه بغيظ قائلة:

-للمرة الثانية تتعدَ حدودك معي يا إيدين، ولن أسمح لك أن تُكررها للمرة الثالثة فوقتها سأضطر لأن أخرجك من منزلي.

أوقفها استراش بهدوء:

-ما بكما أنتما منفعلان هكذا.

دعونا نجلس لكي أشرح لك الأمر يا إيدين فليس من المعقول أن يكون قد أصاب آنا مكروه ونحن هنا نتكلم بهذا الهدوء، وكوبا تصنع القهوة التي تفوح رائحتها المنزل بأكمله، ثم أشار نحو مكينة القهوة:

-أرجوكِ اعطني فنجاناً من هذا.

تحركت كوبا نحو المطبخ وهي تدعو الله أن تُصبح آنا بخير، وتعود بسرعة قبل أن يفتضح أمرها، وإن عرف إيدين الأمر لن يفهمه وسيُخبر السلطات، ووقتها ستُصبح ابنتها في عِداد الأموات!

*****

جلس بجوار فراشها ينتظر استيقاظها بعدما أعطها جرعة ترياق من السم الذي نفثَته الكوبرا داخل فمها، ليتخلل جهازها العصبي فأفقدها الوعي حتى يستطيع حملها لقصرهم دون أن تصدر جلبه، أصدرت آنات مكتومة جعلته يقترب منها، يتأمل وجهها الأبيض اللطيف الهادئ الذي لم يعتد رؤية منذ قرون كثيرة، لقد شعر تجاهها بأشياء لم يختبرها من قبل، خاصة حين وجدها في أحضان الكوبرا فاقدة للوعي! فلم يشعر بنفسه إلا وهو يمزقه بأسنانه بشراسة لم يعرف مصدرها،

ليردد بخفوت أربكه:

-هل حقًا تستحقين الانتظار يا آنا؟! هل ستكونين على قدر المسئولية؟! يجب عليَّ أن أجري لكي اختباراً بسيطاً

لكن ليس الآن.

فتحت عينيها تنظر للسقف بتعجب لتستعيد ما حدث معها برؤى متتالية وآخر ما رأته هو الكوبرا البيضاء الكبيرة التي التفت حول جسدها ولم تشعر بشيء بعدما شهقت أمام نابيه الطويلين قبل أن يدخل فمها رزاز سمه القاتل، ضيقت عينها وهي تتذكر أنها رأت ما يشبه هذه الكوبرا سابقًا، لتشهق وهي تردد:

-الحُلم!

اعتدلت جالسة لتجده يجلس على مقعد جوارها وهو ما زال يتأمل وجهها لينقلب وجهه بالغضب وهو يصرخ بها:

-ألم أُحذرك من الخروج من هذه الغرفة لما لم تطيعي أوامري!

وقفت آنا بحنق لتحمر عينيها بالغضب وهي تهدر به:

-أنا لست بجاريتك يا هذا، ولا أتلقى الأوامر من أمثالك أنا جئت هنا برغبتي ومنذ أن وطأة قدمي هذا المكان وأنا أمقتك وأمقت طريقتك في الحديث معي، ومن الحين لن أمكث في هذا المكان لحظة واحدة.

ثم تحركت بعنف نحو باب الغرفة ليمسك هو مرفقها يوقفها قائلاً:

-لو خرجتِ من هنا ستهلكين.

نفضت يده بقوة وهي تنظر لعينيه بتحدٍ واضح:

-حتى لو هلكت لن أمكث هنا معك أيها الأحمق المغرور.

لم يصدق ردة فعلها القوية؛ لكن يجب عليه تدارك الأمر سريعًا، ليتنهد وقلبه يخفق بقوة:

-حسنًا أنا أعتذر منكِ يا آنا، فأنا أعترف أنني كنت فظاً معكِ.

أصرت على عنادها ووضعت يدها على مقبض الباب الخشبي ليضع كفه على يدها لتشعر هي بدفء يده، فاقشعر جسدها من لمسته فرفعت رأسها تنظر لعينيه الدافئتين مثل جسده وهو يقول لها:

-أنا لم أعتذر في حياتي لأحد غيرك من قبل.

شعرت بشيء يتحرك داخلها تجاهه يحثها على مسامحته لتلفظه على الفور وهي تهز رأسها نافيًا، ليترجاها بعينيه اللتان برقتا بضي جعلها لا تستطيع مقاومته كثيرًا، فهو في الأخير من أنقذها من الموت وهي ممتنة له على ذلك، رفعت يدها من على المقبض الخشبي للباب لتعود أدراجها على الفراش وقد أحست بدوار شديد، لحق بها ليلُف يده حول خصرها قبل أن تسقط، فجلست سريعًا على طرف الفراش وهي تدفع يده بعيدًا عنها قائلة:

-لماذا أرادت هذه الكوبرا قتلي؟!

خطى بعيدًا عنها ليجلس على المقعد أمامها مجيبًا:

-حتى لا تنهين هذه اللعنة.

ضيقت عينيها بدهشة وهي تقول له:

-ألا يريدون الإنقاذ؟!

تطلع نحوها بنظرة اختلفت تمامًا عن البارحة وهو يُخبرها:

-لا يريدون الموت يا آنا.

نهضت باندفاع فعاد الدوار إليها لتجلس مرة أخرى وهي تحاوط رأسها بكلتا يديها، ليقترب عدار منها ينحني نحو رأسها وهو يضع كفه على يدها قائلًا بقلق استشعرته من صوته:

-بماذا تشعرين؟! أخبريني.

أرخت كلتا يديها بجانبها قائلة وعيناها مغلقتان:

-دوار شديد.

وضع كفه على رأسها يمسد شعرها القصير وهو يسألها:

-متى آخر مرة تناولتِ بها طعاماً؟!

فتحت عيناها تنظر إليه وهي تسأله:

- كم التاريخ اليوم؟!

أجابها سريعًا:

-السادس من أكتوبر.

تنهدت وهي تقول:

-منذ يومين.

تركها وتحرك خارج الغرفة وهو يقول لها:

-استريحي يا آنا، سأجلب لكِ طعامًا مناسباً فيبدو أن جوعك هو سبب الدوار.

*****

أشار للنادل الذي جاءه على الفور بابتسامته المعتادة ليطرق إيدين على الكأس الذي بين يديه وهو يقول له:

-واحد آخر من فضلك.

التفت النادل ليلتقط زجاجة نبيذ حمراء ليصب له في كأسه جزءاً منها فرفعها إيدين على فمه دُفعة واحدة، ليشعر بحرقة النبيذ تسقط داخل حلقه وهو يرجوها أن تطفئ بحرارتها نيران قلبه الذي أُنهك في علاقة لا يعرف إلى الآن على ماذا ستنتهي، ليردد بحزن شديدة:

-أعتقد أنني أنا من سينتهي مع هذه العلاقة.

وضعت يدها على كتفه ثم انحنت تُقبله بجانب أذنه قُبلة حميمية جعلته يُغمض عينيه ويشعر بالإثارة الشديدة لتهمس هي له:

-لن تنتهي أبدًا وفي حياتك ميلان.

ثم جلست على المقعد بجواره وهي تشير للنادل، نظر إيدين نحوها وقد اشتعل جسده من رؤيتها بهذا الفستان الذي يظهر أكثر ما يخفي، لتتطلع هي نحوه بعينيها الزرقاويتين الواسعتين وشعرها القصير الذي يُشبه آنا، بينما هو يتأملها وقد فعل به النبيذ ما يجب ليتخيلها للحظة حبيبته الغائبة التي إلى الآن لا يعرف أين اختفت ولا مع من؟!

وقبل أن يأتها النادل بكأسها أمسك إيدين بكفها ليوقفها ويجرها خلفه بخطوات واسعة للخارج، بينما هي ظلت تضحك بصوت رقيع ومرتفع، حتى خرجا من الملهى ليقصد سيارته التي تقف في جراج الملهى الليلي ثم دفعها داخل السيارة في المقعد الخلفي، ليخلع سترته ويضعها على المقعد الأمامي ودلف معها على المقعد نفسه، بينما ميلان بدأت في إطلاق ضحكات مكتومة وهي مستعدة تماما لما سيفعله.

بعد عدة دقائق ارتفع بجسده من على جسدها، وهو يضبط ملابسه وميلان ما زالت تستلقي على المقعد وهي تنظر نحوه بعمق لترفع زاوية فمها بابتسامة متهكمة وهي تقول له:

-أعتقد أنها فعلت شيئاً لا يغتفر هذه المرة!

زفر بضيق وهو يخرج من باب السيارة الخلفي يستنشق الهواء بصدر مختنق وهو مغمض العينين، يخلل أصابعه في خصلات شعره وسؤاله الأبدي الذي لا ينفك عنه يتردد في أذنه "وماذا بعد يا آنا؟!".

خرجت ميلان خلفه تحاوطه بكلتا يديها وتضع رأسها على ظهره وهي تقول له:

-تكلم معي عنها يا إيدين.

نزع يدها التي تتجول على جذعه برفق وخطى ناحية الباب الأمامي للسيارة ليدلف إليها، ويجلس على المقعد خلف المقود لتلحق به ميلان تجلس على المقعد الذي بجواره وترفع قدميها العاريتين على التابلو، ورأسها يستند على حافة المقعد الخلفي ثم أغمضت عينيها وهي تقول له:

-كلي أذان صاغية.

تنهد بعمق ما يشعر به ثم أخرج من جيب سترته علبة معدنية ابتسم بحزن وهو ينظر نحوها، لقد كانت هدية مميزة منها ليفتحها ويُخرج منها لُفافة تبغ من النوع الممتاز، أشعلها ووضعها في فمه ليسحب منها ما تحتويه ثم نفث دخانها الكثيف ليُخرجه من رئتيه ومعه بعض من خوف شديد الذي يشعر به، ليتحدث بصوت ثابت رغم ضوضاء المشاعر التي تهتاج بداخله:

-عيناها تشبهك إلى حد كبير، لكن عين آنا زمردية لامعة لا تشبهها شيء، فهي مثل الحجر النادر الذي لا نجده سوى مرة واحدة في العمر.

أسند رأسه على المقعد وأغمض عينيه ليُكمل وصفها:

-شعرها مثلك قصير بني اللون، كلما جاءت رياح شديدة أركض سريعًا نحو شرفتي لأنظر لبيتها وأنتظر طلتها من النافذة وهي تُغمض عينيها وتبتسم، وتترك الرياح تعبث بشعرها وهي تفرد ذراعيها وكأنها تحضن الهواء، لأشعر أنا بالغيرة الشديدة وأنطلق خارج المنزل لأقف تحت النافذة وبصوت مرتفع أصرخ بها:

-ادخلي غرفتك يا آنا ستصابين بالبرد.

فتفتح عينيها وتنظر لي وتبتسم نحوي بابتسامتها الساحرة لأنسى أنا غيرتي الشديدة وأقف كالأبله أنتظر منها ما ستفعله لتُقبل هي طرفي أصابعها وتلوح لي ثم تشير إليَّ أن أعود قبل أن تُمطر، فأعود أدراجي وعيناي تأبى أن تنظر إلا إليها حتى تدخل هي لغرفتها ثانية وتغلق النافذة خلفها، ثم تهاتفني لأركض أنا لغرفتي وأتلقى المكالمة وجسدي كله يتأهب لسماع صوتها.

فتح عينيه ليجد ميلان تنظر له وهي مجعدة حاجبيها بدهشة:

-لم أتوقع أبدًا أنك بهذه الرومانسية!

قذف بلفافته من النافذة بعدما أطفأها في ظهر العلبة ثم أخرج أخرى وهو يجيبها:

-لا أكون هذا الشخص إلا معها.

ابتسمت قائلة:

-ولماذا تخونها إذن وأنت تعشقها هكذا؟!

صمت للحظات وهو يشعل لفافته ويستنشق دخانها الكثيف، ثم التفت برأسه ينظر نحوها ليتبادلا النظرات فيما بينهما للتحدث ميلان وما زالت الابتسامة تُزين وجهها:

-آآه نسيت أن هذه ليست خيانة بل هي حاجة جسد.

هز رأسه نفيًا وهو يقول لها:

-جسدي لا يحتاج لأحد سواها يا ميلان، لكني أتحد نفسي كي أثبت العكس، ومع كل محاولة أشعر بخيبة أمل وكأنها تصفعني على وجهي وتقول لي

"لن تشعر بالذروة إلا معي، ولن تُحب سواي ولن ترغب يومًا بأحد غيري".

عادت ميلان تستند على ظهر مقعدها وهي تتنهد بعمق قائلة:

- كم تمنيت أن يحبني أحد مثل هذا الحب!

ثم اعتدلت لترفع سبابتها نحوه:

-مثل ما تقوله يا إيدين وليس مثل ما تفعله.

احتقن وجهه وهدر بها:

-لو شعرت يومًا أن آنا تحبني مثلما أعشقها لما تركت نفسي تسوقني إليك.

ثم اعتدل في مجلسه ليُدير مفتاح السيارة وينطلق بها قاصدًا منزل ميلان وهو يقول لها:

-حبي لها يقتُلني وأنا لا أريد الموت بيدها، وإن كُتب لي الموت معها فسأختاره بين أحضانها.

*****

نَزلت القبو بحذر بينما استراش يقف بالأعلى ينير لها الطريق بكشاف صغير، حتى وصلت للأسفل وأنارت الغرفة بالمصباح المعلق أعلاها، لحق بها استراش للأسفل لتجحظ عيناه بدهشة وهو يرى المكتبة الكبيرة، لتحذره كوبا بلهجة قوية وحاسمة:

-لا تلمس شيئاً هنا، ولا تجرؤ على فتح أحد هذه الكتب.

رفع كلتا يديه للأعلى وهو يردد بذهول:

-ما هذا المكان؟!

أجابته وهي تُخرج الصندوق المعدني:

-مكتبة أجداد آنا.

رفع رأسه يتأمل الكُتب الموضوعة على الأرفف حتى لفت نظره التاريخ المدون في ورقة صفراء أعلى نهاية الرف الموضوع "١٢٩٥"، خطى نحو نهاية المكتبة وهو يتأمل التاريخ جيدًا ليردد وهو ينظر لكوبا التي أخرجت الكتاب وفتحته:

-هل هي مصادفة أن آخر كتاب بهذه المكتبة مدون عليه سنة ولادتي؟!

رفعت كوبا رأسها نحوه تنظر إليه بعدم استيعاب، ليكرر حديثه وهو يشير نحو الورقة:

-هذا التاريخ هو سنة ولادتي ومكتبتكم العريقة التي تحوي تاريخ العائلة المنشودة تنتهي بسنة اللعنة.

ضمت كوبا حاجبيها وهي تتساءل:

-وماذا يعني ذلك؟!

أجابها وهو يجلس على المقعد بجوارها:

-يعني أن ما قلته لكِ صحيح.

تجعد وجهها ليُكمل:

-أي إن ما حدث مع آنا لم يكن مصادفة وأنه هو اختبارها الأخير.

شردت قليلًا في حديثه ليردد ستراش:

-ومعناه أيضًا أن آنا هي آخر المخلصين.

رفعت كوبا كفها أمامه لتوقفه عن استرساله وهي تقول:

-هناك شيء أهم.

انتبه لها استرش بكل حواسه.

-لقد حكت لي آنا أن هناك عيوناً طولية سوداء بحدقتي زرقاء تطاردها في كل مرآة تنظر بها، حتى إنها تسببت لها بالحادث!

فتح استراش فمه ليتحدث فأوقفته كوبا وهي تقول:

-لقد وجدت في حقيبتها صدفة ثعباناً معدنياً صغيراً وحين أخرجته لتراه وهي تتساءل من أين جاء؟ اصطدمت في الشاحنة ولم تعرف مصدر هذا الثعبان ولا هذه العين لمن!

وقف استراش قائلًا:

-لو ما تقولينه صحيح فقد تم استدراج آنا.

انتفضت كوبا بفزع ليُكمل:

-وذلك يعني أن آنا بالفعل في خطر!

*****

عاد عدار وخلفه رجل متوسط القامة يطأطأ رأسه، ويرتدي ملابس من حقبة زمنية بعيدة تميز ملابسه باللونين الأخضر والبني مثل عدار، لكن هذا الرجل ملابسه بسيطة للغاية، يحمل بكلتا يديه طاولة خشبية تحوي طعاماً قد دغدغت رائحته حواسها من بعيد، لتُعلن معدتها العصيان التام، وكأنها تذكرت أنها لم تُطعمها منذ يومين.

وضع الرجل الطاولة أمام آنا وهو يتجنب النظر إليها، ثم خرج شبه راكض من الغرفة لتذُم آنا شفتيها بتعجب وهي تتطلع في الفراغ خلفه ليتحدث عدار بصوته الرخيم:

-ما بكِ! هيا تناولي طعامك، وأتمنى أن تستسيغيه فلم أجد غير هذا الصنف بعد عناء.

نظرت للطاولة فوجدت بها طبقاً خشبياً كبيراً به حيوان مشوي ورائحة شوائه ذكية، وحوله العديد من الخضروات الطازجة، أشارت آنا بسبابتها نحو الطبق قائلة:

-ما هذا الحيوان؟!

أجابها وهو يجلس جوارها:

-أرنب.

عادت برأسها للخلف وملامح وجهها تتجعد وهي تتخيل هيئة الأرنب الرقيقة والطيبة لتقول:

-هل تأكلون هنا الأرانب فقط؟!

ابتسم لها وهو يقول:

-لا لقد تعبت حتى جئتك بهذا، نحن لا نأكل الأرانب إلا نادرًا إن وُجد.

التفتت نحوه متسائلة:

-إذن ماذا تأكلون هنا؟!

تأفف بخفة وبحذر حتى لا تغضب منه مرة أخرى:

-صدقيني لا تريدين أن تعرفي.

وقبل أن تفتح فمها بالحديث ثانية وضع سبابته على شفتيها قائلًا:

-تناولي طعامك يا آنا وسأرضي غرورك بشأن عالمنا، لكن دون الحديث عن الطعام الآن.

أرخت ملامح وجهها والتفتت نحو الطاولة بفضول كبير وجوع أكبر لتأخذ قطعة من اللحم تتذوقها وهي تُغمض عينيها لتردد بخفوت:

-أممم لذيذة.

ثم نظرت نحو عدار الذي يتأمل وجهها وانفعالاتها بتركيز تام قائلة:

-من هذا الرجل الذي كان يحمل الطاولة؟ أهو الطباخ؟!

هز عدار رأسه نفيًا وهو ما زال يتأمل عينيها الزمردية:

-لا، الطباخ لا يُغادر مطبخ القصر، هذا خادم عادي.

التقطت بعضًا من الخضروات بيدها وهي تُكمل حديثها معه:

-ولِمَا كان مطأطأ الرأس يتجنب النظر إلي؟!

-لأن هذه هي القوانين، الخدم لا ينظرون في وجوه أسيادهم.

أجابها وهو ما زال يتطلع نحوها باستمتاع خاص وهي تأكل هكذا أمامه بتلقائية، لتقول هي بنبرة غاضبة:

-هل ما زلتم تعيشون في عصر العبيد؟!

لم يُجب فنظرت نحوه لتتعجب منه وهو يراقبها هكذا وابتسامته تُزين محياه لتسأله بجدية:

-لماذا تنظر نحوي هكذا؟!

أجاب ببساطة جعلها ترتبك بشدة:

-لم أرَ بشرية تأكل برقة هكذا منذ قرون.

غصة أصابتها فسعُلت بخفة وهي تستوضح الأمر:

-وكيف تأكلون أنتم؟!

سألها وهو يرفع زاوية فمه بابتسامة عبثية:

-ألست طبيبة بيطرية؟!

أومأت برأسها ليُكمل هو:

-إذن فأنتِ تعرفين ما الذي تأكله الثعابين، وكيفية تناولها للطعام.

تجعدت ملامح وجهها باشمئزاز شديد وشعرت بمعدتها تنقلب داخلها، لتقف قطعة من الجزر في نصف حلقها، جعلتها تشهق وتسعُل بشدة لينتفض عدار واقفًا خلف ظهرها ويلف ذراعيه على بطنها ليضغط بخفة على معدتها، حتى خرجت قطعة الجزر من فمها لتستقر على الأرض، نظر لوجهها المحتقن بالدماء وعينيها الدامعتين بشفقة ليناولها كوبًا خشبياً به ماء نقي، ليحاوطها بذراعه ويسقيها من الماء ببطء حتى استردت أنفاسها الطبيعية وهي تشكره بشدة على إنقاذه لها، ليوقفها هو عن الحديث قائلًا:

-أنا الذي أدين بالاعتذار لكِ يا آنا، فلقد وقف الطعام بحلقك بسبب ما قلته، لكنك أيضًا فضولية بشكل خطير.

ابتسمت له وهي تطلع لعينيه:

-أريد أن أعرف عنكم كل شيء.

سحب يده من خلف ظهرها لتتربع وهي تضع كفيها تحت ذقنها لتلمع عيناها بالفضول،

لانت نظراته نحوها وهو يقول:

-حسنًا سأخبرك بكل ما يخص عالمنا؛ لكن بشرط!

هزت رأسها بحماس، ليُكمل:

-ستُكملين طعامك أولًا حتى لا تشعرين بالتعب مرة أخرى.

اعتدلت أمام الطاولة ببطء وهي تتبرم بضيق قائلة:

-حسنًا سأكله وأنا أستمع لحديثك.

*****

زفر إمام بغضب وهو يلتف حول نفسه وابنه أبالا بجواره يقول:

-لقد مزقه لأشلاء وعائلة العرابيد الآن تشتعل بالغضب على موت أميرهم ويخططون لمهاجمة قصر عدار.

-أغبياء!!

رددها أمام بحنق شديد لتدخل فيرترا عليهم الغرفة قائلة:

-جدتي تريدنا الآن يا أبي.

لم يُعقب وانطلق خارج الغرفة قاصدًا بيت أنجيتا ومن خلفه ابنته وولده، حتى وصلوا لبيتها فوجدوها تجلس على مقعدها الخاص بها أمام البحيرة الصغيرة تستند بكلتا يديها على جذع شجرة صُنع خصيصًا لها، لتحدثهم وهي تنظر نحو ولدها الكبير:

-لقد جاءني "وثاب" منذ قليل وطلب منا الانضمام إليهم، لينقضوا على قصر عدار.

ضم حاجبيه ليرد بتهكم:

-تركت العائلة ليوم واحد لحدث كل ذلك!

نظرت له أنجيتا بعينيها الثاقبتين، ليتأفف قائلًا:

-أين كانت عائلة العرابيد يا أمي حين كنّا نترجاهم لنُصبح يداً واحدة ضد عدار، الآن حين قتل أميرهم انتفضوا.

-لا يا أمي عائلتنا لن تنضم لهذه المهزلة، ثم إن جميعنا يعرف أن هذه اللعبة لن تنطلي على عدار ولن يستطيع أحد إيقافه غيرها.

تدخلت فيرترا:

-أنا مع أبي، بالإضافة أن نوايا العرابيد ليست كنوايانا يا جدتي.

تطلع الثلاثة نحوها ينتظرون قرارها لتخبرهم هي به قائلة:

-حسنًا كما ترون، لكني أريد المنشودة عندي هنا في أقرب وقت.

لتلوح لهم بعصاتها:

-هذه هي مهمتكم من الآن.

*****

عادت تستند ظهرها على حافة الفراش وهي تتثاءب قائلة:

-أمم هذا يعني أن عائلة الأحناش الأكبر عددًا هنا.

أومأ برأسه لتُكمل:

-لكني لم أر هذا العدد الكبير الذي تتكلم عنه، حتى هنا في قصرك الصغير هذا، لم أرَ سوى الخادم الذي جاءني بالطعام، وحين خرجت للنافذة لم أسمع أي ضوضاء بالخارج تشير لأي حياة بهذا المكان، وأنت هنا تحدثني عن ملايين الأشخاص فأين هم إذن؟!

تمدد جوارها وهو يجيب:

-أنتِ لا تعرفين كيفية عيش الثعابين!

قاطعته آنا بامتعاض:

-أنتم بشر ولستم ثعابين.

أدار وجهه لينظر إليها:

-كنا بشر منذ سبعة قرون يا آنا، لقد نسينا هويتنا حتى أسماءنا البشرية نسيناها، لقد تعايشنا في لعنتنا وتكاثرنا داخلها وأصبحنا لا نعرف سواها، مشاعرنا غدت باردة وأجسادنا تشتعل بالنيران، ولا يسعنا سوى التكيف مع ما صرنا عليه.

شعرت بالألم الشديد من أجلهم واشتد ألمها عليه هو تحديدًا، لتسأله بأسى وبصوت شجي:

-ألا تتذكر ماذا كنت تعمل في هذا الدير قبل اللعنة؟!

-كنت راهباً، شابًا، ولدي من الحماسة والإيمان ما يكفيني لأصبح قويًا وذا بأس.

ابتسمت له وبرقة قالت:

-وأنت كذلك الآن.

ثم أسبلت جفنيها دون وعي وغطت في نوم عميق، ظل عدار يراقب وجهها البرئ لفترة، ثم أزاح يدها التي كانت تستند عليها تحت رأسها ليجعلها ترتخي بجواره، ودثرها بغطاء فرو كثيف، ووضع رأسه بجوارها وعيناه ما زالتا

تتأملان ملامحها الهادئة التي تنام قريرة العين، ليبتسم وهو يشعر بالحيرة الشديدة من هذه الفتاة التي نامت بجواره وكأنها تعرفه منذ زمن وتشعر بالأمان وهي بجانبه، ليردد بدهشة:

-لا أعتقد أبدًا أنك المُخلصة، يبدو أن هناك شيئاً خاطئاً.

التفت عائدًا يزحف على بطنه ببطء حتى لا يشعر به عدار، ليتحول سريعًا لهيئته البشرية أمامها وهي تنظر نحوه تنتظر ما سيقوله، ليُمسك مرفقها ويخطو بها خارج القصر وهو يلتفت حوله ليتأكد من عدم وجود أحد يراهم ليخبرها:

-لم تخرج من غرفته إلى الآن، ورايته ينام جوارها في فراشه.

شهقت الفتاة ليحدق بها الخادم فوضعت يدها على فمها وهي تقول:

-لا أصدق ما تقوله! مؤكد ستحدث كارثة، لن تمرر سيدتي ما فعله أبدًا.

اليوم السابع

٧-أكتوبر

تركت الكتاب الذي كانت تحمله، وخلعت عويناتها وهي تتأفف قائلة:

-لم أجد شيئاً.

دلك استراش عينيه بسبابته وهو يترك الكتاب الصغير من يده هو الآخر قائلًا:

-وأنا أيضًا لم أجد شيئاً.

وضعت كوبا قبضتها تحت ذقنها وهي تسأله:

-أخبرني بالتفصيل ما الذي قاله لك الثعبان؟

دلك رقبته بكفه وهو يقول:

-أخبرني أنه من عائلة الأصلات، عائلة أمي وأنه ضحى بنفسه حتى يقابلني، وأخبرني أن المنشودة تُسمى آنا وأنها

من أصل عربي وتعيش في براغ، وقبل أن أسأله على مصدر المعلومات كان قد نفد وقته ووقع أرضًا، بعدما أخبرني أنني يجب عليَّ أن أجعلها تذهب للدير وتحديدًا أمام الباب الذي وجدوني أمامه، وهم سيتولون أمر الباقي.

اعتدلت كوبا في مجلسها وهي تضم حاجبيها وتفرك جبهتها بأصابعها، والتفكير الشديد يكاد يفتك بها، لتردد:

-وماذا يعني أنهم سيتولون أمر الباقي؟! وما الغرض من دخولها إلى هناك؟!

طرق عدة طرقات خفيفة على غلاف الكتاب الذي أمامه وهو يقول لها:

-ما فهمته أن هناك أحدًا هو من سيُدخل آنا اللعنة لغرض ما أجهله تمامًا، لكن ما فهمته أيضًا أن دخولها للعنة سيضرهم في شيء مهم جدًا، وبالطبع أنا أجهل هذا الشيء، وذلك لا يعني سوى أن آنا بيدها مصيرهم جميعًا، كيف وما الذي سيحدث لن نعرف سوى يوم الثالث عشر من أكتوبر.

فتحت كوبا الكتاب مرة أخرى فوضع استراش كفه

على الغلاف ليغلقه أمامها قائلًا وهو ينظر لساعته:

-لقد أصبحت الثانية صباحًا يا كوبا، سنهلك هكذا إن لم ننل قسطًا من الراحة.

ثم وقف يمسك كفها:

-هيا بنا الآن وسنقرر في الصباح ما الذي يجب علينا فعله.

أومأت برأسها وتحركت معه ليصعدا سويًا على السُلم المعدني لتُغلق كوبا الغرفة ببابها وتضع السجادة فوق الباب، فتح استراش باب غرفة الحديقة لتجحظ عيناه بينما شهقت كوبا حين رأوا إيدين أمامهم يقول:

-ما الذي تفعلوه هنا في هذه الساعة؟!

*****

انتفضت بغضب شديد بعدما سمعت ما قالته الخادمة لترتدي حلتها الجينز السوداء المطعمة بمعدن لونه نحاسي، بينما الخادمة تقف خلفها بتوتر شديد تحسها على التراجع:

-لا تتهوري يا سيدتي، فأنتِ تعرفين سيدي عدار جيدًا لو علم بأمري أنا وخادمهُ سيقتلنا نحن الإثنان ولن يرف له جفن.

أغلقت سودا السحاب النحاسي ونظرت لخادمتها لتتحول عيناها للشكل الطولي ولمعت باللون الأصفر وهي تقول لها:

-الثعابين لا يملكون جفوناً يا راسل.

ثم انطلقت نحو قصر عدار تاركة راسل تقف خلفها والرعب يدب أوصالها، أن يعرف عدار أنها هي الواشية به.

وصلت لقصره لتدلف داخله بعدما تنحى الخدم الواقفون على باب القصر الأمامي وهم يحنون رؤوسهم حتى اختفت من أمامهم لتصل سريعًا لغرفة عدار، وقبل أن تصل لبابه وقف الخادمان اللذان يحرسان غرفته وعيونهم لأسفل ليقول كبيرهم:

-لحظة واحدة يا سيدتي سنُخبر سيدي بوجودك.

بتهديد صريح وبنبرة تحذيرية قالت لهم:

-تنحوا من أمامي الآن وإلا ستعرفون ما الذي سأفعله.

دقات قلوبهم تسارعت حتى سمعتها سودا لتبتسم بانتصار قبل أن يقول الحارس بصوت مرتعش:

-سيقتلنا سيدي لو لم نُطع أوامره.

قالت له بثبات وهي تستعد للتحول:

-وأنا أيضًا سأقتلكم الآن لو لم تتنحوا من أمامي.

وفي هذه اللحظة خرج عدار يرفع حاجبه بتعجب مرددًا:

-ما الذي جاء بكِ إلى هنا في هذا الوقت؟!

عينها بدأت تطلق شررًا أصفر اللون ليستشعر عدار غضبها الشديد، فخرج من الغرفة وأغلق الباب خلفه بعدما ألقى نظرة سريعة على آنا التي وجدها ما زالت تنام قريرة العين، ثم أمر الحارسين اللذين التقطتا أنفاسهما عندما ظهر قبل أن تتهور سودا:

-لا تسمحوا للهواء بالعبور من هنا.

أجباه بالطاعة لينطلق وهو يُمسك بمرفق سودا ويضغط عليه بحنق قائلًا:

-تعالي معي لمكان نستطيع الحديث فيه.

*****

نظرت كوبا لستراش الذي أومأ لها برأسه فضمت كفيها بعضها البعض وهي تقول له:

-حسنًا، سأخبرك كل شيء لكن يجب عليك أن تعدني أن لا تبوح بهذا السر حتى لنفسك يا إيدين وإلا ستقع آنا في خطر عظيم.

ظهر القلق جليًا على وجهه، لوهلة قد ظن أن كوبا تُقيم مع استراش علاقة حميمية، لكن بعدما ذكرت آنا فإن الوضع يبدو أنه خطير وأكبر مما يتصور!

خطوا نحو المنزل لتفتحه كوبا بالرقم السري، ثم دلفت للداخل لتجلس على مقعد الطاولة وبجوارها استراش وأمامهما إيدين الذي أصاب القلق والتوتر كل خلية يملُكها!

تنهدت كوبا بعمق وقصت عليه حكاية آنا منذ صغرها حتى الآن، ظل يحدق بهما بملامح جامدة جعلت كوبا تشعر بعدم ارتياح تجاهه، بينما عقله هو يدور في اتجاه آخر!

لينطق أخيرًا بصوت ثابت:

-لا يوجد أي وسيلة لإنقاذها من هناك؟!

نظر استراش نحو كوبا التي بادلته نظرته بأخرى تعني أنها تريد إنقاذ ابنتها وفي الوقت نفسه لن تستطيع فعل ما يجب، لضعف قلبها وهذا الأشياء تريد قلبًا قويًا ومحباً ولن تجد أكثر من إيدين يمتلك هذه المميزات، نطقت عندما ناداها إيدين بطريقة تعرفها جيدًا:

-كوبااا، هناك طريقة واحدة أخبرني بها ماليم.

زفر استراش بضيق مع إطلاق نظرة جانبية نحو كوبا التي تجاهلت نظراته وقامت من مقعدها تتوجه نحو حقيبتها التي تضعها على طاولة صغيرة بجوار الباب لتخرج منها ورقة الاستدعاء كما كتبت بها وبخطوات بطيئة توجهت نحو إيدين الذي لم ينتظرها وقام من مكانه يمد لها يده، لتناوله كوبا الورقة بيد مرتعشة، فهذه الأمور الغيبية ليست

بسيطة على الإطلاق، نخطأ وحيد كفيل أن يدمر إيدين وهو مهما يكن معزته كآنا ابنتها فقد تربى وكبر في بيتهم.

فتح إيدين الورقة لتتسع حدقتاه ويتلون وجهه للون الأصفر بعدما هربت دماؤه، ليجلس على المقعد مرة أخرى وهو يشير لكوبا أن تجلس أمامه قائلًا:

-أريد أن أعرف قصة ما هو مكتوب هنا!

تنهدت كوبا بعمق قائلة:

-هذه التعويذة كما أاخبرتكما أن ماليم قال لي إنها مدونة في كتاب وضعه لي في صندوق معدني خاص بي في المكتبة، وقد قص لي حكاية تلك التعويذة أنها من رجل مصري كان شيخًا كبيرًا كما يطلقون عليه في مصر، وكان له علاقة وثيقة بالجن وكما حكى لي أنه كان يعيش معهم لفترات طويلة، ولذلك قام بكتابة كتاب عن أسرار الجن والشياطين وكيفية التخلص منهم والتصدي لهم، وعندما توطدت العلاقة بينه وبين جدك وعرف بأمرنا وبمطاردة جنود عقازئيل لنا أعطاه هذه التعويذة وأخبره أن يستخدمها إذا لزم الأمر كهدية منه، وأنها لتحضير عفريت قوي من الجن، لذلك يجب عليه أن يكون حذراً ولا يستخدمها سوى مرة واحدة.

ومن وقتها وقبل وفاة جدك أعطى التعويذة لعمك وعمك بدوره أعطها لي قبل وفاته وحذرني أن أستخدمها إلا في يوم الثالث عشر من أكتوبر لأنقذ بها آنا حين أشعر بالخطر الشديد عليها.

وقف إيدين يستعد للرحيل وهو يقول لستراش:

-تعال معي للدير وأرني الباب الذي دلفت آنا منه.

نظر له استراش بغضب واضح لتعلو نبرة صوته قائلًا:

-أولاً يجب أن تتحدث معي بلباقة واحترام، ثانياً أن لن أذهب الآن لأي مكان سوى الفراش.

صك إيدين أسنانه بحنق لتحمر عيناه ويصرخ به وهو يقترب منه:

-أتجرأ أن تحدثني هكذا بعدما فعلته بحبيبتي أيها الأحمق، الذي لا يبحث سوى عن مصلحته الشخصية ولو كان الثمن آنا؟!

وقفت كوبا بينهما لتصيح بهما:

-توقفا أنتما الإثنان.

ثم نظرت لإيدين قائلة:

-وأنت اذهب لتأتي بالأدوات المطلوبة واترك استراش يستريح قليلًا، فلم نذق طعم الراحة نحن الإثنان منذ يومين.

تركهم إيدين بعدما ألقى نظرة ثانية نحو الورقة وعرف أن موعد التحضير هو الغد وليس اليوم، التفت ليخرج من باب المنزل وهو يقول:

- سأكون أمام الدير الساعة الثانية عشر منتصف الليل في الوقت نفسه الذي دخلت بها آنا إلى هناك، وسيكون معي الأدوات المطلوبة سأجدك هناك لتدلني على الباب وتعود أنت لتستريح ثانية كما يحلو لك.

*****

صرخت به سودا وهي تدفعه في صدره:

-هذا الحديث تستطيع أن تخدع به الإنسية التي أتيت بها

إلى هنا يا عدار.

حاول أن يتمالك نفسه أمامها ويكبت غضبه على تعديها لحدودها معه، كي لا تنقلب عليه هي الأخرى فهو لن يستطيع محاربة هذه الجبهات الكثيرة في آن واحد، اقترب منها وهو يحذرها بعينيه؛ لكنها لم تتراجع عن التحديق الحانق بوجهه، ليُمسك هو مرفقها يجرها نحوه لتلتصق بصدره فارتعشت حدقتيها بتأثر جعله يبتسم لها وقد لمعت عيناه وهو يقول:

-ما الذي لا تصدقيه في حديثي يا سودا؟! كيف لي أن أثبت لكِ أن آنا ليست سوى وسيلة لنتخلص من هذه اللعنة؟! كم من المرات يجب أن أخبرك أنها لا تعني لي شيئاً وكوني أعاملها برفق فذلك حتى لا تهرب من القصر، وأنتِ تعرفين لو هربت من هنا فمصيرها سيكون شيئاً من اثنين يا الموت على يد العرابيد يا الموت لنا على يد الأصلات فأيهما تفضلين؟!

هزت رأسها نفياً بعدم اقتناع وهي تردد:

-لا يا عدار الأمر ليس هكذا فقط، هناك شيء غامض في هذه الفتاة يدفعك نحوها، فلا أحد على الإطلاق دخل غرفتك ونام في فراشك منذ سبعة قرون سواها.

تأفف بضجر وقد اسودت حدقتاه بسخط ليترك مرفقها ويدفعها برفق عن صدره وهو يزمجر:

-ااه يا سودا ااااه لقد فاض كيلي منك.

شعرت أنه سيتركها ويذهب وهي لن تتحمل ابتعاده ولو ليلة واحدة، فركضت نحوه تحتضنه بقوة قائلة:

-لقد أكلت الغيرة قلبي يا عدار، وأنت تعرف مدى حبي وإخلاصي لك، لم أتحمل أبدًا وجود امرأة أخرى تستطيع امتلاك قلبك أو جسدك غيري.

دفعها عن صدره وهو يجعد وجنته باشمئزاز:

-ما الذي تهزين بقوله؟! أنا لا أفهم حقًا كيفية عمل عقلك هذا، نحن على شفا حفرة من نار وأنتِ هنا تحدثين عن حب وشعارات لا تعنيني في شيء، مؤكد هناك خطب ما في عقلك ساقكِ لهذا الجنون.

ترقرقت عيناها بالدموع وهي تخطو نحو فراشها لتجلس عليه قائلة بنبرة حزن أفسدت صوتها الجهوري:

-منذ أن صرنا سويًا وأنا أعرف أنك لا تحبني، أنت أبدًا لم تُحب أحدًا سوى عدار، لكني راهنت على أني لي مكانة في قلبك لن يتعدها أحد سواي.

انطلق عدار بخطوات واسعة نحو باب الغرفة ليخرج منها وقد ضاق صدره من مشاعر سودا، التي تلقب بذوات الدم البارد وقد تلقت هجمة إنسانية كان قد نسياها من مئات السنوات، ليقول لها وهو يفتح الباب الرملي:

-حين تفيقي من هذيانك هذا فكري في طريقة نتخلص بها من عائلة الأصلات قبل أن يصلوا لآنا، فأنجيتا لن تنتظر أكثر من ذلك للتدخل.

ثم خرج من الغرفة وتركها تنظر للفراغ الذي تركه خلفه، لتستطيل حدقتاها بمكر شديد وهي تردد:

-حسنًا يا عدار سأصدقك لوقت قصير، وذلك لأنني أعرفك جيدًا فأنت لا يهمك في هذا الكون سوى مصلحتك الخاصة، لكن إن صدق حدسي ستكون نهايتك بيدي أنا!

*****

وجدت نفسها في غرفتها التي في منزلها، تقف أمام الشرفة لتجده يقف بجوار الشجرة الكبيرة التي أمامها، يلوح لها أن تتبعه وملامحه مذعورة بشكل غريب، نزلت الدرج وهي تنادي أمها التي لم تُجبها، رغم أنها تجلس على طاولة الطعام تحتسي فنجاناً من القهوة وعيناها شاردتان ووجهها حزين بشكل لا يصدق، اقتربت منها وهي تناديها:

-أمي ألا تسمعينني، فأنا أناديكِ منذ فترة طويلة.

رفعت كوبا الفنجان على فمها لترتشف منه، وتتنهد بعمق وكأن هموم العالم تكالبت عليها، لكزتها آنا في كتفها وهي تصرخ بها:

-أمي ما بكِ.

وجدته يقف أمامها قائلًا:

-لن تسمعكِ يا آنا فأنتِ هنا من أجلي أنا.

اقتربت منه وهي تهز رأسها بعدم تصديق قائلة:

-ما الذي حدث يا آصف؟! أنا لا أفهم شيئاً! هل أنا في كتاب جدي؟!

أمسك بكفها وانتقل بها لغرفة مظلمة وباردة وهو يقول:

-أنتِ في الواقع يا آنا وليس في محاكاة أجدادك، أنا جئت لأحذرك.

نظرت حولها وقد تملكها الخوف لتحاوط نفسها بذراعيها وهي تقول له:

-أنا لا أراك يا آصف أين أنت؟! ولماذا جئت بي لهذه الغرفة الباردة والمظلمة؟! لم تتلق إجابة فَعَلاَ صوتها وهي تناديه:

-أجبني يا آصف تحذرني مِن مَن؟!

أنارت الغرفة لتفزع آنا صارخة عندما وجدت أرضيتها تعج بالثعابين الصغيرة الملونة، وفي نهاية الغرفة تقف أفعى مجلجلة تنظر نحوها تنتظر الوقت المناسب لتنقض عليها، فارتعش جسدها من الخوف لتفتح عينيها بذعر وتفركهما بسبابتها وهي تتأمل الغرفة الخشبية وتبحث بعينيها عنه، لتتسارع دقات قلبها ذعرًا عندما وجدتها تقف في زاوية الغرفة هادئة بحجمها الصغير وألوانها الزاهية المريحة للعين تنظر نحوها.

انتفضت آنا بخوف تلتفت حولها تبحث عند عدار ولا تجرؤ على مناداته وهذه الأفعى تنظر إليها، رددت أنا بثبات:

-من أنتِ؟! وماذا تريدين؟!

تحولت فيرترا لهيئتها البشرية وخطت نحو آنا بحذر وبهمس قالت لها:

-اخفضي صوتك فالحرس على باب الغرفة.

أخفضت آنا صوتها وهي تحذرها:

-أخبريني إذن من أنتِ وإلا رفعت صوتي وجعلتهم يأتون إلى هنا.

رفعت فيرترا كفها أمام آنا تخاطبها بهدوء:

-حسنًا سأجيبك على كل ما تريدين معرفته، لكن عليكِ أن تأتي معي أولاً.

ضمت آنا حاجبيها بتعجب وهي تتساءل:

-إلى أين؟!

أجابتها فيرترا وهي تنظر حولها بحذر من أن يشعر أحدهم بوجودها، لتقترب من آنا هامسة:

-لمكان آمن.

جلست آنا على الفراش وهي تحدثها بجدية:

-أنا هنا في مكان آمن، تستطيعين محادثتي.

برجاء قالت لها فيرترا:

-أنتِ هنا في أخطر مكان في مملكتنا.

صوت خطوات عدار جعلها تتحول لبوا وردي صغير وانطلقت زاحفة بأقصى سرعة خارج القصر وهي تنبهها:

-احذري منه وسوف أتي لكِ ثانية ووقتها ستأتين معي رغمًا عنك.

اختفت فيرترا وفحيح صوتها ما زال يتردد في أذن آنا!

دلف عدار للغرفة ليتوقف في الموضع الذي كانت تقف فيه فيرترا منذ لحظات وعيناه تتجولان في الغرفة بأكملها، بينما أنفه يستطلع رائحتها المعروفة بالنسبة إليه، نهضت آنا لتقترب منه متسائلة بحذر:

-لماذا تقف هكذا؟!

نظر نحوها وعيناه تحدقان بها بغرابة، يريد أن يقرأ ما بهما، لكنه لم يجد شيئاً سوى الخوف منه، وبخطوات واسعة وسريعة انطلق نحوها ليُمسك مرفقها بقوة جعلتها تتأوه بينما هو يزيد من ضغطه على ذراعها قائلًا بغضبٍ شديد:

-مَن مِن عائلة الأصلات كان هنا؟! وبماذا أخبرك؟

ترددت آنا في إخباره فزعق بها حتى ارتعد جسدها:

-تكلمي.

حاولت أن تحرر ذراعها من بين يديه وهي تصرخ به:

-لا أعرف عما تتحدث، اترك يدي فأنت تؤلمني.

ترك يدها والتفت ليخرج من الغرفة ليتوقف عندما استفزته قائلة:

-ما الذي يخفيك لهذه الدرجة؟!

عاد إليها ليقف على مقربة منها يطلع إليها بكبر اتسمت به شخصيته، التي عرفتها منذ أول لقاء بينهما:

-أنا لا أخاف من شيء ولا من أحد على الإطلاق، ولو ظننتِ لوهلة أنني أخشى شيئاً فأنتِ لم تعرفين بعد عدار، ابتسمت بتهكم واضح وهي تقول مستهزئة:

-إذا لم كل هذا الرعب الذي ارتسم على وجهك لمجرد إحساسك أن أحداً دخل هذه الغرفة غيرك، تقدم إليها حتى لم يعد بينهما مسافة، ليقبض على مرفقها؛ لكن هذا المرة خفف قبضته ثم جذبها نحوه حتى التصقت بصدره العريض لتتسارع دقات قلبها وتحمر وجنتها لقربه ليخفض هو رأسه حتى أصبح أمام وجهها مباشرة يأسر عينيها بنظراته قائلًا:

-أنا لم أرتعب في حياتي إلا منذ ثلاثة أيام، وكون أحدهم تجرأ ودخل قصري فمؤكد هناك خائن أو مُهمل

وكلاهما يجب عليَّ قتله قبل أن يتكرر الأمر ويصيبك مكروه ووقتها سيكون القتل شيئاً هيناً بالنسبة إليهم.

ثم ترك مرفقها والتفت يخطو نحو الباب لتوقفه ثانية:

-لا أريد خوفك عليَّ فأنا قادرة على حماية نفسي.

أكمل مسيرته ليفتح الباب ويخرج منه منادياً:

-بابوا

أتاه راكضًا بينما الحارسان الواقفان على باب الغرفة يرتعدان عندما نطق اسم " بابوا" الرجل الذي ترتعب منه العائلة بأكملها، ولا يستدعيه عدار إلا في مُصاب كبير.

وقف بابوا أمام عدار يحني رأسه وسيفه الأسود المعدني يتدلى من خصره، ليشير له عدار على الحارسين قائلًا:

-أنهى حياة هذين وإتني بأشد وأقوى حارسين في جميع العائلات ليقفا هنا.

بدأ الحارسان في التمتمة بالاعتذار عما لا يعرفاه وهما يتساءلان:

-ما الذي حدث يا سيدي؟ نحن لم نفعل شيئاً! نقسم لك لم نفعل شيئاً.

سمعت آنا توسلاتهم فهمت بالخروج إليهم والدفاع عنهم؛ لكنها وجدت الباب موصداً من الخارج، ازداد غضبها وبدأت في الخبط بقوة ليومئ عدار برأسه نحو بابوا الذي استل سيفه بكل يسر وقام برفعه وتمريره تحت رأسيهما لتسقط رؤوسهم على أرضية الممر الطويل وعيناهما جاحظتان من المفاجأة، بينما جسدهما ما زال واقفان يرتجفان ليسقطا في النهاية.

نادى بابوا للخدم ليأتوه مسرعين فأمرهم بالتنظيف المكان من دمائهم المتناثرة على الأرضية الخشبية، بينما هو ذهب لاستدعاء الحارسين الجدد بعدما أذن له عدار، وهو يتجاهل طرق آنا القوي على الباب وسار تجاه باب القصر الكبير قاصدًا زيارة خاصة لعائلة الأحناش، فالخطر أصبح الآن كبيراً جدًا على احتوائه؛ لكن قبل زيارتهم يجب أن يزور عائلة الأصلات سرًا ويفعل شيئًا بسيطًا لكي لا تعاود أنجيتا المحاولة للاقتراب من قصره.

*****

نظر لساعة يده فوجدها اقتربت على منتصف الليل، ألقى نظرة سريعة للصندوق الذي يحمله ليتأكد أن كل ما هو مكتوب في الورقة قد ابتاعه، لقد قضى يومه الطويل في البحث عن تلك الأشياء حتى استطاع جمعها من أكثر من مكان حول المدينة أجمعها، تأفف وهو ينتظر استراش بغضب يرتسم على وجهه حتى لمحه يتقدم نحوه بسيارته من بعيد.

وصل استراش له وهو أكثر من حانق لما سيفعله، خرج من السيارة وهو يهدأ نفسه ليحاول محاولة أخيرة لإقناعه عن العدول عما يريد فعله؛ لكن إيدين لم يسمح له بفتح فمه، فتقدم بخطوات ثابتة للأمام نحو الدير وهو يقول له:

-هيا بنا.

زفر استراش بضيق فيبدو أنه مُصّرً على فعلها، سار خلفه ليسبقه ببضع خطوات وهو يلتف حول الدير حتى وصل للباب المنشود ليشير له بسبابته قائلًا:

-هذا هو المكان.

انحنى إيدين ليضع الصندوق الذي بين يده على الأرض أمام الباب، ثم استقام وخطى نحو المقبض ليديره ويدفع

لكنه لم يتحرك قيد أنملة، حاول بشكل أقوى لكن لا فائدة لا يتزحزح الباب ولا حتى يُصدر صوتًا، وضع استراش كفيه فوق بعضهما بضجر وهو يخبره:

-وفر مجهوداتك لما ستفعله فهذا الباب لم ينفتح منذ قرون سوى لآنا.

زفر إيدين بضيق وهو ينظر حوله مرددًا:

-وماذا سأفعل أنا هنا في الشارع هكذا، يجب أن أكون بمكانٍ مغلق وآمن.

أجابه استراش ببساطة وهو يهُم للمغادرة:

-تستطيع دخول الدير، لكن دون أن يشعر بك أحد حتى لا نتعرض للمسائلة.

ثم التفت عائدًا لسيارته وهو يحذره:

-احترس جيدًا لما ستمارسه فالعودة من هذا الطريق مستحيلة.

دقت الثانية عشر في ساعته لينطلق هو نحو باب الدير

الرئيسي متخطيًا العلامة الموضوعة

"ممنوع الاقتراب، منطقة محظورة".

دفع الباب بقدمه لينفتح على مصرعيه ثم أغلقه خلفه وأخرج هاتفه من جيبه ليضيء الكشاف حتى يتبين طريقه، تقدم للأمام وعند أول طاولة وضع الصندوق عليها وجلس على المقعد وفتح الورقة ليجرب ما دّون بها بالترتيب والدقة نفسها، وقد بدأ جسده في الارتعاد ودقات قلبه أصبحت عالية ومسموعة وتركض كحصان في سباق كبير يعدو بأقصى سرعة عنده،

ليردد بصوت خرج مرتعشًا رغمًا عنه:

-هكذا أصبحنا في يوم الجمعة.

أخرج من الصندوق الأدوات المطلوبة، التي كانت عدة شموع كبيرة توضع على الأرض في شكل دائري ويجلس هو وسطها، ثم أخرج المصحف الشريف وبدأ في قراءة سورة البروج ثلاثين مرة، ثم بدأ بترديد سورة الجن خمس مرات متتاليات بصوت عذب، وبعد أن انتهى بدأ يردد دعاء طويل مدون في الورقة نفسها، شعر بالملل الشديد من ترديده لهذه الكلمات حتى جف حلقه ولم يشعر بأي

شيء غير مألوف، زفر بضيق ثم قرر أن يستمر في ترديد هذا الدعاء، الذي يتبعه نداء باسم هذا الجني حتى يجيبه أو يظهر له كما هو مكتوب في التعليمات.

جسده بدأ يرتجف من البرد؛ لكنه أصر أن يستمر حتى بدأ اليأس يتسلل إليه مع سؤال مُلح هو "مؤكد فعلت شيئاً خاطئاً".

وفي المرة التي قرر أنها الأخيرة وسيراجع بعدها التعليمات المدونة، شعر بحركة غريبة وهواء ساخن يدور في المكان بعدما كان قد اقترب على التجمد، الهواء الساخن أصبح شديداً حتى اطفأت الشموع المضاءة التي تنير المكان، انتفض إيدين واقفًا وظل يردد النداء بعدما حفظه من كثرة ما قاله حتى شعر بهواء شديد السخونة يلف حوله ليقف هو متسمراً ولسانه يأبى التوقف، إلى أن سمع فرقعة خلف أذنه جعلت جسده يرتعد، ومن بعدها أضاءت الشموع مرة أخرى، ليلتفت سريعًا حين شعر بأنفاس من لهب تلفح مؤخرة رأسه، ليجده بحضوره المهيب، وجسده الضخم وملامحه العجيبة المخيفة جدًا بالنسبة إليه، يقف أمامه قائلًا:

-ما الذي تريده؟!

ابتلع ريقه بصعوبة وهو ما زال يردد الدعاء ليزعق به الجني:

-توقف، فأنا هنا ألا تراني؟!

تنحنح إيدين وعاد عدة خطوات للخلف بخوف بادٍ عليه، ليزفر الجني وقد بدأت عيناه بالاحمرار، ليتحدث إيدين وهو يحاول أن يسيطر على جسده الذي يهتز بشدة:

-أ أ أريد أن تساعدني على العثور على آنا وإنقاذها.

سأله الجني بتعجب:

-أجبني أولًا من أين جئت بهذه التعويذة؟!

أنفاسه اضطربت ثم رفع الورقة التي أصبحت كومة في يده من توتره، وفتحها أمامه وهو يقول له:

-هذا الرجل أعطاها لجدي.

نظر بها الجني وضيق عينيه وهو يفكر، لا بد أن يكون هناك شيء خطير جعله يعطي هذه الورقة لجد هذا التافه، نظر نحو إيدين الذي يحاول تجنب النظر نحوه ليقول له:

-من هي آنا؟! وأين اختفت؟!

أجابه بهمس وهو يدير وجه لاتجاه آخر حتى لا يراه:

-آنا هي خطيبتي، وقد أخبرتني أمها أنهم يطلقون عليها المنشودة لأنها ولدت..

رفع الجني كفه لأعلى ليتوقف إيدين عن الحديث، بينما نظر الجني حوله في الدير ثم اختفى من أمامه، ليعود ثانية في لحظتها قائلًا بوجه محمر من الغضب وصوته رج الدير رجًا:

-هذا المكان ملعون من قِبل ابن عقازئيل، كيف تجرؤ على إحضاري إلى هنا؟!

ارتعدت فرائصه وقد بدا الذعر يتملك منه ليخبره وأسنانه تصطك ببعضها البعض:

-لقد فكرت أن أستدعيك هنا حتى تُ تُ تساعدها، فقد دلفت من باب خلفي ولم تخرج من هناك منذ ثلاثة أيام، وهذا الباب لا ينفتح لأحد.

وبغيظ شديد أجابه:

-بالطبع أيها الغبي لن تخرج من هناك إلى أن تنهي هذه اللعنة وتنتصر على الشيطان.

هاج إيدين وبدأ يصرخ به وقد نسي أنه يحدث جنياً قوياً:

-إذن ما الفائدة من جلوسي هنا منذ ساعتين لأستدعيك، وكيف يقول هذا الرجل الخرف إنك جني قوي وستساعدنا إن احتاجنا إليك، وجعلنا جدي نتوارث هذه الورقة من ج..

لم يكمل جُملته ليجد نفسه ملتصقًا بالحائط، وجسد هذا الجني يكبر حتى أصبح على مقربة من سقف الدير، فبدأ يرتجف حتى كاد أن يبتلع لسانه بعدما أيقن أنها نهايته، ليقترب منه الجني هامسًا:

-هذا الرجل الذي نعته بالخرف جَد زوجتي، وقد ضحى بحياته من أجل الحفاظ على قبائل المسلمين، ولذلك ستظل معلقًا هنا للغد حتى نتعلم كيف تتحدث عن أسيادك.

اختفى الجني ليتنفس إيدين بعمق بعدما ظن أن نهايته

ستكون على يد هذا الجني، ليعود له الجني ثانية بعدما أطفأ الشموع ليُصبح الدير حالك السواد، فارتجف إيدين وهو يتمسك بالحائط من رعبه ليردد الجني في أذنه:

-نسيت إخبارك بشيء مهم، أنا لست جنياً قوياً أنا أقوى عفريت من الجن، وقائد جيوش المسلمين ورغم ذلك لن أساعدك في البحث عن خطيبتك، لكني سأساعدها هي للتخلص منك حين تعود، وتذكر جيدًا اسمي "بني النعمان"، فسوف تردده من الآن في أسوأ كوابيسك!

ثم تركه مُعلقًا على الجدار يرتعد بفزع من هول ما سمع ورأى، واختفى.

*****

اليوم الثامن

٨-أكتوبر

استيقظت فيرترا في الصباح على رائحة الدماء التي تملأ القصر بأكمله، خرجت من حجرها راكضة لتجد والدها وأخاها يهرولان من جحورها بذعر ويتوجهان نحو غرفة جدتهم أنجيتا، هرعت خلفهم حتى وصلوا لجحر أنجيتا الكبير ليجدوها تقف أمام الزجاج الأمامي ووجهها أسود من الغضب، وعيناها تمتلأن بالدموع ودموعها تنعكس في زجاج الشرفة الكبيرة التي أمامها، هرولوا نحوها وولدها يسألها بذعر:

-هل أنتِ بخير يا أمي؟

هزت رأسها نفيًا، لينظر أمام وبجواره أبناؤه الإثنان نحو الشيء التي تقف قبالته أنجيتا بهذا الحزن والغضب، لتشهق فيرترا بفزع من هول ما رأت، بينما احمر وجه أمام من الغضب، ليرفع ابالا كفه بأسى وهو يردد ترنيمة دينية عن الموت، ينعى بها الجثث التي أمامهم!

البحيرة الكبيرة التي تنتصف القصر تمتلئ بأكملها بالدماء

وبداخلها جميع حرس قصرهم الكبير، ينامون بشكل دائري حول بعضهم البعض وقد سُحقت عظامهم، وقام أحدهم بتصفية دمائهم في البحيرة!

توقف أبالا عن الترنيم بعدما ردد الجميع "آمين".

ثم قالت أنجيتا بسخط شديد:

-عدار!

تلونت عين أمام بالأسود القاتم وهو ينظر نحو الجثث المتراصة في البحيرة:

-لقد تجاوز أقصى حد له.

تحرك أبالا ليقف أمامهم قائلًا بغضب:

-يجب أن نتحد مع العرابيد ونلقن هذا المعلون درسًا قاسيًا.

اعترض أمام بحنق:

-لقد قلنا من قبل إن عائلة العرابيد تريد شيئاً آخر غيرنا،

ثم نحن لسنا بقوة يُستهان بها.

مسحت فيرترا بضع قطرات من الدموع تساقطت على وجنتها، وخطت لتنضم إليهم دون حديث وما زالت تحت تأثير صدمة رؤية ما حدث لهؤلاء الحرس المساكين، ظلت أنجيتا تنظر نحوهم ليخرج باقي العائلة من كل حدب وصوب يلتفون حول البحيرة في تجمهر كبير، وقد بدأت أصواتهم تعلو، البعض غاضب بشدة ويتساءل عما حدث، والبعض الآخر بدأ يرتعد خوفًا أن يُصبح هو الضحية التالية، بينما الجميع يرفعون رؤوسهم للأعلى وينتظرون كلمة كبيرتهم الأخيرة، رفعت الزجاج الذي تقف خلفه، لتصمت جميع الأصوات ويُصبح المكان كله في سكون تام، يرهفون السمع وينتظرون ما الذي ستفعله كبيرتهم حيال هذه الكارثة، تنحنحت أنجيتا لتجلي صوتها القوي ثم تكلمت:

-لن يجرؤ أحد على فعل هذه الجريمة البشعة سوى عدار.

بدأت الهمهمات تعلو فرفعت كفها ليصمت الجميع ثانية لتُكمل هي:

-عائلة العربيد طلبت منا الانضمام إليها لنقضي على عدار والمنشودة قبل أن تسوء الأمور، لكني رفضت لأن جميعنا

يعلم أن نوايا العرابيد لا تشبهنا في شيء، ولو حدث ما أرادوه سنهلك جميعًا، لكن بعد تعدي عدار على قصرنا وقتله لحراسنا بهذا الشكل المُهين فلا خيار لدينا سوى الانضمام لعائلة العرابيد والقضاء على عدار.

أصابت الصدمة أمام وهو ينظر نحو أمه التي أشارت للجمع بأن ينصرفوا بعدما طلبت من مجموعة من الرجال أن تنقل هؤلاء الحرس للقبو الكبير الذي به جميع من ماتوا في السابق، ثم أغلقت النافذة الزجاجية وخطت نحو مقعدها ليسبقها أمام بحنق ظاهر قائلًا:

-ما هذا القرار المتهور يا أمي؟!

تطلعت نحوه بامتعاض ليهُم سريعًا بالاعتذار لها بينما قال أبالا:

-هذا هو القرار الصائب يا أبي.

فزعق به أمام:

-لم أطلب منك أن تتحدث، والآن اخرج للرعية وأخبرهم أن الوضع آمن كي لا يصيبهم الخوف.

أطاع أبالا والده وخرج من الغرفة، لتتحدث أنجيتا برزانة وعقلانية:

-ليس من الضروري أبدًا أننا حين ننضم إلى للعرابيد نُصبح ممثلهم، أو أن نفعل ما يملوه علينا، سننضم إليهم لكي نكسب قوة مضاعفة؛ لكننا لن نحقق أهدافهم من الهجوم، ولذلك يجب عليك أن تذهب إليهم الآن وتخبر "دندروا" أننا معهم في الهجوم المقبل.

*****

تحركت في الغرفة بتوتر كبير وضيق أكبر بدأ يجثم على صدرها منذ أن استيقظت، رددت بخفوت والغضب يزين كل كلمة تخرج من فمها:

-سأظل محبوسة في هذه الغرفة إلى متى؟! لقد ضقت ذرعًا ولا أعرف ما الذي أفعله هنا؟!

وقعت عيناها على حقيبتها الملقاة على أرضية الغرفة بجوار الفراش الذي كانت تنام عليه، فجلست على المقعد وأمسكت بحقيبتها لتُخرج منها هاتفها النقال لتفتح شاشته على عجل، وكأنها كانت تتوقع أن يحدث معجزة وتراه يعمل، رفعت زاوية فمها بخيبة أمل وهي تنظر للشاشة

السوداء وتزفر بضيق، وضعت يدها داخل حقيبتها مرة أخرى لترى ما بها فوجدت دفتراً صغيراً به قلمها الذي تعرفه جيدًا، وبجوارها كيس قماشي به شيء ما كانت قد نسيته، أخرجتهم بلهفة كبيرة، لتشهق بخفة حين رأت دفتر يوميتها كما كانت تتمنى، لتقول بدهشة وهي تفتحه:

-من الذي وضعه في حقيبتي؟!

تخطت الصفحات المكتوبة وهي تقرأ ما بها سريعًا بعينيها، حتى وصلت لآخر صفحة كتبتها أول يوم في شهر أكتوبر وتحديدًا الجملة الأخيرة؛ لكن عينيها كانت مخيفة وتنظر لي بحذر شديد وكأنها تختبر شيئاً ما ولذلك قد...".

ضمت حاجبيها قائلة:

-وكأنه دهر مر يا آنا! والآن عرفت سبب توتر العائلة بأكملها كل عام في التوقيت نفسه!

قررت أن تُكمل ما حدث لها وطوت هذه الورقة لتجد رسالة من أمها بدأتها:

"حين تقرأين رسالتي ستكونين في مأزق وعند مفترق طرق، ولا تدرين ما الذي يجب عليكِ فعله".

ضمت حاجبيها وهي تقرأ وقد شعرت بالحنين لأمها وكأنها أبت أن تتركها في أكثر الأوقات ضيقًا، ترقرقت عيناها بالدموع لتُكمل ما كتبته كوبا:

"ولذلك سأخبرك ما أخبرني به والدك قبل وفاته، لا تتبعي قلبك يا آنا اتركي عقلك يعمل كما علمك والدك من قبل، لا تكوني حمقاء حنونة وطيبة كعادتك؛ لكن كوني حذرة لأقصى درجة، لا تأمني لأحد على الإطلاق ولا تصدقيه ولا تثقي سوى بعقلك أنتِ فقط، وتذكري جيدًا حادثة الكوخ، كلنا نعلم أنك أقوى مما تتخيلين، وتملُكين قدرة هائلة على اتخاذ القرار الصحيح؛ ولذلك جميعنا نثق بحكمك الصائب، كوني شجاعة، مثابرة، قوية القلب، والأهم من ذلك كله املأي قلبك بالإيمان الشديد ولا تنساقي نحو شهواتك، الاختبار صعب جدًا يا آنا وما لا تعرفينه أن الكثير قد رسب به وكانوا أكثر قوة وإيمانًا منك؛ لكنهم لم يحملوا قلبًا طيبًا وعقلًا حكيمًا مثلك".

أمك الحبيبة التي لن تفارقك أبدًا

كوبا

أغلقت الدفتر ومسحت دمعة سقطت على وجنتها

وهي ما زالت تتخبط في التيه ولا تدري إلى الآن ما هذا الاختبار وكيفية تجاوزه، وضعت الدفتر في الحقيبة وأمسكت بالكيس الذهبي لتفتحه وتُخرج منه الحجر الزمردي الذي أهداها لها آصف، وضعته في راحة يدها وحركته بسبابته وهي تردد:

-لقد أخبرني أن أنادي باسم... أعتقد أنه كان يوناس!

لتتلعثم وينتفض جسدها حينما فتح عدار الغرفة عليها دون أن تشعر بقدومه مثل كل مرة، لتغلق كفها على الحجر تخبأه بينما يسألها عدار وهو يضُم حاجبيه:

-ما الذي تفعلينه؟!

رددت بضيق:

-لا شيء.

-إذن لما تجلسين هكذا تحدثين نفسك؟!

وقفت بغضب تصيح به:

-وهل هناك أحد في هذه اللعنة يتحدث معي أو حتى أراه

غيرك.

اقترب منها يتساءل بقلق:

-ما بكِ؟ ما الذي يغضبك هكذا؟

أجابته بهياج عجز عن استيعابه:

-لا شيء سوى سجني هنا في هذه الغرفة الخانقة ذي الحرارة العالية والرائحة الكريهة.

تقدم أكثر نحوها قائلًا:

-لقد أخبرتك من قبل أننا لا نعيش سوى في مكان دافئ وإلا تجمدنا ومتنا، وأخبرتك أيضًا أنكِ لو خرجتي من هذه الغرفة ستصابين بأذى فالجميع هنا أعداء لكِ.

أكملت صراخها:

-أنا لا أعرف ما الذي أفعله هنا؟! لقد قلت لي إنكم تنظرونني لأنهي لعنتكم، أخبرني كيف أنهيها لأخرج من هنا، وأتخلص من هذا الكابوس، لقد سئمت.

ثم جلست على الفراش منهكة خائرة القوى وقد تشتت ذهنها وتعب جسدها مما عاشته في خلال الأيام السابقة، جلس عدار بجوارها وداخله يتخبط بشدة بين إرادتين كل منهما تدفعانه لاتجاه، أحدهم تحثه أن يقترب منها ليطمئنها ويحميها ويحارب من أجل أن تكون بأمان، والأخرى تدفعه دفعًا لأن يجعلها تفعل ما يريده وما أتت هي من أجله ولا يهم ما سيحدث لها، الأهم أن تنهيه قبل موعدها المحدد ووقتها ستكون خيوط اللعنة بين يديه ليفعل بها ما يشاء.

شعر بإنهاك للمرة الأولى يحس به، دومًا كان يعرف ماذا يريد ودومًا كان يحصل عليه، أما الآن فالوضع مختلف، تحدث بصوت هادئ وهو يضع كلتا ذراعيه على ركبتيه ويضم أصابع كفيه ببعضها البعض وكأنه يحاول السيطرة على زمام جسده:

-كنت أظنك فتاة قوية وذا طبع حاد.

أجابته وعيناها تتطلعان للفراغ أمامها:

-الجميع ممن يعرفون أمري يظنون ذلك.

ظل على وضعه ولم يلتفت إليها وهو يقول:

-وأنتِ ماذا تظنين؟!

تطلعت إليه قائلة ببساطة أهلكته:

-أنا لا أظن شيئاً أنا أريد أن أعود لمدينتي ولأمي.

ثم ضغطت بقوة على جملة:

-ولخطيبي ولحياتي الهادئة السابقة.

شعر بشيء غريب يجتاحه جعله يستدير بجسده نحوها ونيران قلبه تتصاعد وهو يسألها بجدية:

-هل تحبينه؟!

تأملته بتعجب لتردد بابتسامة تهكمية:

-السيد مهووس السيطرة يشعر بالغضب؛ لأن هناك فتاة رأته ولم تعشقه وتركض خلفه لتدفعها الغيرة العمياء لقتل من حوله من النساء حتى لا تقترب منه إحداهن.

ضم حاجبيه قائلًا:

-ما الذين تهذين به؟!

-ضحكت بخفة وهي تجيبه:

-وهل تظن أنني لم أسمع ما حدث في الصباح مع ملكة الأفعويات.

أصابته الدهشة لتعلو نبرة صوته:

-من الذي أخبرك بالأمر؟!

تنهدت قائلة:

-ألم تسمع إجابتي، لقد سمعت كل ما يدور بينكما وفهمت أن زيارتها المفاجأة كانت لغرض غير أن تأخذها وتذهب لمكان آخر.

سأل بمكر:

-ولماذا زارتني في الصباح إذن؟!

رفعت زاوية فمها باستهزاء قائلة:

-حتى ترى الفتاة التي أتت من فوق الأرض واستطاعت الدخول للعنة والمبيت في غرفتك.

نظر نحوها في ذهول فتجاهلت نظرته ونهضت لتقف أمامه ثم انحنت بجوار أذنه هامسة:

-لا تنس أنني هنا كي أكسر اللعنة وأنقذ أربع عائلات يصل عدد ذويهم لمليون شخص ويزيد، ليس لأن نقيم سويًا علاقة حميمة قائمة على الإعجاب المتبادل الذي سيصل للحب الملتهب بين الشاب الوسيم وبطلة القصة.

ثم تركته يعض شفتيه بحنق، وتقدمت لتلتقط حقيبتها وخطت نحو الغرفة الداخلية وعقلها يدور في اتجاهين لا تعلم ماذا ستختار منهما، هل تنتظر حتى تُكمل ما جاءت من أجله أو تستخدم الحجر وتخرج من هنا وتنقذ قلبها قبل أن يقع صريعًا لهذا "الوغد" كما أسمته؟!

*****

صرخت إلينا باسمه جعلت جسده يرتعد قبل أن يختفي ويظهر أمامها أمسكه نعمان قائلًا:

-انتظر قليلًا، لم تنتهِ بعد.

نظر يوناس نحوه بتعجب ليسأله:

-ما الذي تقصده يا أبي؟!

وقبل أن يُتم جملته سمع صرخة أخرى هزت أرجاء القصر، لكن هذه المرة باسم دانا أمها،

هذه المرة انطلق نحو زوجته ليتبعه نعمان وابتسامته العبثية تشق وجهه، وجد نعمان روهان تقف مكتوفة اليدين ودموعها حبيسة حدقتيها، ويوناس يقف أمام الغرفة التي تلد بها إلينا يدور حول نفسه بقلق شديد، بينما غضبه يتصاعد لأنه ممنوع عليه الدخول إليها بإذن الحكيم، حاوط نعمان خصر روهان بكلتا ذراعيه واختفى بها لمكان تعرفه جيدًا.

زفرت بضيق وهي تلتفت نحوه وقد بدأت خطوط السنين تحفر علامات طفيفة تحت عينيها، وأعلى جبهتها حين تكون غاضبة، لتهتف به:

-ما الذي تفعله يا نعمان؟ أجننت أنت؟! حالة إلينا خطيرة وأنت تعلم أن لا أحد معها سواي، بالإضافة لحالة

ولدك، لقد أوشك أن يفقد أعصابه مرتين على الحارس التابع للحكيم وأنت بدلًا من أن تساند ولدك تأتي بي إلى هنا؟!

تجاهل غضبها وما زالت ابتسامته تشق وجهه ليسألها بجدية:

-هل تعرفين ما تاريخ اليوم؟!

كادت أن تقطع خصلات شعرها من تحت حجابها وهي تضم قبضتها بغيظ ولم تجبه بل أخذت نفساً عميقاً وهي تُغمض عينيها، لتفتحهما بعد لحظات وهي ترى ابتسامته الرائقة نفسها تزين وجهه الجميل، فلم يسعها سوى أن تبتسم له قائلة وهي تضع كفيها فوق بعضهما البعض بقلة حيله:

-اليوم هو الثامن من أكتوبر يا نعمان، ها ماذا تريد؟!

تحسس وجنتها بظاهر كفه وهو يسألها برقة:

-ألا يذكرك هذا التاريخ بشيء؟!

عادت لحنقها وهي تضغط على كل حرف لتجيبه:

-نعمااان أرجوك أنت تريد أن تصيبني بجلطة ترديني قتيلة في الحال، ابنتي تلد ولادة متعثرة، وولدي يكاد يُجن عليها، وأنت تأتي بي لهذا المكان الرومانسي لتسألني ما الذكرى الجميلة التي قضينها معًا في هذا اليوم، أرجوك انقلني لولدي كي أطمأن على إلينا وأعدك وقتها سنأتي سويًا نتذكر كل تواريخنا معًا.

لم يعيرها اهتمامًا وقد رسم الحزن على وجهه وهو يسألها ثانية:

-حقًا ألا تتذكرين؟!

شعرت أن هناك خطباً ما ومؤكد هذا تاريخ مهم، كيف لها أن تنساه، بدأت تلوم نفسها ليستغل نعمان الأمر قائلًا بتأثر شديد:

-لم أكن أتوقع أن تنسيني هذا التاريخ يا روهان.

أمسكت يده بندم شديد وهي تعتذر له:

-لا تغضب مني أرجوك، يبدو أن ما حدث لإلينا قد جعلني أنسى هذا اليوم، فأنت تعلم أنها تعاني آلام المخاض منذ أسبوع ويزيد، ولا أحد معها غيري كما تعلم.

ثم وقفت على أطراف أصابعها لتُقبله على وجنته قائلة:

-سامحني أرجوك.

ضم حاجبيه بأسى مردد وهو يهز رأسه:

-ليس هنا.

لم تفهم روهان مقصده حتى انقض عليها بقبلة جعلتها تهوى بين يديه ليتركها على الفور، حين سمع نداء يوناس المتكرر جعله يشعر بالقلق الشديد؛ لكنه لم يُبين لها الأمر وهو يقول:

-انتظريني هنا وسأعود إليك على الفور.

لحقت به روهان قبل أن يختفي وأمسكت ذراعه قائلة:

-خذني معك الآن.

وقبل أن يعترض أردفت:

-لن أبقى هنا، انقلني لإلينا.

لعن ابنه متمتمًا، لينتقل إليه فوجده يجلس مع إلينا في الغرفة ويحمل والديه بكلتا يديه بسعادة كبيرة ليسلمهما لأمه التي بكت على الفور وهي تتطلع إليهما مرددة:

-تبارك الله حفظكما الله.

لينظر نعمان نحو يوناس الذي اقترب منه قبل أن يسأله والده عن سبب ندائه القلق، مما جعله يظن أن هناك مكروهاً أصاب إلينا، ليرفع يوناس معصمه قائلًا:

-لقد أضاءت الأحجار التي بداخل السوار يا أبي بلون الزمردي، وهذا اللون لم أره قط من قبل، بالإضافة لأنه حين أضاء سمعت اسمي من فم فتاة بلهجة عربية غريبة، ثم كان هناك شيء ما يسحبني إليها حتى انتقلت لدير في التشيك، لم أفهم شيئاً حين انقطع نداؤها فعدت إلى هنا على الفور فوجدت إلينا قد أنجبت طفلين ولم أستطع أن أتقصى الأمر.

ثم أكمل وهو يضيق عينيه:

-هل كنت تعلم أنهما طفلين لذلك أوقفتني؟!

ابتسم له ابتسامة يعرفها جيدًا، ثم نظر نحو روهان التي نسيته تمامًا وهي تحدق بحفيديها، جالسة جوار إلينا التي تبتسم لها بحب قائلة:

-سأسمي الفتاة روهان والولد عز على اسم أبي.

ترك نعمان ولده وهو ما زال يتحدث واقترب من إلينا قائلًا بجدية:

-لا لن يقترن اسم روهان بأحد غيري.

نظرت له روهان بتعجب وعيناها دامعتان بتأثر من حديث إلينا ليُكمل وهو يحمل التوأم:

-إما أن يكونا روهان ونعمان أو أن تطلقين عليهما اسمين آخران.

شعر بقلبه يرتجف حين ابتسمت له الفتاة، لينحني بهما أمام روهان وهو يقول:

-انظري كيف أحبتني الفتاة على الفور.

ثم قبَّلهما ووضعهما على حِجر زوجته، وخطى نحو يوناس

قائلًا:

-تعال معي.

وقبل أن يختفيا الاثنان نادته إلينا:

-وأنا لن أراجع كلمتك يا أبي سيكونان روهان ونعمان، لعلهما يحبان بعضهما البعض مثلكما.

ابتسم لها نعمان شاكرًا، واختفى وولده متوجهين نحو دير القديس بنديكتين.

*****

لقد انتصف النهار واقتربت الشمس على المغيب وهو ما زال معلقًا على الحائط، ورنين هاتفه لم ينقطع سوى بضع ساعات، فتح عينيه بتعب شديد لجسده كاد أن يتمزق من تعلقه هكذا على الحائط، بينما حنجرته تؤلمه من شدة الصراخ كلما سمع أصوات رجال تقترب من الدير، عاد هاتفه للرنين وهو يدعو الله ألا ينقطع شحنه قبل أن يسمعه أحدهم ويأتي إليه.

وبالفعل لم يبتهل كثيرًا حتى سمع صوت بضعة رجال

يتمتمون خلف الباب الخارجي للدير، وقد تناهى لسمعهم رنين هاتفه، صرخ إيدين بالتشيكية ليسمعوه على الفور ويدلفون داخل الدير ركضًا ليتوقف ثلاثتهم بفزع وهم يرددون:

-اللعنة!

تكلم إيدين بإرهاق شديد:

-أخرجوني من هنا.

ثبت الرجال مكانهم ولم يتحرك أحد منهم من الخوف وهم يرفعون رؤوسهم متسائلين:

-من الذي رفعك هنا؟!

أجابهم إيدين بنفاد صبر:

-لصوص!

وقبل أن يتحدث أحد منهم ثانية توسل إليهم:

-أرجوكم أنزلوني، سأفقد الوعي من التعب.

ذهب أحدهم ليبحث عن سلم ليصعدوا إليه، بينما وقف الآخران يتباحثان فيما بينهم هل عليهم الاتصال بالشرطة أم يساعدونه ويذهبون، حتى قرر في الأخير إن لم يجد صديقهما شيئاً يصعدون عليه سيتصلون بالشرطة ويتركونه.

عاد ثالثهم بسلم معدني طويل يحمله هو واثنان آخران من العمال المسئولين عن ترميم الجزء الخلفي من الدير، تهللت أسارير إيدين، ليعمل الخمس رجال في تحريره من على الجدار، صعد الأشد منهم وكانوا اثنان كل منهم على جانب ليحرراه، وبمجرد أن صعدوا للأعلى توقف الاثنان من الذهول وهو ينظرون لبعضهم البعض بدهشة يخالطها رعب حقيقي حينما وجدوه معلقاً دون حبال أو حتى أصفاد معلقة، فمجرد أن أمسكوا يده نزل معهم للسلم دون مجهود يذكر، بينما هبط الرجلان من أعلى الدرج بسرعة كبيرة وتركوه يهبط ببطء من كثرة الألم الذي يعانيه في جسده بأكمله.

ليجد أنهم بعدما هبطوا للأسفل تكلموا مع الثلاثة الذين رأوا الشموع المتراصة فأيقنوا أن هذا الرجل ليس عاديًا وانطلقوا ركضًا خارج الدير، وصل إيدين لأسفل بصعوبة وهو يتألم، لكنه حاول أن يُسرع فمؤكد بعد ركض هؤلاء الرجال سيطلبون الأمن وسيدخل في متاهات هو في غنى

عنها، ردد بخفوت:

-اللعنة عليك يا بني النعمان!

تذكر أنه ردد اسمه بالفعل فالتفت حوله بريبة خوفًا من أن يعود ويسمعه وهو يلعنه ووقتها لن يتوانى عن قتله في الحال، أغلق فمه وأخذ هاتفه وخرج من الدير بأقصى سرعة سمحت بها قدماه، ليتوجه ناحية سيارته ويهرب سريعًا من هذا المكان الملعون، قاد سيارته تجاه بيت ميلان فهو لن يستطيع العودة لمنزل والده بهذه الهيئة المزرية.

تذكر هاتفه الذي لم يكف عن الرنين، فأخرجه ينظر إليه فوجد معظم المكالمات جاءت من كوبا والأخرى كانت من ميلان وقليل من والدته وهناك ثلاث مكالمات من رقم غير مسجل، تخطى الأمر عندما أصدر له الهاتف إشارة أنه سينقطع بعد قليل.

عاود الاتصال بكوبا وفتح مكبر الصوت، ليجدها تُجيبه بلهفة وعندما سمعت صوته بدأت في البكاء ليهدأها قائلًا:

-لا تقلقي يا كوبا فأنا بخير.

رددت بلهفة:

-أين أنت وسوف تجدني عندك في الحال؟

أجابها بتعب بان على صوته:

-لا داعي لذلك فسوف أستريح الليلة وسأكون عندك في الصباح.

أصدر الهاتف إشارة أخرى فباغتها بالقول قبل أن تلح عليه فهو يعرف أنها لن تطمئن إلا حين تراه بعينيها:

-لقد أوشكت بطارية الهاتف على النفا -يا كوبا، لا تقلقي حين تجديه مغلقاً.

وقبل أن ينهي المحادثة وجب أن يحذرها:

-أنا لن أعود لمنزل والدي لا تخبريهم شيئاً، وإن حدثتك أمي فأخبريها أن لدي عملاً مهماً وسأعود في الغد.

تنهدت كوبا براحة فرغم كل شيء قد اطمأنت أنه بخير، رغم صوته الظاهر عليه التعب الشديد، التفتت نحو استراش الذي سألها ببرود وهو يتناول شطيرة لحم:

-هل اطمأننتِ أخيرًا على طفلك المدلل؟!

نظرت له بعتب وهي تُجفف دموعها قائلة:

-أنا أعتبر إيدين مثل آنا يا استراش.

نهض استراش من كرسيه ليقترب منها قائلًا بابتسامة خبيثة رسمها على وجهه:

-وهل قال لك ابنك الذي مثل آنا إلى أين هو ذاهب، طالما لن يأتي لمنزله؟!

ضمت حاجبيها بتعجب لتسأله بريبة:

-ما الذي تقصده؟!

مؤكد سيستريح في شقته الخاصة الذي سيسكن بها هو وآنا عندما يتزوجان، فهو يذهب إليها دومًا ولا يأتي لمنزل والده إلا قليل، ترك استراش شطيرته من يده وهو يقول لها:

-ابنك العزيز الذي تعتبريه مثل آنا لم يزر شقته الخاصة منذ أن اباتعها هو وابنتك.

شبكت ذراعيها بعضها البعض لتنتظر ما الذي سيفاجئها به ستراش، وقد هاجم الشك قلبها بضراوة، ليُكمل استراش حديثه بعدما ارتشف من كأس المياه الغازية رشفة كبيرة:

-ابنك الغالي على علاقة بغانية تعرف عليها في ملهى ليلي ومن وقتها لا يفارقها إلا حين يأتي لمنزل والده.

شهقت كوبا بذعر لتضع كفها على فمها بحزن بالغ، وتهز رأسها نفيًا، ليخرج استراش ورقة من جيب بنطاله ويضعها على المنضدة قائلًا:

-إن كنتِ لا تصدقيني، هذا عنوان بيتها فاذهبي واسأليها.

نظرت كوبا للورقة بصدمة كبيرة ليجلس استراش على المقعد ثانية، ويأخذ شطيرته ليُكمل طعامه وقبل أن يلتقم لقمة منها قال لها:

- ولو أن لي رأياً آخر.

رفعت عينيها لتتطلع إليه:

-من رأيي أن تعطي لآنا العنوان كي تكشفه بنفسها، لأنه لو عرف بعلمك للأمر سينهي العلاقة ببساطة ووقتها لن تصدقك آنا ولو صدقتك سيقنعها أنها كانت نزوة ومرت.

نظر لشطيرته وهو على استعداد لأكلها بنهم ليقول:

-وأنا رجل وأؤكد لكِ أنها ليست نزوة.

*****

انتظر حتى جنى الليل ودخل عدار بحر الأحناش بهيئته البشرية ورفض أن يذهب إليهم بهيئته الأفعوانية المخيفة كما أشارت عليه سودا.

تجمع حوله مجموعة من الثعابين الليلية العاصرة التي تتميز بها عائلة الأحناش، وهي مصدر قوتهم بالإضافة إلى أن هذه العائلة ينتمي إليها ثلث عددهم، رفع كلتا يديه وهو يقول بصوت مرتفع:

-أريد أن أقابل الملك.

ونظراً لعددهم الكبير فهم العائلة الوحيدة التي لديها ملك

ووزير، خرج وزيرهم يلوح لهم ليعودوا لهيئتهم البشرية، متأهبين لأي هجوم من قِبل عدار فهم لا يأمنوا جانبه أبدًا، أشار له الوزير أن يقترب منه، ليخطو عدار نحوه بخطوات ثقيلة وبطيئة يفهمها الجميع، حتى وصل إليه قائلًا:

-أريد أن مقابلة الملك.

سأله الوزير:

-أخبرني ماذا تريد؟! وأنا سأخبره بالأمر.

تلونت عين عدار وانقلبت طولية لتضيء أمام الوزير، فاهتز جسده خوفًا ليُعيد عدار ما قاله سابقًا:

-أريد رؤية الملك الآن!

وقف الوزير يناطحه للحظات حتى قال عدار مبتسمًا:

-لقد طلبت مقابلة الملك ثلاث مرات والجميع يعرف أن عدار لا يطلب الشيء ثلاثاً، لكني احترامًا لك طلبته ثلاثاً وبهذا قد تجاوزت صبري.

تردد الوزير قليلًا لكنه حسم أمره حينما فكر بالأمر

جيدًا، فهذا عدار الرجل الذي يهابه الجميع، وكونه جاء دون حرس أو حتى بهيئته الأخرى فهو يريد شيئاً لا علاقة له بالحرب، تقدمه الوزير بخطوة وهو يقول له:

-حسنًا اتبعني.

تبعه عدار للقصر الحجري وعيناه تتجولان في المكان بأكمله، فهو يعرف جيدًا أن بحور الأحناش عددها لا حصر له، وصل لقاعة القصر الكبيرة ليجد ملكهم يجلس على مقعده الحجري المزين بالوان كثيرة، ويرتدي حلة باللون الفيروزي، ينظر نحوه ليشير له بيده كي يقترب منه.

تقدم عدار نحوه بالخطوات البطيئة نفسها التي تدل على العظمة وحفظ المقام، ليبطئ من خطواته أكثر كلما اقترب من ملك الأحناش حتى فهم الملك مقصده وتنحى عن كرسيه ليقابله في منتصف القاعة فعدار ليس كأي أحد آخر، فهو له احترام وتقدير خاص حتى ولو له طلب، دعاه الملك ليجلسا سويًا على مقعدين قبالة المدفأة الكبيرة التي تشتعل بالنار، جلس عدار وتبعه الملك ليحدثه عدار دون مقدمات:

-مؤكد سمعت أن المُخلصة في قصري.

هز الملك رأسه إيجابًا ليُكمل عدار:

-ومؤكد أيضًا تعرف أنها ستفعل ما أطلبه منها.

تطلع الملك نحوه بتركيز ليستمع ما جاء من أجله، فقال عدار بثقة كبيرة كعادته:

-ستنضم لي كما فعلت ملكة الأفعويات، وتؤمن لي حماية من عائلة العرابيد والأصلات حتى اليوم المنشود، إلى أن ننتهي ونصل لبر الأمان سويًا، أو ستظل هكذا على الحياد وحينها لن ينضم إليَّ أحد بعد يوم الثالث عشر.

*****

اليوم التاسع

٩- أكتوبر

جابت الغرفة ذهابًا وإيابًا وهي تنتظر خادمتها لتأتيها بالأخبار، فهي لم تنم ليلتها وها قد أتى الصباح وهي لم تعرف بعد ما حدث الليلة الماضية معه، صكت أسنانها بغيظ وهي تكاد لا تصدق أنه لا يعاشرها منذ قدوم هذه الفتاة، طرقت الخادمة باب الغرفة لتأذن لها سودا على الفور بالولوج، نظرت الخادمة للأسفل قائلة:

-لقد تقصيت الأمر كما أمرتني.

زفرت سودا بحنق فأكملت الخادمة على عجل:

-وعرفت أنه لم ينم في قصره البارحة، وحتى الآن لم يعد للقصر منذ أن خرج في الليل وجاء إلى هنا.

لوحت لها بيدها فخرجت الفتاة ركضًا، لتجلس سودا أخيرًا بعدما ألمتها قدميها من الدوران في الغرفة طوال الليل، لتحدث نفسها بتعجب:

-لقد أتاني البارحة قبل أن يقابل ملك الأحناش، فما الذي جعله لا يعود إليَّ؟! أيعقل أن يكون أصابه مكروه من قِبل الأحناش؟!

انتفضت بفزع لتهم بارتداء بذلتها الرسمية، حتى سمعت صوت خطواته التي تحفظها عن ظهر قلب، هرولت نحو باب الغرفة لتفتحه على عجل فاصطدمت به وهو يدلف للداخل، تنهدت براحة ثم حدثته بلوم:

-لقد كدت أموت قلقًا عليك.

رفع حاجبه وزاوية فمه بتعجب ثم ولج داخل الغرفة وهو يسألها:

-لماذا؟!

أجابته وهي تغلق الباب خلفه وتسرع بخطواتها لتجلس بجواره على المقعد:

-اعتقدت أنك لم تتفق مع ملك الأحناش ولعبت بي الظنون أن تكون اشتبكت معه في قتال.

قال لها وهو يضيق عينيه:

-كنت أظن أنكِ لم تنامي ليلتك خوفًا من أن أكون نمت على فراشي بجوار الإنسية.

أجابته بغرور:

-لا، أعلم أنك لن تفعلها ثانية.

ابتسم نحوها بعبث وهو يقول:

-أم خادمتك أخبرتك أنني لم أعد للقصر الليلة الماضية، فاطمئن قلبك.

وقفت بدلال لتدنو منه، ثم انحنت أمام وجهه بغنج، وهي ترفع كفها وتمرر سبابتها على وجهه قائلة بهمس مغرٍ لم يعد يؤثر به:

-حتى وإن حدث ذلك، فلا يحق لي أن أغير عليك!

أزاح يدها من على وجهه ووقف قائلًا لها:

-اتركي هذه التفاهات فأنتِ تعرفين جيدًا أنها لا تعنيني، أنا جئت الآن كي أخبرك أن ملك الأحناش انضم إلينا،

وسوف يؤمن لنا حماية مضاعفة من الأصلات والعرابيد في خلال الساعات المقبلة.

ظهر الفرح جليًا على وجهها، لتخطو نحوه حتى التصقت بجسده قائلة وهي تلف ذراعيها حول جذعه:

-يجب علينا أن نحتفل بهذا الخبر السار.

رفع يدها من حوله بشدة وقد بدا الغضب يرتسم على وجهه:

-لم يتبقَ سوى أيام قليلة وسيتحدد مصيرنا جميعًا وأنتِ لا تفكرين سوى في علاقة حيوانية قد سئمت منها.

بدأ صوته يعلو بحنق ليزعق بها:

-تحملي المسئولية قليلًا ودعكِ من هذا الهراء.

ثم انطلق خارج الغرفة وهو يجول بعينيه في المكان وقد لمح خادمتها تختبئ منه حتى لا يراها،

لم يعرف تحديدًا لماذا ثار بها هكذا، فهو معتاد أن يعاشرها في اليوم بضع مرات، ولم يسئم منها قط، لماذا

أصبحت فكرة لمسها تضايقه لهد الحد؟!

شعر بالضيق الشديد من نفسه ليهمس:

-ما الذي حدث لك يا عدار؟!

صكت باب الغرفة بعنف شديد حتى كاد أن يتفتت من قوتها، لتبدأ بإطلاق صرخات مكتومة غاضبة وقد أصابتها الحيرة في مقتل، لا تستطيع الجزم أن هذه الفتاة تمثل إليه أي شيئاً لكنها أيضًا تثق تمامًا أن هناك شيئاً بداخله يتخبط بشدة لكنه في الوقت نفسه ينمو، حتى هو لا يعرف عن ماهيته شيء، ولذلك يجب عليها أن تتدخل على الفور قبل أن يكبر خلسة ووقتها لن تستطيع أن تجعله يعود؛ لكنها لن تستطيع التخلص منها فهي وللأسف من ستنقذهم من الهلاك.

ارتدت حُلتها بسرعة كبيرة وهي عازمة على فعل أمر ما؛ لكنها لن تقدر بمفردها فأنجيتا هي الوحيدة التي تستطيع مساعدتها في هذا الوقت.

*****

وقف أمام غرفته لا يعرف ماذا يفعل؟! هل يدخل لها

أما يتأخذ أي بحر أخر ملاذًا له؟!

لم يستطع مقاومة رغبته المُلحة لرؤيتها وانطلق داخل الغرفة يبحث عنها بعينيه، ولهفته تظهر جلية على وجهه، وقبل أن يناديها سمع فحيحاً من فصيلته نفسها يأتيه من بحر داخل الغرفة، تحول سريعًا لثعبان شبكي، ثم ضاعف حجمه تحسباً لأي هجوم حتى وصل للبحر، فوجد خادمته التي أوصاها أن لا أحد يدخل الغرفة غيرها بالطعام، تقف على ذيلها أمام آنا بهيئتها الأفعوانية، شعر بالخطر فهاجمها بضراوة لتوقفه آنا بصراخها:

-لاااا توقف يا عدار.

توقف على الفور دون أن يعود لهيئته البشرية، لأنه حين يضاعف حجمه يفقد ملابسه في التحول، عادت الخادمة لهيئتها البشرية وهي تحني رأسها وقد أصيب جسدها ببعض الجروح الظاهرة، لتتحدث آنا بأسف شديد:

-أنا من طلبت منها أن تتحول، أردت أن أعرف شيئًا خاصاً بفصيلة الباثون.

ثم اقتربت منها تربط على كتفها قائلة:

-أعتذر منك.

هزت الخادمة رأسها بسماح ثم انطلقت خارج الجحر ومنها لخارج الغرفة، وعدار ما زال يقف بهيئته يتطلع نحو آنا، لتردد بخفوت وهي تنظر إلى عينيه:

-أنا آسفة.

عاد لجسده البشري ولم تعد عيناه لأصلها وقد لمعت بشكل غريب جعل آنا تتجمد مكانها، دققت النظر لحدقتيه للحظات ثم فغرت فاها وهي تردد:

-إنه أنت!

التقط ملابسه سريعًا ليرتديها وهو ينظر نحوها بتعجب متسائلًا:

-لا أفهم! ماذا تقصدين؟!

اقتربت منه حتى وقفت أمامه وعيناه لا تفارقان التطلع لعينيه قائلة:

-عيناك.

-أعرف أنها ساحرة لكن ما بها عيناي؟

قالها مبتسمًا وهو يغلق سترته بالأزرار المعدنية، لتتجاهل آنا ما قاله وهي تسأله بجدية:

-عيناك كانت تطاردني في أي مرآة أنظر بها! هل كان هذا أنت؟!

انتهى من ضبط ملابسه كما ينبغي ثم أمسك كفها بين يديه ليجيبها بهدوء ورقة جديدة عليه:

-نعم كان هذا أنا.

شهقت آنا بخفة ثم بذهول نطقت:

-وأنت الذي وضعت لي الثعبان المعدني الصغير، أو لنقل المفتاح الذي أدخلني إلى هنا؟!

أومأ برأسه لتضم حاجبيها قائلة:

-هل تستطيع الخروج من هنا؟!

تنهد بعمق:

-نعم أستطيع، لكن ليس بهيئتي البشرية.

رفعت يدها لتخلل بأصابعها خصلات شعرها والحيرة قد أصابتها في مقتل وهي تردد:

-لكن استراش أخبرني..

أوقفها عدار يتسأل بدهشة:

-من استراش؟!

أجابته وهي تنظر جانبًا وتلوح بكفها:

-لا يهم، المهم أنه أخبرني أن الأناكوندا التي ظهرت له على الشاطئ ماتت.

أدار وجهها نحوه ثم نظر لعينيها قائلًا:

-أنا ثعبان شبكي يا آنا من عائلة الباثون ولست أناكوندا، الأناكوندا من عائلة الأصلات، ولا أحد يخرج من هنا ويعيش سواي، ثم مَن استراش وكيف عرف بأمرنا؟!

وأن هذه الأناكوندا ملعونة؟!

أجابت بتلقائية:

-عرف عندما شك في حجمه الكبير وأخذ عينة من دمائه وقمنا بتحليلها فوجدناها عينة بشرية.

-تعجبت من الأمر كثيرًا بالإضافة للثعبان المعدني الذي وجدته في حقيبتي ولم أعرف مصدره فبحثت أمي عن معلومات في كتاب قديم، ووجدت هذه المعلومات عن الدير وعن مخطوطة الشيطان، وقد بحث استراش أيضًا عن الأمر وجئنا سويًا إلى هنا؛ لكن أنا فقط من استطعت الدخول.

كاد أن يتحدث فأوقفته:

-لكن كيف عرفت أنني المُخلصة؟!

رفع كتفيه وذم شفتيه قائلًا:

-ألست مولودة في الثالث عشر من أكتوبر؟!

أجابت بمنطقية:

-جزء كبير من العالم مولود في اليوم نفسه.

حرك إبهامه على راحة يدها التي ما زال يحتضنها بين كفه وهو لا يعرف ماذا يحدث له عندما يراها في خطر:

-لكن الجزء الكبير من العالم هذا لم يسقط به شهاب يوم الأول من أكتوبر، لقد سقط هنا في التشيك.

رفعت حاجبًا واحدًا وهي تعض شفتيها السفلى قائلة:

-تعتقد كم شخص في التشيك مولود في اليوم نفسه؟!

رفع زاوية فمه بابتسامة ساحرة وهو يقول:

-من أصل عربي وعراقي تحديدًا، امممم قليل جدًا.

لمعت عيناها بتفهم ليُكمل وهو يرفع يده يتحسس وجنتها بسبابته:

-يمتلك مثل هذه العينين! لا أحد على الإطلاق.

احمرت وجنتها بخجل ليقترب أكثر منها وهو يبتلع ريقه

بصعوبة وقد تحفز جسده بحرارة شديدة وهو يتأمل عينيها، لتتجمد آنا بوقفتها وقد تسارعت أنفاسها وهو ما زال يقترب منها وعيناه تآسران عينيها الزمردية حتى التصق بجسدها وهو يحاوط خصرها بذراعه والأخرى يضعها خلف رأسها لتشعر أنها أصبحت سجينته فتمتمت بخفوت:

-عدااار!

لم يجعلها تنتظر كثيرًا حتى التهم شفتيها بقبلة جعلتها تُغمض عينيها، ليتعمق هو بقبلته أكثر فأطلقت آنات خافتة وقلبها يهدر بشدة وجسدها يستجيب له بشكل تعجبت له، ليطرق الخادم طرقات قوية على باب الغرفة الخارجية جعلتها تنتفض عائدة للخلف، بينما عدار صك أسنانه بغضب وهو يلعن الخادم أشد اللعنات، ليخطو نحو باب الغرفة بخطوات واسعة وحانقة وقد بدت فكرة قتل هذا الخادم مناسبة جدًا في هذا الوقت، فتح باب الغرفة وقبل أن ينهره وجده يرتجف وبحروف متقطعة أخبره:

-عائلة العرابيد بأكملها تزحف نحونا بسرعة فائقة في هجوم كبير، وقد تخلو عن هيئتهم البشرية.

عقله توقف عن التفكير بعدما قام بقياس كل الاحتمالات، فهو لن يستطيع تجميع الكل في هذا الوقت،

ولم يعد سوى بضع ساعات ويأتيه حماية الأحناش ولن يستطيع وحده التصدي لهم جميعًا، على كل حال هم لن يقدروا عليه لكن الكارثة هنا.

لم يشعر بنفسه وهو يردد بخوف شديد:

-آنا!!!!

*****

جال نعمان في الدير حتى شعر يوناس بالضجر وهو يقول له:

-نحن نبحث منذ الأمس عن أي ثغرة في هذا الدير تُدخلنا للعنة ولم نجد، دعنا نعود الآن وننتظر حتى تستدعيني هذه الفتاة وقتها سأستطيع الولوج.

وقف نعمان أمامه وهو يفكر في حديثه قائلًا:

-أنا أشعر أن هذه الفتاة بخطر كبير كما أخبرني الإنسي الغليظ.

ضم يوناس حاجبيه بتعجب متسائلًا:

أي إنسي؟!

-خطيب الفتاة التي في الداخل قد استدعاني أمس.

بدهشة ردد يوناس:

-وكيف استدعاك هذا البشري؟!

أجابه نعمان وهو يحلق نحو سقف الدير يدقق في الفراغات:

-تعويذة تحضير أصلية كتبها جد روهان لجده حينما جاء زيارة لمصر وأصبحوا صديقين، فأعطاه ورقة تحضير لي حين يحتاج لمساعدة جدية، وبالطبع توارثوها حتى وقعت الفتاة في هذا المصاب.

نزل نعمان من أعلى السقف قائلًا:

-لا يوجد شيء هنا.

ثم تذكر ما قاله إيدين ليردد:

-لقد أخبرني هذا الصِلف أنها دخلت للعنة من باب خلفي.

أجابه يوناس بضيق:

-أبي! لقد بحثنا في كل شبر بهذا المكان عشرات المرات ولم نجد شيئًا.

رفع نعمان حاجبه قائلًا:

-أنت تريد العودة لزوجتك لذلك لا تبحث معي بضمير.

ضيق عينيه بعتب فضحك نعمان، ثم عاد ليتحدث معه بجدية:

-أنت لا تعرف عقازئيل يا بني فهو وأبناؤه من ألعن الشياطين دهاءً، وأنا لن أسمح له بفعل ما يريده من هذه الفتاة،

قال له يوناس بتفهم:

-أنا أعلم يا أبي ما يشغلك؛ لكنك تعرف أيضًا أن ولده الألعن منه لم يترك ثغرة واحدة للدخول إلى هناك،

والوسيلة الوحيدة لدخولي أنا فقط هي أن تستدعيني هذه الفتاة بما يوجد معها لأخرجها من هناك، الذي لا أعرفه إلى الآن من هو ولا من أعطها إياه! لكن وقتها فقط سنستطيع مساعدتها.

هز نعمان رأسه بلا مبالاة وعيناه ما زالتا تتجولان على الجدران أجمعها:

-أنا لا يُهمني أن تخرج من هناك بقدر ما يهمني أن تتخذ القرار الصحيح، لأنها وإن فعلت مثل من سبقوها ستكون النهاية مؤلمة والعواقب وخيمة.

ذم يوناس شفتيه بأسى قائلًا:

-معك كل الحق فيما تقوله لكن..

رفع نعمان كفه في وجه ولده ليمنعه من الحديث وهو يرهف السمع لينتقل سريعًا نحو الغرفة الجانبية، فتبعه ولده يتسأل:

-ماذا هناك؟!

وضع نعمان أذنه على الحائط التي ولجت منه آنا ليجيبه:

-هناك صوت فحيح لثعابين كثيرة جدًا.

ردد يوناس باشمئزاز:

-سلم يا رب سلم.

ثم حاول أن يستوضح الأمر وهو يسترق السمع مثل أبيه:

-أعتقد أن هناك شيئاً خطيراً يحدث.

رفع نعمان أذنه من على الحائط قائلًا:

-بهذه الصراخات؟! فأنا أيضًا أجزم بذلك.

*****

صف سيارته في جراج منزله ثم ترجل منها متوجهًا لكوبا التي رأته من خلال النافذة الخاصة بغرفتها، ونزلت الدرج كي تقابله وبداخلها غضب كبير لا تستطيع السيطرة عليه، وجدت استراش يجلس على الأريكة وأمامه الحاسوب الخاص به وبجواره كوب من القهوة يحتسيه على مهل وهو يدقق النظر بشاشته، فيبدو عليه أنه

يعمل.

اقتربت منه تناديه، فلم يسمعها في بادئ الأمر ليعلو صوتها باسمه ثانية:

-استراااش!

رفع رأسه عن الشاشة ينظر إليها لتقول له برجاء:

-اصعد لغرفة آنا لقد وصل إيدين وأريد التحدث معه بمفردي.

ضيق عينيه ونهض من مكانه بعدما ترك كوبه على المنضدة أمامه، ليقترب منها وهو يرفع زاوية فمه متسائلًا:

-هل ستتحدثين معه فيما أخبرتك به؟!

أجابته بحنق:

-وهل تخيل أنني سأمرر الأمر هكذا؟!

زفر بضيق وهو يحدثها:

-لم نتفق على ذلك!

ضمت حاجبيها:

-نحن لم نتفق أصلًا يا استراش.

رن جرس الباب، فتطلعت نحوه تنتظر صعوده.

رن جرس الباب، فتطلعت نحوه تنتظر صعوده، استشاط غضبًا وهو ينظر نحوها ثم هز رأسه بقلة حيلة فهي لا أحد يثنيها عن قرارها، لكن هو يعلم جيدًا أنها ستخطئ فيما تفعله؛ لكنها على أية حال لها وجهة نظر، أخذ حاسوبه وخطى نحو الدرج لتفتح كوبا باب المنزل ليحدثها إيدين بضيق:

- كل ذلك الوقت حتى تفتحين الباب!

دلف للداخل فوجد استراش يصعد للطابق الأعلى متوجهًا نحو غرفة آنا، ليتكلم باستياء شديد:

-هذا الشخص ما زال هنا؟! ألم يذهب لمنزله بعد؟!

تركته كوبا لتذهب نحو الأريكة تجلس عليها وهي تأمره

متجاهلة ما قاله:

-اغلق باب المنزل وتعال إلى هنا.

أغلق الباب خلفه بعنف ثم تقدم نحوها وهو ما زال يتحدث:

-لم تجيبيني، لما هذا الشيء لم يذهب من هنا إلى الآن؟!

اعتدلت في مجلسها قبالته وهي تجيبه ببرود:

-لا تنسَ أن هذا منزلي وأنا التي أقرر من يبقى ومن يذهب.

تصاعد غضبه لتحمر وجنتيه وهو يقول:

-صارحيني هل تقيمين معه علاقة يا كوبا؟!

رفعت كفها عاليًا وقبل أن يُدرك إيدين كانت تصفعه صفعة مدوية وهي تصيح به:

-اخرس أيها الأحمق أنسيت نفسك؟! أم نسيت من أنا؟!

ثم وقفت بعنف لتُكمل صراخها بوجهه بينما هو يضع كفه مكان صفعتها وينظر لها بذهول وقد شعر بالندم من تهوره:

-بالطبع فكل شخص يمارس القذارة مع الغانيات يعتقد أن الكل مثله.

جحظت عيناه لتهز كوبا رأسها إيجابًا وقد زاد هياجها أضعافاً:

-نعم لقد عرفت كل شيء أيها الخائن النجس.

ترك وجنته ووقف بتوتر وهو يُمسك كفها قائلًا:

-اهدأي لتفهمين الأمر.

نظرت نحوه باشمئزاز وداخلها يغلي مثل قدر به ماء شديدة السخونة يكاد ينفجر في أي وقت:

- أفهم ماذا؟! إنك تخون ابنتي مع غانية وتقيم معها علاقة محرمة منذ سنة ويزيد، ما الذي تريد مني أن أفهمه بالضبط؟!

توتر جسده بشدة واهتز من المفاجأة، ليصيبه الخرس وهو لا يدري ما مصدر معرفتها بالأمر، أخذ عدة أنفاس وبينما هي ضمت ذراعيها ببعضها البعض والشرر ينطلق من نظرتها نحوه ليجلس إيدين منهكًا، يحنى رأسه للأسفل بخجل وهو يقول لها:

-في ليلة تشاجرت بها مع آنا للسبب نفسه الذي نتصادم به منذ أن ارتبطنا ببعضنا البعض، دومًا كنت أنا آخر اهتماماتها، عملها وطموحها كانا في المقام الأول....

أوقفته كوبا بغضب:

-أنت كاذب، آنا لم تكن أبدًا من هذا النوع، بل كانت غاضبة مني لأنني أؤجل زواجكما وكانت أكثر من حانقة منك لأجل موافقتك وعدم إصرارك على إتمام الزواج، رغم أنها تعلم جيدًا أن والدتك لا تريد هذه الزيجة ولا تُحبها.

رفع رأسه باستحياء رغم حنقه مما قالته كوبا، ليرد عليها:

-أنا هنا أصف شعوري يا كوبا، لا أتكلم عما كانت تريده آنا.

حدثته بحدة وداخلها يرفض أن يهدأ ليسمعه:

-هل هناك فتاة تريد الزواج برجل لا تحبه كما تدعي كي تمرر فعلتك المُشينة؟!

هز رأسه نفيًا وهو ما زال يتحلى بهدوئه:

- آنا لم تعرف في حياتها رجلًا غيري، ولم تسمح أن يقترب منه أحد لأجل طموحها الذي لا حدود له، ولم ترتبط بي إلا لأنها تعلم جيدًا أنها لن تجد رجلًا يعشقها مثلي، ويضعف أمامها ليجعلها تفعل ما تريده وتصل بمستواها العلمي كما تشاء.

كادت أن تصرخ به لكنه أوقفها برجاء:

-أرجوكِ دعيني أكمل.

زفرت بضيق واستندت بكلتا يديها على قدمها لتستمع له ليُتم حديثه:

-ليلتها كنت غاضبًا جدًا منها لأنها تجاهلت موعدنا كعادتها أو نسيته كما بررت وأغلقت هاتفها وانهمكت بعملها وتركتني أنتظرها ثلاث ساعات كاملة، بعدما

تشاجرنا أوصلتها للمنزل وقدت السيارة لا أعرف إلى أين أذهب، هاتفني صديقي وطلب مني أن أقضي السهرة معه في أحد الملاهي الليلية، ترددت في بادئ الأمر؛ لكني كنت مستعداً لفعل أي شيء ينسيني إهانتها، خاصة عندما خيرتها بيني وبين العمل فاختارت عملها، ذهبت إليه وقضينا عدة ساعات سويًا لتأتي هي وصديقتها ليجلسا معنا، دعاهم صديقي لاحتساء المشروبات وتعرفت عليها، اسمها ميلان وتعمل عاهرة في هذا الملهى، كنت تحت تأثير الخمر حين أخذتها وذهبنا لمنزلها الذي لا تستقبل به الرجال؛ لكن على حد قولها إنني مختلف عما عرفتهم، ذهبنا سويًا وأقمت معها علاقة كاملة وبت ليلتها في منزلها، وفي الصباح غادرت عازمًا أمري على التوبة مما فعلت، خاصة عندما هاتفتني آنا وتصالحنا.

لكني كلما ابتعدت عنها قتلتني آنا بإهمالها لأجد ميلان تستقبلني وتتحملني في أي وضع وحالة نفسية، تحتويني.. وتؤازرني.. وتترك عملها من أجلي، حتى إنها بالفعل تركت عملها لشهور كثيرة وتفرغت لي فقط، شعرت معها بالحب الذي لم أشعره من آنا، أدركت أنني لست شخصًا سيئًا لهذه الدرجة بل أنا رجل قوي تحبني النساء؛ لكن من امتلكت قلبي لا تستطيع أن تُحبني، بت مجروحًا أبحث عن آنا في عينيها التي تتطلع بها نحوي، في نبرة صوتها التي تحدثني بها بلهفة حين أغيب عنها، في احتضانها لي حين

تضيق بي الحياة، ترقرقت عيناه بالدموع وهو يقول:

-ميلان أعطتني كل شيء تمنيته ورغبتُ فيه من آنا.

وقفت كوبا ثم أشارت له بيدها نحو الباب قائلة بقوة تحلت بها بعدما سمعته:

-حسنًا اذهب إليها ولا تعود إلى هنا ثانية.

حاول أن يتحدث مرة أخرى:

-كوبا.. أرجوكِ افهميني.

أوقفته وهي تهز رأسها نفيًا:

-لا أريد سماع المزيد، اخرج الآن من بيتي.

خرج يجر أذيال الخيبة وهي ما زالت تتحلى بالقوة حتى أغلق باب المنزل خلفه لتجلس كوبا على الأريكة وهي تبكي بمرارة فقدها لشخص كانت تعتبره والدها الأكبر، الذي تستند عليه هي وابنتها بعد رحيل زوجها، والأهم من ذلك ماذا سيكون شعور آنا حين تعود وتعرف ما حدث، حدثت نفسها بحزن شديد كاد أن يقطع نياط

قلبها:

-بدلًا من أن نتكاتف لتعودي بسلام وتجدي جميع أحبتك ينتظرونك بشوق، ستجدين منهم الخائن ومنهم من لا يهم بأمرك ولا حتى كلف نفسه بالسؤال عليكِ.

نزل استراش من على الدرج مسرعًا حين سمع شهقاتها تعلو ليجلس جوارها بأسى قائلًا:

-لم أكن أعلم أن الأمور ستصل لهذا الحد، أعتذر منكِ يا كوبا.

جففت دموعها بالمحرم قائلة بصوت خافض وحزين:

-اتركني بمفردي الآن يا استراش أرجوك.

احترم رغبتها وتركها وخرج من المنزل ليجد هاتفه يرن برقم غير مُسجل، أجاب سريعًا ليجده إيدين يقف تجاهه في الطريق المقابل قائلًا:

-تعال إليَّ لأخبرك ما حدث معي في الدير.

*****

زحفوا عليهم من كل مكان حتى إنه استطاع بأعجوبة أن يبعث خادمه لسودا لتنجده وتأتي إليه ريثما يتحرك جنود الأحناش، لم يكن يهمه شيء سوى حمايتها ليتحول مضاعفًا حجمه قدر ما استطاع، ليصل إلى مقياس عملاق لم يصل إليه قط من قبل، استمر في الدفاع عنها وهو يسحق هذا بذيله بعدما يلتف عليه، ويقطع ذلك بقوة بأسنانه المعقوفة، بينما هي تجلس في الجحر الصغير تحتضن قدمها بكلتا يديها وهي ترتعد خوفًا من أصوات فحيحهم المرعب الذي يصل للصراخ الآدمي.

تسللت فيرترا بعدما قلصت حجمها لأصغر بوا على الإطلاق، لتنطلق من فتحة صغيرة أسفل الباب، ثم تحولت لهيئتها البشرية لتفزع آنا وقبل أن تصرخ باسم عدار وضعت حاوطتها فيرترا بكلتا ذراعها بينما بيدها الأخرى وضعت كفها على فم آنا لتهمس لها سريعًا وهي تقاومها بشدة:

-لا تخافي أنا هنا لإنقاذك، العرابيد يريدون قتلك.

لم تصدقها آنا وظلت تتحرك بقوة كبيرة تحت يدها لترجوها فيرترا:

-أقسم لكِ أنني صادقة فقط توقفي وسأشرح لكِ الأمر.

توقفت آنا عن الحراك، فتركتها فيرترا وهي تقول لها:

-أنا أخت الأناكوندا الذي ظهر لستراش.

بحظت عين آنا وهي تتطلع نحوها بعدم تصديق لتُكمل الفتاة:

-صدقيني يا آنا، جدتي تريد مقابلتك لكي تفهمي كل ما يدور حولك.

شعرت آنا بصدقها وبمنطقية شديدة فكرت أنها لو كانت تريد إيذاءها لفعلت منذ قليل، وقفت بفضول يعتريها خصوصًا أن عدار إلى الآن لا يريد إخبارها عما يجب عليها فعله، اتخذت قرارها وهزت رأسها موافقة لعلها تصل للمعلومات التي أتت من أجلها و..

سألتها بقلق:

-وكيف سنخرج من هنا؟!

وقفت فيرترا حائرة لبعض الوقت، فالمنفذ الوحيد للجحر

هو هذا الباب الذي يقف عدار أمامه، يجب أن تجد منفذاً آخر،

تحولت لبوا وردي صغير وبحثت في الشقوق حتى وجدت نقطة ضعف في الخشب المواجه للجحر الملتصق بهذا، خرجت من الشق المقابل للجحر الثاني، وذهبت لأخيها تسحبه بفمها من ذيله وتجره نحوها، حتى انتبه لها فتركته يتبعها لمكان خلف شجرة كبيرة تلتصق بحجور، تحولت فيرترا ليتحول أبالا أمامها متسائلًا عما تريد، فقالت له:

-تعال معي كي نحاول كسر جزء من الخشب الملاصق للجحر الذي تختبئ به آنا كي أستطيع إخراجها والذهاب بها لجدتي قبل أن يشعر بنا عدار أو أحد من العرابيد.

خطى معها وذهبوا خلف الشجرة الكبيرة ليتحول الاثنان لأفاعي صغيرة حتى يستطيعا الدخول في الشق الملاصق للشجرة، دلفا للجحر وبعد عدة محاولات استطاعا كسر جزء صغير من الخشب، لتسمع فيرترا وأخوها فحيح الأحناش يتقدم من القصر، تعجلا فيما يفعلانه وانطلقت فيرترا ركضًا لتحث آنا على الإسراع أمامها قائلة:

-تقدمي يا آنات، اجري حتى لا يلحق بنا أحدهم.

وما توقعته وجدته، فقد لحق بهم أحد الأحناش عندما رأى فيرترا تركض وآنا أمامها، هاجمها من الخلف لتصرخ بآنا:

-هرولي ناحية البحيرات، ولا تنظري خلفك.

ركضت آنا بأقصى سرعة عندها حتى وصلت للقصر الزجاجي الذي رأته من نافذة عدار من قبل لتدلف به وهي تصيح:

-هل يوجد أحد هنا؟!

خرجت أنجيتا تعدو من جحرها، لتهرع ناحية الدرج حتى وصلت لمكانها، أصاب آنا الذعر للحظات فطمأنتها أنجيتا وهي تُمسك ذراعها قائلة:

-تعالي معي لأحميكِ، فالمكان هنا ليس آمنًا.

*****

انسحبت عائلة الأصلات سريعًا بعدما أشار لهم أمام بالانسحاب، تبعهم العرابيد لجحورهم حينما هجمت عليهم

الأحناش، ومن قبلهم الأفعويات.

ألقى عدار نظرة نحو باب الغرفة المغلق ليتنهد براحة واطمئنان، كاد أن يدلف للداخل؛ لكن سودا أوقفته قائلة:

-هيا بنا نشكر ملك الأحناش فلولا قدومه لفقدنا كثيراً من العائلة.

ارتدى حلته سريعًا وتقدم معها وذهب ليشكر الملك بامتنان ليقترح عليه الملك وضع خطة لتأمين قصره بشكل مكثف، حتى لا يصل أحد منهم للداخل مهما حاول، جلسوا على طاولة دائرية تنتصف ردهة القصر وحولهم وزير الملك وبعض الجنود المقربين من العائلتين، وبعد مباحثات ومداولات استطاعوا تقسيم الحرس لمجموعات وكثفوا المجموعة الخاصة بحراسة غرفة عدار، ليصبح الحرس عشرة رجال أشداء.

انتهوا من حديثهم وثلاثتهم يشعرون بإنهاك شديد وقد قارب الليل أن ينتصف، خرج ملك الأحناش ومن خلفه عائلته ثم أشارت سودا لفتياتها ليذهبوا، ليقول لها عدار بنفاد صبر:

-وأنتِ لن تذهبين؟!

أشارت برأسها نفيًا وهي تدنو منه:

-لا أريد أن أتحدث معك.

زفر بضيق حتى كاد أن يصرخ بها؛ لكنه تدارك نفسه فهي في النهاية أنقذته اليوم ووجب عليه شكرها، لا أن ينهرها، على الأقل ليس اليوم.

جلس عدار على المقعد خلف الطاولة ليدعوها للجلوس:

-حسنًا يا سودا أنا أسمعكِ.

أمسكت بكفه لتوقفه قائلة:

-لا ليس هنا.

اعترض بلطف وهو يحاول قدر ما يستطيع أن يسيطر على نفوره منها:

-ليس الآن يا سودا فأنا منهك للغاية.

وقبل أن تتحدث ثانية أوقفها:

-أنا مرهق جدًا اليوم، وأكاد أن أفقد الوعي من التعب، فقد هاجمت مئات العرابيد والأصلات معًا اليوم بمفردي.

-أرجوكِ اتركيني كي أنام الآن وأعدك سأكون عندك في الصباح.

هزت خادمتها رأسها وهي تبتسم من خلف جسد عدار، رفرفت لها بأهدابها أن تختفي في الحال بعدما فهمت مقصدها أن الفتاة اختفت من القصر، ضحكت له بخفة ثم وقفت على أطراف أصابعها لتقبله على وجنته برقة بالغة لتخطو ناحية باب القصر وهي تقول:

-حسنًا يا حبيبي سأراك في الصباح عليك أن تستريح الآن.

ضيق عينيه بتعجب من رقتها الزائدة، فسودا أبعد ما تكون عن هذا اللطف والحنان؛ لكنه في النهاية ممتن لأنها تركته كي يعود إليها، صعد الدرج بسرعة كبيرة ودلف لغرفته بعدما تأكد من وجود الحرس العشر حول الغرفة، ليصيبه القلق حين لم يجدها أمامه كما تركها.

بدأ ينادي عليها بهدوء وهو يبحث عنها في الجحر الخاص بالغرفة فلم يجدها، أصابه الذعر وبدأ يبحث بسرعة أكبر والخوف يأكل قلبه من أن يكون أحد وصل إليها وهو لم ينتبه وقام بقتلها، لم يجد حتى جسدها فعلا صوته بنداء أشبه للصراخ، وحين لم يتلقَ الإجابة، أصابه الجنون وهو يبحث في جميع الجحور ليجد الجزء المكسور في الخشب الذي خرجت منه، تأكد أن أحدًا أخذها!

وللحظة توسل برجاء أن تكون في يد الأصلات وليس العرابيد، ليتناهى لمسامعها صراخه باسمها:

-آنااااا!

انتفضت واقفة لخلف الزجاج وهي تقول لا نجيتا:

-سأذهب إليه وآتي لكِ في الصباح.

اندهشت أنجيتا من ردة فعلها الغريبة، خصوصًا أنها كانت في بداية الحديث عنه، لكن صراخه لم يمنحها الفرصة كاملة لتفهمها الأمر، ظل يردد اسمها بصراخ عالٍ جعل جسدها يتوتر أكثر فحاولت أنجيتا محادثتها بعقلانية:

-اهدأي يا آنا واجلسي حتى أكمل لكِ الحقيقة.

لم تستمع إليها وأصرت أن تخرج من القصر لتذهب إليه وهي تقول لها:

-هو يظن أن مكروهاً أصابني سآتي إليكِ في الصباح أعدك.

أمسكت أنجيتا ذراعها وقد بدأ الغضب يزحف على وجهها مما شعرت به:

-لو ذهبتي إليه ستكون نهايتك ولن يكون هناك وقت للعودة يا آنا، أرجوكِ تفهمي الأمر.

ظلت تفرك كفيها باضطراب، وقد عزمت أمرها على الذهاب إليه، لتسحب ذراعها بقوة من يد أنجيتا وتركض من أعلى الدرج، ليتحول أمام لأناكوندا كبيرة وضخمة، يتبعها زحفًا ثم التف حولها جسدها لتصرخ برعب؛ لكنها وقبل أن يعلو صوتها كان يضغط على شرايين جسدها بقوة لتفقد الوعي في لحظتها، بينما تقف أنجيتا تنظر لها بأسى وهي تهز رأسها حزنًا على ما آلت إليه الأمور.

*****

اليوم العاشر

١٠- أكتوبر

عاد لقصره زحفًا بعدما يأس في البحث عنها، وقد ظهر النهار والجميع سيخرجون من جحورهم، دلف لغرفته يبحث عن أثرها ويناديها على أمل أن تُجيبه، وكأنه لا يصدق بعد أنها اختفت، جلس على فراشه وجسده يشتعل نارًا من الغضب، فهو لم يترك جحرًا في العائلتين لم يبحث فيه عنها، استند بكلتا ذراعيه على ركبتيه وأحنى رأسه للأسفل حتى سمع صوت سودا تطلب من الحرس الدخول إليه، تركها حتى جاءه الحارس يستأذنه كي يسمح لها بالدخول.

لم يرفع رأسه حتى لينظر إليه فهو لم يكن في مزاج جيد لمقابلتها، لكنه وافق على دخولها أن أشار له بيده ففهم الحارس وخرج، فهو على أمل أن يكون لديها خبر عن مكانها، فعيون سودا في جميع قصور العائلات لا حصر لها، دلفت تتبختر حتى وصلت إليه لتجلس ملتصقة بجواره وهي تتسأل:

-هل ما سمعته صحيحاً؟!

سألها بمكر:

-ما الذي سمعتيه:

أجابته بمكر يضاهيه:

-أن الفتاة اختفت من القصر البارحة.

رفع رأسه بهدوء ينظر لعينيها قائلًا:

-وماذا سمعتي أيضًا؟!

ضيقت عينيها بعجب:

-لا أفهم مقصدك.

زفر بضيق وهو يحدثها:

-أنا أعرف أن عيونك في كل مكان على هذه الأرض، هل عرفتي من أحدهم مكانها؟!

ابتسمت نحوه ابتسامة جعلته يستشيط غضبًا ولم ينتظر جوابها، بل قام من مكانه يقبض على معصمها ويجرها

خلفه وهو يصيح بها:

-أنا لن أتحمل اليوم سخافتك هذه، هيا اخرجي من هنا.

فتح باب الغرفة ليدفعها بالخارج لتوقفه سودا قائلة:

-حسنًا.. أنا أعرف أين هي.

توقف عن دفعها لينظر إليها بلهفة ألمت قلبها، لكنها تجاهلتها فهي حتى وإن عادت فهو فقدها للأبد، ليهتف بها ثانية:

-تحدثي.. أين هي آنا؟

رفعت كفها أمامه باستسلام وهي تخبره:

-لا تقلق فهي في قصر عائلة الأصلات.

هو بالفعل اطمئن قليلًا لوجودها عندهم وليست عند العرابيد فلو كانت هناك لكانت ميتة الآن، لكن هناك شيء لم يحسب له حساب، زفر بضيق يكاد يخنقه وهو يتخيل أنجيتا وهي تخبرها عن حقيقته، لكنها تعرف القواعد فلو فعلت لكتبت نهايتها بيدها مثل السابقين، هز رأسه

نفيًا وهو يردد:

-لن تصدق.. أنا أثق بذلك.

ابتسامة خبيثة ارتسمت على وجه سودا، أخفتها سريعًا وهو ينظر لها قائلًا:

-حسنًا اجمعي قوتك وأنا كذلك وسنهجم عليهم كي نُعيدها.

أمسكت ذراعه لتوقفه:

-اهدأ يا عدار، لا تُكلف نفسك سأعيدها لك خلال ساعات، ثم أنت تتخيل أنك ستُغير على الأصلات ثانية، بعدما ذبحت حراسهم في بركة المياه الكبيرة وسيتركونك تخرج من هناك حيًا!

سألها دون اكتراث لما قالته:

-وكيف ستعيدينها؟!

أجابته بعدما تركت يده واقتربت تلتصق بجسده، وتمرر أصابعها على عضلات ذراعه البارزة:

-كما قُلت لي عيوني لا حصر لها في كل عائلة، لذلك أصدرت أوامري إليهم أن يهربوها من القصر مجرد ما أن تجلس بمفردها ولو دقيقة واحدة، وجميعهم يعرف ثغور كل بحر في هذا المكان، لا تقلق أنت ودعنا نستريح قليلًا.

أزاح كفها من على ذراعه، وعاد يجلس على فراشه منهكًا من التفكير، ليحذرها قائلًا:

-حسنًا يا سودا سأستمع لكِ؛ لكني لن أنتظر أكثر من عدة ساعات حين ينتصف النهار ستكون آنا على هذا الفراش.

أومت برأسها وخرجت من الغرفة والسعادة تكاد تتطاير من عينيها، لأن خطتها الشيطانية لاقت نجاحاً باهراً، خرجت من قصره وتحولت لأفعى نحاسية الرأس، تخرج لسانها المشقوق ليظهر نابيها المجوفان المملوئان بسم فتاك، تحركت بخفة تجاه قصرها الرملي، بعدما شعرت بحركة خلفها أدركت منها أن عدار بعث أحدهم ليراقبها حتى يعرف إذا كانت متورطة في أمر اختفاء آنا أما لا، وصلت لقصرها وتحولت لهيئتها البشرية، لتعدل من ياقة حلتها الجلدية وهي تنادي:

-راسل! تعالِ إليّ.

هرولت الخادمة الأقرب إليها من جميع خُدامها، لتتبعها لغرفتها، جلست سودا على مقعدها تضع قدميها فوق بعضهما والابتسامة تأبى أن تفارق وجهها وهي تخبرها:

-ستذهبين الآن لقصر الأصلات، وتدلفين لغرفة أنجيتا تبلغينها بحذر أنني أمهلها عدة ساعات حتى ينتصف النهار كي تخبر آنا ما اتفقنا عليه.

أحنت الخادمة رأسها مجيبة:

-السمع والطاعة يا مولاتي.

وقفت سودا تقترب من راسل لتحذرها:

-ستجدين أحد حرس عدار يراقبك، أريدك أن تضعي بعضًا من سُمك الخاص في جسده، وتتركيه حتى يتجرعه بأكمله ثم تعيدي الكرة عشر مرات كاملة لا أريد جزءاً واحداً من جسده لم يطله السُم، حتى تنتهي آخر أنفاسه وهو ينظر إليك باكيًا.

ابتسمت لها راسل وهي تومئ برأسها قائلة:

-لكِ ما تريدين.

أشارت لها كي تذهب وتفعل ما أمرتها به، فخرجت الخادمة من الغرفة لتجلس سودا تتمدد على فراشها مرددة:

-لا أحد على الإطلاق ينجو من ملكة الأفعويات، فأنا من أراقب الجميع ولا أحد يجرؤ على مراقبتي، فلتتلقى جثة خادمك يا عدار هدية مني حتى لا تكررها ثانية.

*****

وقف نعمان أمام ولده وهو يحمل التؤامين قائلًا:

-تعرف من سيخبرنا من أين نبدأ؟!

هز يوناس رأسه متسائلًا، ليجيبه والده:

-جدك الملك الأبيض.

سلمهم لإلينا التي حملتهم منه وهي ما زالت ممددة على الفراش لتسألهم روهان:

-ما الذي يشغلكما هكذا منذ عدة أيام؟!

لتُكمل بضيق:

-أنتما لا تستريحان أبدًا، كلما خرجتم من مصيبة تبحثون عن الأخرى.

ابتسم لها يوناس ثم خطى نحوها ليُقبل يدها وهو يقول:

-والله يا أمي هذه المرة لم نبحث عن شيء، لقد وقعنا في الكارثة أنا وأبي صدفة ولم نعلم إلا البارحة أننا سويًا بها.

وقف نعمان يكتف كلتا يديه ببعضهما البعض ويرمقها بنظرات لوم تعرفها، لتشعر بالخجل من نظراته وتدير وجهها وهي تلعن ذاكرتها التي لم تسعفها إلى الآن، لتتذكر ما الذي حدث بينهما في الثامن من أكتوبر.

يومان كاملان مرا وهو لا يذكر هذا الأمر ثانية؛ لكنها تشعر باللوم الشديد تجاهه، انتبهت لإلينا التي تتحدث ليوناس بغضب:

-أرجوك يا يوناس دعني أذهب إليهم.

زفر بضيق لتتدخل روهان متسائلة:

-ما الذي يحدث؟!

أجابتها إلينا برجاء وكأنها تسألها الدعم:

-أريد أن أذهب لوالدي وهو يرفض يا خالتي.

صمتت روهان وهي تنظر بعتب لولدها الذي تجاهل نظرات أمه وقد احمر وجهه غضباً:

-سيطردونك كما فعلوا من قبل ولن يتقبلوا أبنائي كما لم يتقبلوني لا أنا ولا أبي طوال تلك السنوات وأنا لا أريدهم في حياتنا،

هتفت به روهان:

-تأدب يا ولد وتحدث عن خالتك باحترام.

ترقرقت الدموع في عين إلينا لتهطل بالسقوط، بينما نعمان يقف في زاوية الغرفة يتابع الكل من بعيد وهو ما زال يربع كلتا ذراعيه أعلى صدره،

ليتحدث يوناس بلوم:

-بعد كل ما فعلوه يا أمي تصرخين بي أنا.

انتصبت وقد احتل وجهها الغضب قائلة:

-لا تنس أنك تتحدث عن أختي وأم زوجتك، وهي لها الحق في رؤية والديها وطلب السماح منهما، أنت تعرف أنهم غاضبون لأنكما خدعتموهم ليس لأنها تزوجتك أنت دون أبناء جنسنا.

تحرك نعمان على عجل تجاه روهان حين لاحظ اهتزاز جسدها،

هي لم تعد تحتمل الضغط النفسي بكل أنواعه، ولذلك يحاول قدر ما استطاع أن يُبعدها عن أي شيء يجعلها تتوتر أو حتى تحزن ولو لوقت قصير.

لذلك ابتدع حكاية يوم الثامن من أكتوبر هذه حتى يخرجها من قلقها على إلينا، وهي إلى الآن لا تعرف أنهم لا يملكون أي ذكرى مميزة في هذا اليوم، حاوط خصرها بذراعيه، ثم مال يقبلها على وجنتها وهو يهمس لها:

-لقد اشتقت لاحمرار وجهك وأنتِ غاضبة.

رغمًا عنها ابتسمت ثم كتمت ضحكتها، بينما فهم يوناس ما يفعله والده فالتزم الصمت ولم يجادلها ثانية بل أحنى رأسه يقبل جبهتها قائلًا:

-لا تغضبي يا حبيبتي، ما عليك سوى أن تؤمريني بما يرضيكِ وأنا سأفعله على الفور دون مناقشة.

ابتسم له والده شاكرًا، لتُجفف إلينا دموعها، بينما ضحكت له روهان وهي تدعو له ثم قالت:

-حسنًا خذني أنا وهي والتوأمين لدانا.

اعترض نعمان بضيق حاول مداراته:

-لا يا روهان لا تذهبين، فالمرة الأخيرة مرضتِ حين عدتِ من هناك دعينا نتصرف مع والديها، لأن لو أحد منهم خاطبك بطريقة أحزنتك ثانية أقسم لكِ أنني لن أتركهما الإثنان إلا وهما يتمنيان الموت كل دقيقة ولا يجدونه.

هدأته سريعًا فهي أوقفته المرة الماضية ألا يتدخل بأعجوبة

ولن تستطيع إيقافه هذه المرة:

-أرجوك يا نعمان لا تتدخل أنت، أنا وأختي نفعل ببعضنا ما نشاء، لا دخل لكما أنتما الإثنان على الإطلاق.

ترك خصرها وقد احمرت عيناه ليتكلم بحنق حاول السيطرة عليه ولم يستطع:

-لقد سمعت هذا الكلام المرة السابقة وتركتك تفعلين ما ترغبين به، وكيف كانت النتيجة؟! أجيبي.

أجابته بحرج وهي تتجاهل نظراته الغاضبة:

-لقد أصبحت بخير، وها أنا أقف الآن بكامل صحتي، لم أمت من الحزن يا نعمان.

صك أسنانه بغيظ وهو يقول لها:

-لكنك مرضتِ من الحزن يا روهان وكدت تصابين بأزمة قلبية.

نفت وهي تهز رأسها:

-لم يحدث.

أوقفهما يوناس مشفقًا على والده خائفًا على أمه:

-أبي معه حق يا أمي، دعي إلينا تذهب أولًا ولو وجدت ترحاباً منهما أعدك أن أخذك إلى هناك في لحظتها.

كادت أن تعترض فأوقفها نعمان:

-ستفعلين ما قاله ولدك وإلا تركتك تذهبين إليهم وبرأت قسمي الذي أقسمته الآن لو فعلوا مثل المرة الماضية.

هزت رأسها نفيًا، فحين يُقسم نعمان لن يعود في قسمه لو وقعت السموات السبع على الأرض بأكملها، وافقت على اقتراح يوناس، ليهُم نعمان بالخروج من الغرفة وهو ما زال خائفًا من ردة فعل دانا الحمقاء كما يطلق عليها لأنها لو رفضت ابنتها ثانية ستحزن روهان حزناً شديداً فبدأ يدعو الله أن تمر هذه المقابلة على خير حتى تسعد حبيبته بلقائها مع عائلتها، نظر نحو ولده قائلًا:

-انقل إلينا لوالديها ولاقيني عند جدك لنرى ماذا سنفعل مع هذا الملعون.

ثم تركهما وذهب لتدنو روهان من ولدها قائلة وهي تربط على كتفه:

-خذني معك لأرى ماذا سيفعلون حين يرون الولدين.

بضيق ردد:

-أمي ألم تسمعي ما قاله أبي؟! لقد أقسم.

حاولت توضيح الأمر له:

-لاا‌ا يا بني، أنا لن أظهر لهما إلا إذا شعرت بجفاوة تجاه الطفلين وأنهما قد سمحانا.

سألها وهو يضع كفيها على بعضها البعض باستياء:

-أنتِ لستِ جنية يا أمي كي تختفين من أمامهم وفي الوقت نفسه تسمعين ما يدور بينهم.

غمزت له بعينها:

-جد لي طريقه مناسبة.

خبط على جبهته لتُكمل:

-دون أن تُخبر والدك.

هز رأسه بمعنى لا فائدة، فلن تترك أمه ابنة أختها تواجه أهلها بمفردها، وهو يعلم جيدًا أنها لو وجدتهما متحاملين عليها ستتدخل على الفور ولن تتجاهل الأمر، وافق على مضض وهو يعرف جيدًا أنه إن عرف والده بالأمر سيقتله دون ذرة ندم، ولو حدث ما توقع أن يرفضوهم كما فعلوا من قبل ولمح فقط الحزن على وجه حبيبته سيعذبه عذابًا شديدًا قبل أن يقتله.

احتار في أمر أمه لتلكزه هي في كتفه قائلة وهي تضبط حجابها وملابسها بحماس شديد:

-هيا بنا.

*****

أيقظها ضوء النيران الساطع الذي يدفئ وجهها، لتعتقد للحظة أن هذا ضوء الشمس، فتحت عينيها واعتدلت جالسة لتجد نفسها في غرفة الزجاج يلفها من جميع الجوانب والضوء الوهاج يتخلل النوافذ لتدقق النظر في هذه

الإضاءة الساطعة مثل الشمس، لتجدها أخشاباً كبيرة مُجمعة تضرم بها النيران لتجعلها كتلة كبيرة من الشرر حتى غدا الجو شديد الحرارة.

وقفت تتطلع إليها لتلتفت نحو الباب الذي انفتح بصرير أزعجها، لتجدها السيدة الطاعنة في السن، تحمل طاولة زجاجية بين يديها بها فاكهة كثيرة، لتخطو أنجيتا نحوها قائلة:

-تناولي هذا الطعام، فهو المتاح لدينا هنا الذي تستطيعين أكله.

تجهم وجه آنا لتديره في اتجاه آخر وهي تقول لها:

-لا أريد منكم شيئاً يكفي ما فعلتموه البارحة.

تقدمت منها أنجيتا بعدما وضعت ما في يدها على طولة جانبية لتربط على كتفها قائلة:

-لا تغضبي أرجوكِ، فنحن لم نجد طريقة غير هذه لكي نجعلك تتوقفين عما كنتي تريدين فعله.

لم تلتفت لها آنا وظلت تحدق في النافذة أمامها، لتقول لها

أنجيتا:

-لا تحزني سنعيدك لعدار بعد قليل.

جعلتها تنتبه لها، فسألتها آنا بعدم تصديق:

-تمزحين أليس كذلك؟!

أجابتها بجدية:

-لا يا آنا لا أمزح، فأنا لم أتِ بك إلى هنا كي أحبسك أو أفعل بكِ مكروهاً، كل ما أردته الحديث معك فقط.

اعتدلت في وقفتها قائلة:

-حسنًا أنا أستمع لكِ.

تقدمتها أنجيتا نحو المقعد لتشير للمقعد الذي أمامها قائلة:

-تعالِ نجلس سويًا ونتحدث.

جلست آنا أمامها تنصت بإصغاء لتبدأ أنجيتا بسرد قصتها أولًا:

-اسمي البشري كان "إيفا"، كنتُ راهبة في الدير، أعمل في بالتدريس للأطفال اليتامى المقيمين في الدير، في ليلة سوداء كانت قبل عيد الميلاد بيوم واحد خرج الراهب "ميك" ليأتينا بالطعام لنحضره، وقتها كانت الأخوات خارج الدير في مهمة خاصة بحفل الميلاد، الذي نقيمه للأطفال، وكنت بمفردي في المطبخ الخاص بإطعام اليتامى، جاءني ميك بالطعام ويبدو أنه احتسى الخمر حتى سَكِرَ تمامًا، تحرش بجسدي وقبل أن أصرخ أخذني لغرفة جانبية وقام باغتصابي ثم تركني بعدها ملقاة في الأرضية الرخامية بالغرفة، وركض خارجًا حين سمع عودة الأخوات، بكيت وأنا أنظر لملابسي الممزقة وجسدي الذي يملأه الكدمات والجروح إثر مقاومته، ولحسن حظي لم يراني سوى الأختان الأقرب لي، ساعداني على الوقوف والاستحمام وبدلا لي ملابسي واتفقنا أن لا نخبر أحدًا بالأمر حتى لا يطردوني من الدير، وأنا ليس لي مأوى آخر سواه.

توقفت عن الحديث حين وجدت آنا تُجعد ملامحها بأسى لتقدم لها طاولة الفاكهة قائلة:

-لا تحزني هكذا فقد عوضني الرب عن كل ذلك.

ثم ناولتها ثمرة وهي تقول لها:

-تناولي هذه حتى أكمل لكِ.

أخذتها آنا من يدها، لتُتم أنجيتا حديثها:

-في اليوم التالي خرج ميك من الدير ولم يعد، لأكتشف بعدها أننا أحمل في أحشائي طفلاً، حاولنا بقدر ما استطعنا إخفاء بطني التي تظهر وتتضخم من خلال الملابس الفضفاضة، ومعظم الوقت كان أخواتي يجعلونني لا أظهر كثيرًا أمام أختنا الكبيرة والقساوسة الكِبار إلا في أضيق الظروف، حتى جاء اليوم الملعون، أمسك الرهبان بميك وقاموا بالقبض عليه بعدما عرفوا أنه اغتصب فتاتين آخرتين خارج الدير، وقام بسرقة أموال من التي تخص الأيتام بالإضافة لعلمهم بإدمانه للخمر، عندها حُكم عليه بالإعدام بسبب أفعاله المشينة، وقف يترجاهم أن يتركوه لكن أحكام الكنيسة وقتها كانت واجبة النفاذ، لم يجد أمامه مهرباً فاقترح شيئاً عجيباً جدًا، أخبرهم أنه سيكتب لهم مخطوطة يسلمها لهم في الصباح بها جميع العلوم والمعارف التي تخص الكون، تركه الرهبان لاستحالة تنفيذ ما قاله.

في اليوم التالي خرج من الغرفة وبيده مخطوطة يصل

طول صفحاتها الى ٨٩ سم أما عرضها فكان ٤٩ سم، ووصل وزن المخطوطة لـ ٧٢ كيلو جراماً، وقف الجميع في ذهول تام مما يشاهدون، ليأخذوه على الفور للقساوسة الكبار في اجتماع مغلق، سمعنا من خلاله أن ميك قد باع روحه للشيطان حتى ينقذه من القتل، ولذلك اتفق معه على كتابة هذه المخطوطة مقابل إنقاذ حياته، وأن بها رسالة خاصة من الشيطان من يقرأها ويعمل بها يسلم روحه إليه بمحض إرادته، وبهذا سيأخذ أكبر عدد منا معه لجهنم.

فغرة آنا فاها لما تسمعه، فابتسمت لها أنجيتا قائلة:

-كنا هكذا مثلك، فاغرين الفاه غير مصدقين، حتى قرر الرهبان حرق هذه المخطوطة حتى لا تخرج من الدير ولا يسمع بها أحد، وبالفعل أضرموا النيران بها ليصرخ بهم ميك ألا يفعلوا وإلا ستحل علينا اللعنة، لم يبالِ له أحد حتى اهتزت جدران الدير فقمنا بالصراخ عاليًا، وظللنا نركض من هنا وهناك نحاول أن ننقذ الأطفال ظنًا منا أن أسقف الدير ستسقط فوق رؤوسنا، لكننا كنا مخطئين فقد بدأت الأرض بالتحرك من تحت أقدمنا لأشعر أنا بالمخاض وسط هذه الأهوال التي تحدث من حولي، استمريت في الصراخ والجميع يهرولون من حولي، ولا أحد ينتبه لي، سقط ولدي بين قدماي على الأرض التي بدأت بالانشقاق فحملته على الفور وركضت بكل

قوة بقيت لدي، ثم ظللت أبحث عن شيء حاد أقطع به الحبل المتصل بي، حتى وجدت جزءاً صغيراً من الزجاج الذي يتساقط فوق رؤوسنا فأخذته وفصلت جنيني عني، وكنت أحمل دومًا في جيبي دفتراً صغيراً وقلماً، كتبت سريعًا سطرين أوصي بهما ولدي أن يبحث عني وأنني لن أنفك للبحث عنه، وأخبرته أننا أصبتنا اللعنة وسوف أعود إليه يومًا ما، دثرته بحجابي وحين انتهيت وجدت نفسي تحت الأرض في ظلام دامس لا أسمع سوى صرخات الأطفال والكبار من حولي؛ لكني لم أرَ أحداً منهم، ركضت وأنا أحتضنه حتى وجدت نوراً منبثقاً من بعيد وبأقصى سرعة امتلكتها هرولت نحوه قبل أن يختفى، وبالفعل وجدت شقاً صغيراً ينغلق بسرعة كبيرة، فقذفت بولدي من هذا الشق، قبل أن ينغلق علينا ثم تركت جسدي ينهار على الأرض مستسلمة لقدري وقد أيقنت وقتها أن هذه نهايتي.

سقطت دمعة حزينة من عين آنا، لتلتقفها وهي تسألها بتأثر شديد:

-وما الذي حدث بعد ذلك؟!

أشارت أنجيتا حولها وهي تقول:

-وجدنا أنفسنا تحت الأرض، وعندما فقت من إغمائي وجدت جميع من حولي أصبحوا ثعابين ما عدا عدة أشخاص لا يتعدون اليد الواحدة وأنا منهم، لا نعرف لماذا لم نتحول لكننا كنا ممتنين لذلك، أصبحنا كبار هذه الأفاعي وبعد مرور مدة قصيرة وجدنهم يتحولون لبشريين ثانية، سعدنا كثيراً بالأمر واكتشفنا أننا نستطيع جميعًا التحول للجنسين، عشنا حياة الأفاعي ونسينا إنسانيتنا، وقد مات معظم الكبار عداي أنا وملك الأحناش، وكل ما في هذه الأرض أبناؤنا الصغار الذين كنا نرعاهم في الدير وهذا العدد الضخم هم أبناؤهم من التزاوج ببعضهم البعض.

ظهر الاشمئزاز جليًا على وجه آنا مما قالته أنجيتا عن تزاوجهم، فهي تعرف جيدًا كيفية تزاوج الثعابين، لذلك قررت أن تتخطى الأمر بسؤالها:

-وأين هو ولدك الآن؟! هل تعرفين عنه شيئاً؟!

أجابتها أنجيتا مبتسمة:

-ولدي الذي جاء بكِ إلى هنا.

شهقت آنا وهي تردد:

-استراش!!

أومأت أنجيتا برأسها لتتساءل:

-وكيف ذلك وهو لم يتخطَ الأربعين عامًا؟!

-لا أعرف تحديدًا، لكن ليس هناك سوى تفسير واحد وهو أن استراش أخذ من اللعنة تقدم أعمارنا ببطء شديد وبالطبع لم يأخذ ميزة التحول لثعبان لعدم مكوثه معنا.

وقفت آنا بارتباك شديد تتساءل:

-وكيف عرفتي أنه ولدك وأنتِ هنا؟!

-كان يأتي دومًا أمام الباب الذي تركته عنده، وأنا كنت من حين لآخر أذهب لأجلس بمفردي بجوار هذا الباب، وفي يوم تصادف مجيئه مع جلوسي وسمعته يحدثني ويخبرني عن اسمه وعنوانه وماذا يعمل، ويحكي لي كيف افتقدني وأنه لا يستطيع العيش دون أصدقاء ولا أحباء، ويصف لي شعوره بالوحدة وأنه سئم من حياته ويتمنى الموت، وقد حاول الانتحار أكثر من مرة ولم يفلح ولا يعرف لماذا ولا ما السبب في عدم تقدمه في العمر، وأن جميع من في المدينة يتجنبه خوفًا منه ويطلقون عليه مصاص

دماء، وقد بدأ الجميع يتحدث عنه وقرر الأطباء دراسة حالته وهو خائف بشدة.

وقتها بعثت له جواباً مع أحد أبنائي الصغار وللمرة الأولى أحد يخرج من الدير ولم نكن نعرف مصيره، لكنه كان صبياً شجاعاً وافق على الخروج، ومنها كانت تجربة لنا لنرى هل نستطيع الخروج ولو استطعنا ما الهيئة التي سنكون عليها؟!

كتبت له في الورقة كل ما أخبرتك به الآن، وطلبت منه الرحيل من بوهيميا لبلد آخر وكلما شعر أن أحداً ممن حوله انتبه لحالته يذهب لبلد آخر وهكذا حتى يعود إلى هنا، وصله الجواب وجاء يودعني ووعدني أن يبحث عن طريقة لفك هذه اللعنة حتى نلتقي، وأخبرني أن من سلمه الجواب كان ثعباناً كبيراً ومجرد ما أعطاه الورقة من فمه مات على الفور، وقتها علم الجميع أن من خرج من هنا كان مصيره الموت.

رددت أنا بتعجب:

-ما عدا عدار، أليس كذلك؟!

هزت رأسها بأسى وهي تقول:

-عدار ليس منا يا آنا.

جحظت عيناها بدهشة وهي تتساءل:

-ما الذي تقولينه؟!

وقفت أنجيتا تدير لها ظهرها قائلة:

-لن أستطيع البوح لك أكثر من ذلك.

ثم التفتت نحوها لتضع يدها على كتفها:

- كل ما أستطيع قوله إن عدار ليس هو الرجل الذي تظنينه فلا تأمني له أبدًا.

لم تصدقها آنا حتى قالت لها:

-لا تصدقيه فهو كاذب، اتبعي قلبك يا آنا.

تجمدت مكانها وجملتها تتردد في عقلها مرارًا وقد التبس عليها الأمر، وهي لا تدري كيف رددت أنجيتا هذه الكلمات بالتحديد دونًا عن غيرها!

تركتها أنجيتا متوجهة لباب الغرفة وهي تقول لها:

-تستطيعين العودة له لو أردتِ فالقصر مفتوح ولن يتعرض أحد لكِ.

ركضت آنا نحوها لتوقفها وهي تمسك يدها قائلة:

-كيف أنهي هذه اللعنة؟!

رفعت كتفيها بغموض مرددة:

-لا أعرف، كل ما نعرفه أنكِ ستخلصيننا من هذه اللعنة، كيف وما مصيرنا بعدها! لا نعلم شيئاً سوى أن هناك احتمالاً بموتنا جميعًا حين تنقذينا منها.

*****

دخل يوناس الغرفة التي يجلس بها أبوه وجَده فوجدهم ما زال يتحدثان، أشار له نعمان بالاقتراب والجلوس على المقعد جواره، اقترب منه يوناس وجلس يستمع لما يقوله جَده:

-بعدما اختفت الرقوم الكونية التي كانت بها رسوم ومخططات عن هيكل الكون، قام السومريون القدامى بكتابة كتاب آخر هو كتاب النور أو الشمس المعروف باسم "ائيستا قورقاز" لدى السومريين القدماء ويحمل الكتاب معنى ومضمون الرقوم السمائية وكتب الكتاب الذي عرف باسم كتاب الصحائف أو كتاب الأرواح الذي يحمل نقوشاً ورسوماً مكتوبة بالدم المخلوط بالزئبق، وقد رويت القصص المعروفة حول الكتاب أن للكتاب وجهاً آخر مضاد كُتب على أيد أحفاد الجن وأبناء الجن من قِبل الشيطان "عقازئيل" بأيد تسعة ملوك من ملوك الأرض لكتابة الكتاب الذي سماه القدماء باسم المصفوفة السوداء.

لكنه لم تكتمل لأن نيبائيل قام بسجن عقازئيل ألف عام، كان ملوك الأرض المكلفين وقتها بكتابته قد ماتوا، وحين خرج عقازئيل من سجنه بمساعدة قوم ضال وتخفى على هيئة ثور، وأعطى القوم علم السحر والشر كي يتموا مصفوفته، لم يكن عند أحدهم العلم أو القدرة على كتابتها، ومرت آلاف السنين وهو يبحث عن شخص يستطيع كتابة مصفوفته التي ستجعل كل من يقرأها يؤمن به ويفعل من الشرور ما هو أثقلها، حتى وجد راهب يسمى "ميك" كان من أعظم شياطين الإنس، لم يترك فعلاً من أفعال الشياطين إلا وقام به، غير أنه كان فريداً من نوعه في صنع الكلمات وترتيبها، وسمعت عن هذا الرجل أيضًا شيئًا عجيباً

لكني لا أجزم بصحته.

سأله نعمان بتركيز:

-ما هو يا أبي؟!

أجابه:

-أنه ظهر في أكثر من بلد أوروبية في قرون سابقة، الرجل نفسه بشخصه واسمه وبعض من حكمائنا الكِبار أجزموا أنه الشكل نفسه، وقد قيل إنه من ساعد بولس في تحريف العهد الجديد وبعضهم قال إنه هو من كتبه، وقد قام بولس بنسبه لنفسه؛ لكننا لا نعلم حقيقة الأمر.

ردد يوناس:

-أمر عجيب حقًا! لكن ما علاقة هذا الرجل بلعنة المخطوطة؟!

أجابه جدَه:

- هو مَن كتبها، وحين قام الرهبان بحرقها لعنهم عقازئيل حتى لا يفقدها كما فقد المصفوفة السوداء ولن يجد أحداً

يعيدها كما يريد، والآن وهو وولده يحاولون أن يخرجوها من الدير بواسطة الفتاة المنشودة حفيدة نيبائيل.

نظر نعمان لوالده بقلة حيلة قائلًا:

-وهل بيدنا شيء نفعله؟!

فكر الملك الأبيض قليلًا ليقول له:

-لقد أخبرتني أنها نطقت باسم يوناس وتحول سواره للون الزمردي أليس كذلك؟!

أومأ برأسه ليُكمل:

-هذا اللون لا يضيء سوى عند وجود غرض من أغراض آصف.

ضيق يوناس عينيه متسائلًا:

-وهل لسيدي آصف أغراض أخرى سوى السوار والخاتم؟!

أجابه بثقة:

-نعم هناك حجر يُسمى "غوث"، لكننا لم نسمع عنه شيئاً، ولا نعرف سوى أنه دُفن مع آصف.

تعجب نعمان بشدة قائلًا:

-وكيف حصلت عليه هذه الفتاة؟!

ردد الملك:

-لا يعُقل أن يكون حقيقياً!

نظرا له الإثنان بدهشة ليسأله بعدم فهم:

-ما الذي تقصده يا أبي؟!

حدثهم بحيرة:

-لقد سمعت منذ قرون أن هناك مجموعة كُتب لا نعرف من كتبها أو حتى نقلها، لكن هذه الكتب مدون بها كل ما حدث منذ بداية الخلق من أحداث تخص البشر الذين باعوا أرواحهم للشيطان، وقد سمعت من جدي وأنا صغير آن سيدي آصف دوَّن آخر جزء في هذه الكتب،

وعرفت من فترة بعيدة أنها موجودة لكن أين ومن يملكها لا أعرف! لكنني أشك الآن أن هذه العائلة تتوارث هذه المدونات من زمن نيبائيل؛ لكن عقلي لا يستوعب كيف يحافظون عليها كل هذه القرون دون مساعدة من أحدنا.

وقف بني النعمان يستعد للرحيل وهو يقول لوالده:

-حسنًا نستطيع أن نذهب الآن للبحث عن هذه الكتب في بيت الفتاة، أو حتى نراقب والدتها لنعرف مكانهم.

وقف يوناس هو الآخر قائلًا:

-حسنًا هيا بنا.

قبَّل نعمان يد والده واستأذنه للخروج بينما فعل يوناس المثل ولحق بوالده، خرجا من غرفة الملك متوجهين لخارج القصر ليميل نعمان على ولده قائلًا:

-ما الذي فعلته مع زوجتك وأهلها؟

أجابه يوناس وهو يحاول مجاراة خطواته الواسعة:

-تقبلوا الأمر وفرحوا بالطفلين وقاموا هم وزوجتك بتمثيل مشهد دارمي، جعلني كدت أزرف الدموع عليهم.

لكزه نعمان في خصره وهو ينهره وابتسامته تشق شفتيه بالقوة:

-تأدب يا ولد، لو سمعتك أمك لكانت أقامت عليك حد شارب الخمر.

تأوه يوناس بمزح قائلًا:

-أنت لن تخبرها بالطبع.

ثم سأله بفضول:

-ماذا سنفعل الآن؟!

أجابه نعمان وهو يختفي من المملكة:

-سنذهب لبيت الفتاة وننتظر.

*****

اليوم الحادي عشر

١١- أكتوبر

جالسة هي في جانب من جوانب الغرفة تنظر للظلال التي تخلفها النيران المشتعلة أمامها في المدفأة الخشبية، تفكر، تتأمل، تراجع كل حدث رأته أو عايشته وهي تأمل أن تحل اللغز، كيف؟ ولماذا؟ ولما هي تحديدًا؟

حيرة تلف عقلها وتدور بها في فراغ كبير لتتركها في منتصف الطريق دون دليل أو حتى علامة، لتردد آنا بخفوت:

-ربما كان هناك علامات أو دليل لكني لا أراها، أو ربما أتجاهلها عن عمد.

دلف عدار للغرفة وهو يخطو تجاهها على أطراف أصابعه، حتى وصل إليها ثم انحنى يُقبل وجنتها برقة قائلًا:

-كنت أظنك نائمة.

رجفة أصابت جسدها من قُبلته لتقول له بضيق:

- لا تكرر ما فعلته ثانية!

ضم حاجبيه وهو يجلس على المقعد الآخر وقد انقبض قلبه من أن تكون قد أخبرتها أنجيتا عنه شيئاً، ليقول لها بدهشة وهو يشير نحو وجنتها:

-تقصدين هذه القُبلة البريئة؟! كانت تعبيرًا عن سعادتي لرجوعك ليس لها غرض آخر.

لم تكلف نفسها لتنظر نحوه وهي تحدثه:

-أشكرك لحفاوتك، لكن لا تكررها فيكفي أن تقول مرحبًا بعودتك.

ثم تحركت من على المقعد قاصدة الفراش، لينهض هو الآخر كي يلحق بها، ثم أمسك يدها قبل أن تتمدد على الفراش ليسألها بخوف ظهر على صوته:

-ما بكِ؟!

تجنبت النظر إليه وهي تجيبه:

-لا شيء، أريد النوم فقط.

وقف قبالتها ليدير وجهها نحوه كي يُرغمها تنظر إليه ليخرج صوته الشجي بحزن وهو يقول لها:

-لا، هناك شيء يجعلك تبتعدين عني؟!

رفعت حاجبيها باستهزاء وهي تخاطبه:

-ومنذ متى كنا قريبين؟! منذ جئت إلى هنا ونحن لا نطيق بعضنا البعض، ذكرني ما الذي حدث بيننا حتى أصبح قريبة منك.

كاد أن يتحدث فأوقفته وهي تدفعه بعنف:

-إن كنت تتحدث عن القُبلة التي فاجئتني بها البارحة فقد أنقذك خادمك من صفعة كادت أن تسقط على وجهك لتعديك حدودك معي.

ردد عدار بدهشة:

-آنا ما الذي دهاكِ؟!

أجابته بحنق:

-قلتها لك مرارًا أريد أن أخرج من هنا، أخبرني ما يجب عليَّ فعله حتى أفعله وأعود لمنزلي، فأنا لا أستطيع العيش وسط حيوانات خطيرة مثلكم.

ضيقت عينها وهي تسأله بتعجب بدا على وجهها:

-ثم أريد أن أعرف لماذا دفعتني للمجيء إلى هنا قبل يوم الثالث عشر، وأنت كما تدعي أن جميع من هنا أعدائي ويردون قتلي؟! لماذا أدخلتني إذن؟!

عجز عن إجابتها وقد أصاب الحزن قلبه في مقتل، ليلتفت وقد شعر باستياء شديد لما قالته، وأيقن أن أنجيتا قد أخبرتها بحقيقته، لكنها تعلم جيدًا أنها إن فعلت سيكون الموت مصيرها كيف لها أن تُجازف بفعل شيء كهذا، نادته كي يجيبها لكنه تجاهلها وهو يخطو خارج الغرفة يردد بخفوت:

- لا لن تفعلها أنجيتا.

صرخت صرخة مكتومة بغيظ ثم تمددت على الفراش ودثرت جسدها بالفراء لتستند برأسها للخلف تنظر للفراغ

أمامها، ليُصبح ووجهها ساكناً دون انفعال واضح، بينما عيناها تزرفان الدموع في صمت.

*****

ظهر الرعب جليًا على وجه كوبا وهي تسأله:

-معنى هذا أن الجني لن يساعدنا كما أخبرني ماليم؟!

هز استراش رأسه نفيًا وهو يقول لها:

-لا لن يساعدنا، لقد أخبرني أنه مرعب للغاية وغليظ، وقد كان على وشك أن يقتله.

ارتعدت فرائصها برعب وقد تكالبت عليها الهموم وأصابها الحزن الشديد وهي تردد:

- كان هذا أملي الوحيد لإنقاذها.

أمسك استراش كفها يربت عليه وهو يُهدئها:

-لا تقلقي ستعود بخير، هي اصعدي لغرفتك كي تنالي قليلًا من الراحة لقد اقتربنا من طلوع الفجر.

هزت رأسها له بالنفي قائلة:

-هيا اصعد أنت وأنا سأجلس هنا قليلًا.

نهض استراش وتقدم ناحية الدرج وهو يُخبرها:

-حسنًا إن احتاجتِ لشيء ناديني.

سأل يوناس بني النعمان وهي يكتمُ ضحكته:

-ما الذي فعلته للرجل حتى يرتعبون هكذا؟!

هز نعمان رأسه بلا مبالاة وعيناه على كوبا:

-لا شيء، فقط علقته على الحائط حتى جاء العمال مساء اليوم التالي أنقذوه.

انفجر يوناس في الضحك ليبتسم نعمان بوقار لا يفقده سوى مع ولده وزوجته، ليسأله يوناس وهو ما زال يضحك بشدة كلما تخيل وجه إيدين:

-لماذا؟ ما الذي قاله لك؟!

تذكر نعمان حماقة إيدين فكشر وجهه وهو يُخبره:

-رجل أحمق وحقير وذو لسان لا يستطيع السيطرة عليه.

تحركت كوبا وهي تحمل كشافًا تُنير به طريقها وتخرج من المنزل ليقول يوناس:

-هل تعتقد أنها ذاهبة حيث نريد؟!

أجاب نعمان:

-سنرى.

اقترح يوناس:

-دع أحداً منا يظهر لها ويخبرها أننا نريد مساعدة ابنتها وأن تخبرنا عن مكان الكتب.

رفض نعمان:

-لا ليس كل البشر يتحملون رؤيتنا يا بني، كما ترى جدتك وخالتك لم يتقبلا رؤيتنا بعد كل تلك السنوات،

دعنا نرى إلى أين ستذهب أولًا.

دلفت كوبا لغرفة الحديقة الخارجية ومنها للمكتبة وبني النعمان ويوناس يتبعانها، حتى جلست على المقعد وأخرجت الصندوق الخشبي وظلت تبحث به عن شيء آخر غير تلك التعويذة التي لم تنفع كما أخبرها استراش، ظلت تبحث لعدة ساعات حتى ظهرت خيوط الفجر في السطوع، وتعبت هي من البحث ليزفر يوناس بضيق من الانتظار فوالده أشار إليه ألا يتحرك حتى لا تفزع كوبا، شعرت بالإرهاق الشديد فقررت العودة للمنزل بعدما فقدت الأمل في إيجاد شيء آخر.

مجرد ما إن خرجت من القبو وصعدت للغرفة تحرك نعمان نحو الكُتب المتراصة على اللوح الخشبي بتواريخ تبدأ من بعد الطوفان حتى تاريخ لعنة عقازئيل!

التقط يوناس الكتاب الأول ليوقفه نعمان قائلًا:

شعرت بالإرهاق الشديد فقررت العودة للمنزل بعدما فقدت الأمل في إيجاد شيء آخر، مجرد ما إن خرجت من القبو وصعدت للغرفة تحرك نعمان نحو الكُتب المتراصة على اللوح الخشبي بتواريخ تبدأ من بعد الطوفان حتى تاريخ لعنة عقازئيل!

التقط يوناس الكتاب الأول ليوقفه نعمان قائلًا:

-لا ليس هذا.

ثم التفت ليجد آخر كتاب استخدمته آنا ما زال على الطاولة خلفه، توجه ناحيته وترك يوناس خلفه ينظر للكتب المرصوصة وفتح غلافه فلم ير سوى صوراً قديمة لبرج بابل مرسومة بشكل عجيب، انتقل بين الصفحات ليرى الكتاب كله عبارة عن صور لناس وقصور وليس بها شيء غريب، فردد بتعجب:

-ليس بها شيء سوى أن هذه الرسومات ليست بيدٍ بشرية!

التفت يوناس نحو والده ليرى ما بيده ليصيب وجهه الاندهاش وهو يقول:

-ما هذا يا أبي؟! لم تتحرك هذه الصور؟!

سأله نعمان بتعجب:

-كيف تتحرك لا أفهم؟!

تقدم يوناس من والده وهو يقول له:

-أنا أراهم يتحركون.

ومجرد ما إن أمسك الكتاب حتى أضاء السوار الذي بيده ووقع الكتاب على الأرض ثم بدأت الصفحات بالتتابع بسرعة كبيرة حتى وصلت لصفحة معينة لتتوقف، انحنى نعمان ويوناس ليدققا النظر عما بها فلم يرَ نعمان شيئاً لكن يوناس وجد رجلًا من بعيد يخطو نحوه فعاد للخلف وأخذ والده معه ليتساءل نعمان:

-ما الذي يحدث؟!

أجابه يوناس وهو يحدق بالرجل الذي يقترب ويتضاعف حجمه كلما اقترب نحوهما:

-هناك رجل يأتي إلينا.

لحظات وخرج آصف من صفحات الكتاب ليتجسد أمامهم ملقيًا السلام عليهما، أجابه نعمان:

-وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا سيدي.

لم يعرفه يوناس في بادئ الأمر حتى قال له والده:

-نرجو أن لا نكون تخطينا حدودنا يا سيدي.

جابه آصف بترحاب:

-لا يا بُني فأنا من أردت أن تتدخلوا في الأمر وإلا ما كنت أعطيت لآنا حجر الغوث وطلبت منها أن تنادي يوناس إن شعرت بالخطر أو احتاجت مساعدة.

ثم ابتسم قائلًا:

-لكني لم أعرف أنكما بهذا الذكاء كي تصلا إلى هنا!

تكلم يوناس وهو يحني رأسه احترامًا:

-هي لم تستدعني بعد، لكني وجدت سواري يضيء بلون لم أره سابقًا وسمعت اسمي يتردد من فتاة لم أتبين اسمها، لكن نداءها سحبني للدير ولم أجد شيئًا.

تعجب آصف لما يقصه يوناس ليقول:

-عجيب أمر هذه الفتاة! لقد اعتقدت أنها طلب المساعدة لذلك أنتما هنا!

هز نعمان رأسه نفيًا وهو يخبره:

-نحن لم نلتقِ بها بعد، وقبل أن يسأله كيف عرف بأمر الكُتب أجابه:

-وقد علمنا بأمر هذه الكُتب من أبي الملك الأبيض.

تفهم آصف الأمر ليسألهما:

-وما الذي جعلكما تبحثان عني؟!

نظر يوناس لوالده الذي أجاب آصف:

-لقد علمت أن المخلصين الخمسة الذين سابقوا هذه الفتاة باعوا أرواحهم، وعلى إثر ذلك قد حدث على هذه الأرض كوارث عدة من قِبل الشياطين، وحالة البشر المسلمين المتمسكين بدينهم لا ترضي الله ولا رسوله، لذلك أنا عندي تخوف مما سيحدث مع هذه الفتاة، خاصة حين يكون لعقازئيل وولده يد بالأمر فأنا واثق أننا إن لم نتدخل ستكون العواقب وخيمة.

تنهد آصف وقد ظهر التأثر الشديد والضيق عليه ليقول لهما:

-حسنًا سأدع الأمر لكما.

أخفضا رأسيهما أمامه امتنانًا ليخبرهما قبل أن ينصرف:

-يوناس هو من سيستطيع الدخول للعنة مدام الحجر بالداخل فسوف يدخلك السوار، ما عليك سوى أن تدلف من الباب الخلفي للدير، باب صغير حين تراه ستعرفه على الفور.

ثم اختفى من أمامهم وصوته يبتعد وهو يقول له:

-وإن استطعت أن تنقذها من هذه اللعنة أخبرها أنني أنتظرها هنا.

*****

انتصف النهار وهي ما زالت طريحة الفراش، ليس لديها طاقة للقيام ولا تعرف ما الذي يجب عليها فعله؟!

لم يعد عدار منذ تركها الليلة الماضية وهي في قراره نفسها لا تريده أن يعود، للمرة الأولى تشعر أنها حائرة لا تدري ماذا تفعل! لا تعرف أين ذهب إيدين في قلبها لم تعد تشعر بشيء تجاهه رغم كل الحب الذي كانت تكنه له، هل كان حبًا زائفاً؟! لا لم يكن إيدين يمثل أي حب زائف هي تحبه، لكن ما تشعر به ناحيه عدار شيء مختلف، هو مزيج غريب من القوة والضعف يتحلى بالقسوة، لكنه وفي الوقت ذاته يتمتع بكثير من الحنية والرقة، مغرور ومتكبر لكنه قمة في التواضع معها لا تعلم منَ مِن المتناقضين يحتل شخصيته الملاك أم الشيطان!

لم تشعر تجاهه يومًا منذ قدومها أن صفاته الحيوانية تقدمت على صفاته البشرية مثل البقية، واحدة فقط التي شعرت أنها بشرية مثلها هي أنجيتا، لكن الباقي لا لم تشعر تجاههم سوى أنهم مجرد حيوانات مفترسة.

جلست تتأفف بضيق حتى سمعت صوت قدومه إلى الغرفة، اعتدلت في نومتها لتواليه ظهرها، جلس على المقعد أمام الفراش ونظر إلى جسدها الممدد أمامه بشوق كبير ليناديها:

-آنا!

لم تجبه وظلت على موضعها ليكرر النداء، حتى كادت أن تلتفت نحوه؛ لكنه لم ينتظر فقد تأكد أنها نائمة ليحدثها بصوت مُغتم:

-أنا شخص سيئ، بل أسوأ رجل يُمكنكِ أن تقابليه في حياتك، كل ما يدور حولي بأمري أنا وكل ما أريده يجب أن يُنفذ، ومصلحتي فوق الجميع وخططي تسير بخطى ثابتة والنتيجة دومًا تكون ما أردته، متكبر ومغرور وليس لدي مشاعر، لا أحب أحداً ولم أحب أحداً في حياتي سوى نفسي.

أخذ نفسًا عميقًا وهو يقول:

-لقد سألتني لما جئت بكِ إلى هنا وتركتكِ وذهبت حتى لا أكذب عليكِ، كنت لا أريد أن أخدعك بقولي.

ثم نهض يقف على قدميه وتنحنح ليجلي صوته ثم أرداف:

-"جئت بكِ إلى هنا كي أقضي بعض الوقت معك، فقد أحببتك يا آنا".

أطلق ضحكة مستهزئة ثم قال:

-وكنت أنوي تقبيلك أيضًا.

اقترب منها ثم انحنى نحو رأسها مرددًا بهمس:

- لا كنت أنوي أن أفعل أكثر من ذلك.

انتصب في وقفته وأطلق تنهيدة عميقة:

- لا تصدقيني.

ثم صمت هنيهة ليُكمل:

-أبدًا.

خطى نحو مخرج الجحر لتوقفه آنا:

- لقد سمعتك.

التفت لها مبتسمًا:

-أنا أوقن ذلك.

نزلت من أعلى الفراش لتقترب منه قائلة:

-ولما تفعل ذلك يا عدار؟!

نظر لها باستفهام:

-ماذا تقصدين؟!

أجابته وهو تطلع لعينيه ببراءة تأسره دون أن تشعر:

-أقصد أنك تستطيع أن تُصبح شخصًا جيدًا، طالما تعرف عيوبك وتسردها ببساطة.

أطلق ضحكة مدوية تعجبت له آنا بأن ضيقت عينيها ليتوقف هو عن الضحك وهو يرفع كفه معتذرًا ليسألها:

-مثلك؟!

ضمت حاجبيها بتساؤل لتردد:

-عفوًا!

أسند ظهره على الحائط من خلفه وربع كلتا ذراعيه على صدره وهو يجيبها:

-تريديني أن أصبح مثلك، أهتم بالجميع، وأعتني بكل من أعرفهم ومن لا أعرفهم!

وقبل أن تتحدث أوقفها وهو يُكمل:

-أخرج سرًا في الليل لأبحث عن المُشردين من العرب كي أخذهم من الأرصفة لبيت أستأجرته من عدة سنوات وأدفع إيجاره من راتبي الخاص حتى أصبح مأوى لهم.

جحظت عين آنا بذهول ليُتم حديثه وهو ما زال على وضعه:

-ثم أعمل في مكان ليلي حتى أستطيع توفير مال أكثر، لماذا؟! كي أقدر على توفير طعام لهم لمدة تصل لأشهر حتى يجدوا عملًا مناسبًا يغطي جزءاً من احتياجاتهم، لأكمل المسيرة بمجموعة أخرى، وأعيش أنا بباقي راتبي الذي لا يكفي أسبوعين طعاماً فقط!

رددت آنا بخفوت:

-كيف عرفت كل ذلك؟!

أشار لها أن تدنو منه، فاقتربت نحوه ببطء وهي تشعر بقليل من الخوف تجاهه، أمسك يدها يجرها نحوه ثم بحركة سريعة باغتها بها شهقت على إثرها، جعلها تستند على الحائط ووقف أمامها يسجنها بكلتا ذراعيه، يتطلع لعينيها الزمرديتين بينما هي تتأمل حدقتيه الزرقاء التي أضاءت بهالة باللون الأصفر، تذكرتها آنا في التو لكنها أصرت على أن تعرف إجابة لسؤالها فاستمرت تحدق به تنتظر حتى قال لها:

- أنا أعرف عنكِ ما لم تعرفيه أنتِ عن نفسكِ يا آنا.

صدره بدأ يعلو ويهبط بينما هي تقف ثابته لتسأله:

-وما المانع أن تكون مثلي؟! ألا تريد أن تنول الجنة في الآخرة؟

لمعت عيناه بضوء غريب بينما كانت تنتظر أن تعلو ضحكته باستهجان، ابتسم لها وهو يهز رأسه قائلًا:

-لا يا آنا فالجنة محرمة على أمثالي.

وقبل أن تنطق ثانية، شعر بخطر كبير يقترب منه تجاهها فعاد للخلف متوجهًا للخارج فركضت آنا لتقف أمامه قائلة:

- ما الذي تريده مني يا عدار وأنا سوف أفعله على الفور؟

اهتزت حدقتيه وظل صامتا لفترة لتدرك آنا أنه يحارب ما بداخله تجاهها، حتى خرج عن صمته قائلاً:

- كي تنتهي اللعنة يجب أن تُخرجي مخطوطة الشيطان من الدير، وقتها فقط ستنتهي لعنتنا.

سألته بمنطقية وهي تُحدق بعينيه اللتان يكشفان لها كل ما يخبئه بداخله:

- ولماذا لم تخرجه أنت من هنا؟!

أجابها وهو يحرك رأسه يمينًا ويسارًا:

-لا أستطيع، أنت فقط تستطيعين ذلك.

وقبل أن تسأل ثانية أوقفها قائلًا:

- وليس ذلك وحسب، يجب عليك أيضًا تسلميها للسلطات وتبدأِ في إقناع الجميع بالاطلاع عليها وبذلك فقط

سوف تقذينا.

رددت بتعجب:

- وما مصيركم بعدما تنتهي اللعنة؟!

أجاب:

-لا أعرف ولا أحد يعلم.

شعر بالضيق الشديد عندما تخيل أنها ستتركه وتخرج من هنا، لام نفسه لبعض الوقت فهذا تحديدًا ما يريده منها، فكر للحظة ليقرر أن يأخذها لجولة قبل أن تحكم عليه بالابتعاد عنها، ظهرت ابتسامة عبثية على وجهه وهو يمد يده إليها ليطلب منها:

-تعالِ معي.

دون تردد مدت له يدها فتحول لثعبان شبكي كبيرًا نسبيًا، ثم التف على جسدها بأكمله يرفعها عن الأرض بمسافة صغيرة ثم زحف بباقي جسده بسرعة كبيرة، وهو يتخذ ممرات ضيقة ومنحنيات عالية، لتسأله بصوت مرتفع:

-إلى أين نذهب؟!

رمقها بنظرة تحذيرية من عينيه الطوليتين، ففهمت مقصده أنه لا يريد أن يسمعهما أحد، صمتت وانتظرت عدة دقائق حتى وصلا لأعلى نقطة في هذا المكان -وهو عبارة عن برج حجري كبير، له رأس رجل عيناه جاحظتان -أوقفها على رأس الرجل بعدما تأكد أن المكان آمن حتى لا تزل قدمها، عاد لهيئته ووقف جوارها وهي تتأمل المكان بأكمله بوضوح شديد، جحور ملتصقة بعضها ببعض تضيئها النيران الصفراء، وبين كل مجموعة دائرة كبيرة تحيط بها الأشجار العالية والكثيفة سألته آنا وهي تتطلع للمكان بإعجاب الشديد:

-كيف بنيتم هذا المكان؟!

أجابها ببساطة:

-كما تبني الثعابين جحورها.

نظرت له وهي تُضيق عينيها قائلة:

-الثعابين لا تبني جحورًا، الثعابين تعيش في جحور الكهوف وفتحات الأشجار.

نظر لها بطرف عينيه:

-ونحن لسنا ثعابين فقط، نحن خليط من الجنسين لا نستطيع بأجمنا هذه أن نعيش في جحور الكهوف والأشجار.

ثم وقف أمامها يُكمل:

-نحن هنا منذ سبعة قرون يا آنا، لقد توالت علينا أزمنة يخلفها أزمنة، وأعمارنا تتقدم ببطء شديد و...

توقف عن الحديث عندما تقدمت منه حتى التصقت بصدره العريض وهي تسأله:

-لِمَا أحببتني؟!

تطلع نحوها بصمت لثوانٍ ثم أجاب:

- أنا لم أح....

وضعت كفها على شفتيه وهزت رأسها نافيًا وهي تقول:

- لا تكذب!

رفع كفها من على شفتيه قائلاً:

- تريدين أن تصدقي شيئًا لم يحدث لكِ ذلك!

ثم جذبها نحوه ليُقبلها بعمق جعلها تشعر بما يُكنه لها في داخله ويحاول إنكاره، لتسقط دمعة خائنة من عينيها، التقطها بشفتيه ليبتعد عنها متسائلًا بقلق:

-لما تبكين؟

أجابته دون تردد:

-أعطني الكتاب يا عدار.

مرر كفه على وجهها برقة بالغة وهو يتأكد من طلبها:

-حقًا ستفعلينها؟!

كم تمنى من قلبه أن ترفض وتطلب أن تظل معه كما فعلت سودا، لكنها أومأت برأسها، لم ينتظر أكثر من ذلك وإلا أصابه الأذى، وبصمت مُطبق تحول حاملًا

إياها عائدًا لقصره ولم ينتبه للتي تتبعهم وقد رأتهم منذ قليل يقبلان بعضهما البعض، لتزحف على بطنها بسرعة فائقة إلى ملكتها لتخبرها بما رأت.

*****

دلفت لغرفتها بعدما تفقدت الجميع وعرفت أهم الأخبار عن العائلات بأكملها، ثم تمددت على الأريكة بجوار النيران تنتظر خادمتها المُكلفة بمراقبته، لتُغمض عينيها وتتذكر منذ زمن بعيد ما فعلته لأجله.

تقف أمام الباب بتوتر وقد بدأ جسدها يرتعد من الخوف، دفعها استراش برقة وهو يقول:

-هيا يا جود تقدمي.

بدأت تبكي برعب وهي تتقدم بقدمٍ وتؤخرها ثانية لتلتفت عائدة وهي تُجفف دموعها قائلة بإصرار:

-لا لن أدخل إلى هناك.

دفعها استراش هذه المرة بقوة كبيرة لينفتح الباب مجرد ما إن لمس جسدها لتدلف بداخله ثم انغلق عليها وهي

بالداخل تطلق صراخات متتالية حتى انقطع صوتها فجأة عندما رأته!

كادت أن تموت فزعًا عندما التف حول جسدها لتبدأ في الصراخ ثانية حتى فقدت الوعي، استيقظت لتجد نفسها في بحر حجري غريب الشكل؛ لكنه دافئ إلى حد ما، ظلت على المصطبة الحجرية التي تجلس عليها لتتكوم على نفسها تحتضن ساقيها وتحرك جسدها برتابة وقد ملأ الخوف قلبها، وهي تنتظر أن يأكلها الثعبان الكبير الذي قابلها عند المدخل، حتى وجدته يتقدم منها بهيبته وجسده العريض وعينيها الزرقاويتين الساحرتين.

انتفضت واقفة تتأمل وجهه الغريب والجميل في الوقت ذاته، لينعقد لسانها وهي تحدق به لتجده يحدثها بغرور جعلها تذوب في حضرته:

-ما بكِ تنظرين نحوي كالبلهاء هكذا؟!

هي بالطبع بلهاء وستكون حمقاء إن لم تجعل هذا الرجل الذي لا تعرفه يُحبها.

رددت بخفوت:

-من أنت؟!

أجابها وهو يتطلع لعينيها بإعجاب جعلها تتنهد وهو يقول لها:

-اسمي عدار.

اقتربت منه وهي ترفع كفها تمرره على وجهه قائلة:

-لقد خطفت قلبي يا عدار.

ابتسم ابتسامة ساحرة وهو يغمز لها بعينه قائلًا:

-وهذا هو المطلوب يا جود..

فتحت سودا عينيها وهي تزفر بضيق، ثم قامت من مقعدها وقد توالت على عقلها كل ما حدث بينهما سويًا، وكيف ضحت بكل شيء من أجله، ورغم أنها تعرف أنه خدعها وما زال يخدعها إلا أنها لا تملك سوى أن تتظاهر أنها تصدقه وتسانده كي تبقى معه، تذكرت كم من المرات كاد أن يُخرجها لولا ذكائها الذي جعلها تستقطب عدداً كبيراً من الأفاعي الناتجين من علاقات مختلطة بين العائلات الأصلية، لتراعاهم وتبني لهم جحورًا رملية كثيرة

حتى اعتبروها ملكتهم، لتساعدهم هي على التكاثر حتى أصبحت ذات قوة لا يستهان بها، بعدما كاد أن يقتلها عدار حين رفضت الخروج من أجله.

طرقات على باب غرفتها جعلتها تجيب:

-ادخلي يا راسل.

هرعت راسل نحوها بحزن كبير وهي تقول لها:

-لقد أخذها لتمثال عقازئيل، ورأيتهما..

صمتت راسل لتزعق بها سودا حتى انتفض جسدها:

-تكلمي رأيتهما ماذا!

رددت بتلكؤ:

- يقبلان بعضهما البعض ثم حملها لقصره.

احمرت عين سودا بغضب شديد وهي تقول لها:

-خذي معكِ موكاسين واجلبي لي هذه الفتاة إلى هنا.

اليوم الثاني عشر

١٢- أكتوبر

ضيقت آنا عينيها وهي تشعر بالاختناق قائلة:

-أين نحن؟ وما هذه الرائحة المقززة؟ أنا لا أرى شيئاً؟!

أجابها بخفوت وقد بدا على صوته أنه يحمل شيئًا ثقيلًا:

-انتظري قليلًا يا آنا، سنخرج من هنا حالما أنتهي.

لم تجد أمامها سوى أن تنتظره في هذا الظلام الحالك والرائحة التي تصيبها بالغثيان، وضعت راحة يدها على أنفها وقد شعرت بالدوار الشديد من هذه الرائحة؛ لكنها حاولت أن تتحمل قليلًا، حتى انتهى هو مما يفعله وأمسك بيدها ليخرجا سويًا من هذا المكان تحت نظرات آنا المتعجبة من وجه عدار المستريح، وكأنه لم يشتم الرائحة التي كادت أن تقتلها، لتسأله بدهشة بدت على وجهها عندما رأت بيده كتاباً بحجم كبير يحمله بين ذراعيه:

-ما هذا؟!

التفت حوله ليتأكد أن لا أحد يتبعهم، ثم خرج من الممر الطويل الذي يؤدي للجحر اللذان كان بداخله منذ قليل، لتجد نفسها داخل قصره، أجابها وهو يصعد بها الدرج ليدلفا لغرفته:

-هذا هو الكتاب.

ضمت حاجبيها مرددة:

-كنت تخبأه بقصرك؟!

أومأ برأسه وهو يسلمه لها قائلًا:

-حين تستعدين للخروج أخبرني.

نظرت بحيرة لغلاف الكتاب الذي لم يصبه شيء وكأنه كُتب الآن، حتى رائحة الورق الجديد تنبعث منه لتداعب أنفها رغم أنها ما زالت لا تستطيع إلى الآن أن تلتقط أنفاسها بطلاقة، لتتساءل بقلق:

-كيف حافظت عليه هكذا؟!

تجاهل سؤالها ليقترب منها وقد بدأ يشعر بالضعف الشديد تجاهها ثانية، فأمسك يدها يحتضنها بكفيه ويتطلع لعينيها بنظرة حانية وهو يقول:

-هل أنتِ واثقة مما ستفعلين؟!

تأملت عينيه التي لا تضيء إلا حينما ينظر لها هذه النظرة لتشعر بارتباك شديد تجاهه قائلة:

-ألا تريد أن تنتهي لعنتكم؟!

ردد بألم شعرت هي به:

-لكنكِ إن خرجتي من هنا ستبدأ لعنتي أنا.

ضيقت عينيها باستفهام:

-ما الذي تقصده؟!

طرقات على الباب الغرفة من قِبل الخادم جعلته يترك يدها وبصوت مرتفع سأله:

-ماذا تريد؟!

أجابه الخادم سريعًا:

-ملك الأحناش ينتظرك بالأسفل يريد مقابلتك يا سيدي.

زفر بضيق وهو يتجه ناحية باب الغرفة قائلًا لها:

-لا تتحركي حتى أعود إليكِ.

أومأت برأسها وجلست على طرف الفراش تتأمل الكتاب الموضوع على المقعد الخشبي، وقبل أن تقف لتذهب إليه شعرت بشيء يتحرك خلفها وما إن التفتت لتراها، قامت موكاسين بنفث السم في وجهها جعلتها تفقد الوعي بعد لحظات ترنحت بها لترتمي على الفراش وقد فقدت الشعور بكل ما يحدث حوالها.

*****

تحركت أنجيتا بتوتر شديد في الغرفة تنتظر عودة فيرترا بالأخبار، هرولت نحوها حفيدتها قائلة:

-لقد بَعثت سودا بخادمتيها وأخذت آنا من قصر عدار.

زفرت أنجيتا بضيق وهي تردد:

-ستدفعها هذه الحمقاء للخروج بالكتّاب حتى تتخلص منها وتبعدها عنه.

ضيقت فيرترا عينيها قائلة:

-وما الجديد الذي ستفعله هذه البلهاء؟! لقد أعطى عدار الفتاة الكتّاب بالفعل ولولا اجتماعه مع ملك الأحناش الآن لكان أخرجها به.

حدثتها أنجيتا بقلق:

-وما الذي يفعله ملك الأحناش مع عدار الآن؟!

أجابتها فيرترا:

-لا أعرف، لكنه يبدو أمراً خطيراً فقد سمعت صوته الغاضب يعلو وأنا أتبع الخادمتين فتركت أبالا يراقبهم كي يعرف ما الذي يحدث.

أتمت جملتها حتى وجدت أبالا يركض نحوهما يلهث

بعدما تحول لهيئته البشرية وهو يقول لجدته:

-لقد اكتشف ملك الأحناش خداع عدار له وقرر سحب كل جنوده من قصره، وأعطى أوامره لجنوده الأقوياء أن يأتونه بالفتاة المنشودة، واشتبك مع عدار وعائلته الآن في عراك مميت وتركتهم وجئت كي أسألك ما الذي يجب علينا فعله.

شعرت أنجيتا بالخوف الشديد على آنا لتقول بفزع:

-يجب أن ننقذ الفتاة بأسرع وقت.

لتنادي ولدها "أمام" فأتها على الفور لتأمره باتبعها، ثم تحولت لأناكوندا كبيرة وضخمة لتخرج من قصرها زحفًا وولدها خلفها لتتوجه ناحية قصر سودا.

*****

فتحت آنا عينيها لتنتفض جالسة لتجد سودا تجلس على مقعدها الرملي غريب الشكل أمام الفراش الذي تمدد عليه، وضعت كفها على رأسها بإعياء شديد لتردد وهي مغمضة العينين من الألم:

-أين أنا؟!

خطت سودا بتبختر نحوها قائلة:

-أنتِ هنا في قصري، أنا ملكة الأفعويات.

فتحت آنا عينيها وبصعوبة نزلت من أعلى الفراش لتقف أمامها تحدثها بقوة لا تشعر بها حقًا، فما زال أثر السُم الذي نفثته الحية في وجهها يُشعرها بالتعب الشديد:

-لقد سمعتك أمام غرفة عدار.

ثم نظرت لها بطول جسدها نظرة تقيمية جعلت سودا تستشيط غضباً لتقول لها بحنق واضح:

-أنا حبيبة عدار منذ أربع قرونٍ ويزيد.

لم تستطع آنا الوقوف أكثر من ذلك فعادت للجلوس قائلة:

-ماذا فعلتي بي؟!

لوحت لها سودا بيدها قائلة:

-لا تقلقي لن تموتي، فلو أردت قتلك لفعلت من أول يوم خطت به قدمكِ هنا.

رفعت آنا وجهها نحو سودا لتسألها بضجر:

-ولما أتيت بي إلى هنا إذن؟!

- كي أخبرك أن تخرجي من هنا الآن.

تحاملت على نفسها لتقف ثانية وهي تسألها بتعجب:

-وما الذي جعلك تظنين أنني سأمكث هنا؟!

ارتبكت سودا للحظة وهي تدور حولها؛ لكنها أجابت بثبات واضح:

-ستمكثين لأنك تحبينه مثلًا؟!

لمحت اهتزاز حدقتيها فتأكدت مما تشعر، فوقفت أمامها ثم قبضت على كلتا ذراعيها بقوة وهي تهزها قائلة:

-عدار لي، لقد ضحيت بكل شيء من أجله وقبلت أن

تصيبني اللعنة حتى لا أتركه.

سحبت آنا يدها بعنف من قبضتها وهي تحدثها:

-أنا لا أفهم ما الذي تتفوهين به؟!

صرخت بها سودا:

-أنا كنت المنشودة أيضًا.

علامات الدهشة والفزع ارتسمت على وجه آنا وهي تردد:

-ماذا؟!

لم تجب سودا وهي تطلع نحوها لتهز آنا رأسها بعنف قائلة:

-أنتِ كاذبة، لقد أخبرني..

أوقفتها سودا بغضب:

-إننا كنا ننتظرك منذ سبعة قرون، أليس كذلك؟!

لم تتحمل آنا فجلست صامتة لتجلس سودا بجوارها، وقد بدأ الخوف يتسلل لقلب آنا أن تُصبح مثلها، لتتساءل باضطراب واضح:

-ما الذي حدث معكِ؟!

أخذت نفسًا عميقًا وهي تستعيد كل ما حدث معها لتقصه عليها:

-ولدت يوم الثالث عشر مثلكِ، وأنا أيضًا من سلالة نيبائيل، وكونك لم تعرفين عني شيئاً فهذا يعني أنك لم تطلعي على باقي الكُتب.

نظرت آنا نحوها بتعجب وهي تتذكر أن بالفعل ما زال هناك كتابان لم تقرأهما، تطلعت سودا للفراغ أمامها وهي تقول لها:

-ولست أنا فقط، أنا الخامسة وقد كان قبلي أربعة مُخلصين.

شهقت آنا وحركت رأسها بعدم تصديق لتُكمل سودا:

- كلنا استسلمنا لعقازئيل وذريته؛ لكن أنا وضعي مختلف

لقد أحببت عدار وكونت عائلة قوية، لذلك أنا ما زلت هنا إلى الآن، لقد رفضت الخروج من هنا حتى أظل بجواره.

شعرت بغيرة تدغدغ قلبها وللمرة الأولى تشعر بها تجاه أحد، فوقفت كاظمة الغيظ تسألها:

-وما الذي يزعجك إذن ما دام أنتما حبيبين قبل أن أولد بقرون كثيرة!

لم تشعر سودا بنفسها وهي تقول لها:

-منذ جئت أنا إلى هنا ورفضت خروجي بالكتّاب حتى أظل معه، ولم يمُر يوم إلا وعاشرنا بعضنا البعض.

ثم تلكأت وهي تنظر نحوها بعينين غاضبتين لتُكمل:

-منذ جئتِ أنتِ لم أر عدار سوى لحظات يخبرني بها كيف أحميكِ.

أوجعها ما تفوهت به، فجلست صامتة للحظات بينما لم تستطع آنا إخفاء ابتسامتها؛ لكنها أدارت وجهها عن سودا حتى لا تجرحها حين ترى السعادة تتراقص على

وجهها، ثم استعادت جديتها قائلة:

-ما دام من قبلي قد ضعف وفشل، فأنا من سأنهي هذه اللعنة.

أطلقت سودا ضحكة عالية جعلت آنا تشعر بالتيه الشديد، لتنظر سودا نحوها باستهزاء قائلة:

-أنتِ تخيلت أن الجميع مثل نيبائيل!

ثم قربت وجهها منها قائلة وهي تضغط على كل حرف:

-نيبائيل كان طفرة يا آنا، ورغم ذلك فقد ضعف لبعض الوقت؛ لكن زرا لم تتركه يحيد عن هدفه لذلك هو صمد للنهاية.

شعرت آنا بالغضب الشديد نحوها وقد ابتعدت عنها سودا قائلة بحقد دفين وهي تهز رأسها:

-وأنتِ أيضًا لن تُصبحي مثله.

فانتفضت قائلة:

-ومؤكد أيضًا أنا لستُ مثلك.

ليصدع صوت أنجيتا وهي تقترب منهما لتتحول لبشرية وهي تقول:

-بالطبع يا آنا أنتِ لست مثلها.

احمرت عين سودا بالغضب وهي تتساءل:

- كيف دخلتي إلى هنا؟!

تجاهلتها أنجيتا وهي تقترب من آنا قائلة:

-يجب أن تحرقي الكتاب هنا، وتخرجي بأقصى سرعة.

شهقت سودا وهي تدفع أنجيتا بقوة وتنظر نحو آنا التي بدت مشوشة للغاية لتهدر بها:

-لا تسمعي لها يجب أن تخرجي بالكتاب وتفعلي ما قاله لكِ عدار حتى تنتهي لعنتنا، لقد أُصيبنا بهذه اللعنة لأن الرهبان قرروا حرق الكتاب، صدقيني يا آنا لو فعلتِ ذلك لا أعرف ما الذي سيحدث لكل ما تعرفينهم هنا وفي الخارج.

نظرت آنا نحو أنجيتا التي تهز رأسها نفياً لتصرخ سودا:

-رااسل!

جاءتها الفتاة على الفور لتأمرها:

- أحضري الكتاب في الحال.

ثم نظرت نحو آنا:

-ستأخذين الكتاب وتخرجين من هنا وتفعلين ما قاله لكِ عدار.

رددت أنجيتا من خلف سودا:

-لا تفعلي يا آنا.

التفتت لها سودا تنظر نحوها بغيظ، وقبل أن تقترب منها ليبدأ الإثنان في قتال كبير علا صوت آنا وهي تقول:

-يجب أن أقابل عدار الآن.

ليصيحا الإثنان في صوت واحد ونيات مختلفة:

-لاااااا!

تعجبت آنا بشدة من ردة فعلهما لتسرع أنجيتا بالقول:

-ليس هناك وقت فعائلة الأحناش تبحث عنكِ في كل المدينة، حين لم يجدوكِ في قصر عدار وهم الآن في عراك كبير، وحين يصل الأمر للعرابيد ستكون نهايتك الحتمية هي الموت، يجب أن تخرجي من هنا الآن.

شعرت سودا بالخوف الشديد برغم أنها تشك في حديث أنجيتا، لكنه على أية حال يخدمُ ما تريده، وهو خروج هذه الفتاة من هنا قبل الثانية عشر، جاءت راسل تحمل الكتاب وتسلمه لسودا التي نظرت نحوه قائلة:

-عمل عظيم يا راسل.

ابتسمت لها راسل وأحنت رأسها، لتتساءل أنجيتا بتعجب:

-قصر عدار يعج بعائلة الأحناش وهم يتقاتلون بشراسة، كيف دخلت خادمتك للقصر وأتت بالكتاب؟!

أجابتها سودا وهي تُسلم الكتَّاب لآنا:

-حين أخذت موكاسين آنا قررت راسل أن تأتي بالكتَّاب أيضًا وقد كان قرارًا صائبًا جدًا.

نظرت للكتَّاب الذي بين يدي سودا وعقلها مشوش للغاية ولا تعرف أيهما الصواب.

أتنقذه وتنهي اللعنة بخروج الكتَّاب من الدير؟! أم تحرقه كما قالت لها أنجيتا وتقضي على الجميع وأولهم هو؟!

استمرت سودا بدفع الكتَّاب نحوها، حتى حملته بين يديها لتدلف موكاسين وخلفها "أمام" يصيحان في صوت واحد:

-نحن نتعرض لهجوم كبير.

وقف الجميع يتطلعون لبعضهم البعض في قلق، لتقترب أنجيتا من سودا قائلة:

-أنت الوحيدة هنا التي تعرفين ممرات سرية للمدينة بأكملها، خذي آنا وأوصليها للمخرج بأمان، ونحن سنتصدى للمقتحمين.

نظرت سودا لخادمتيها اللذان أومأ برأسيهما سمعًا وطاعة، بينما نظرت أنجيتا نحو آنا تارة ونحو الكتّاب تارة أخرى نظرة ذات مغزى لم تفهمها آنا جيدًا، ولم يسع الوقت لجعلها تفهم.

أمسكت سودا بيدها بعدما حملت الكتّاب لتقول لها بذعر ظهر جليًا في صوتها:

-اتبعيني ولا تصدري صوتًا.

تبعتها آنا لترها تحولت لأفعى مجلجلة سوداء تتقدمها زحفًا في ممرات سرية ضيقة داخل القصر لتهمس لها آنا:

-يجب أن أرى عدار قبل أن أذهب من هنا.

توقفت سودا لترمقها بغضب جعل عينيها الطوليتين تضيئان باللون النحاسي الذي أعطها مظهراً مخيفاً للغاية، جعلت آنا تشعر بغصة في حلقها لتحدثها سودا بلغة الثعابين وهي تلتف حول جسدها:

-عدار الآن في حرب ضارية من أجلك، وصدقيني لو حدث له مكروه سأجازف بالخروج من هنا ولأنفث سمى

المميت في جسدك وأترككِ تموتين دون أن تستطيعي حتى إصدار صوت.

قالت جُملتها الأخيرة في وجهها وهي تلتف حول صدرها بينما آنا تحدق بها دون أن تُظهر لها خوفها، تركتها سودا وتقدمت منها لتحتضن آنا الكتّاب وتخطو خلفها بحذر، تذكرت الحجر الذي أعطاه لها آصف فشهقت بخفة جعلت سودا تلتفت نحوها، لتشير لها آنا أن تُكمل مسيرتها وهي تُفكر كيف ستعود لقصر عدار وتأتي بحقيبتها التي تحوي الحجر كي تنقذ نفسها، وصلت سودا للمكان الذي دلفت منه آنا وتوقفت لتعود للخلف قائلة:

-لا أستطيع التقدم أكثر من ذلك.

نظرت آنا نحو الممر الذي أخذها عدار فيه لتصل في نهايته إلى غرفته، ثم تطلعت لسودا التي تنتظرها لتخرج من الباب الخلفي للدير، لتفكر آنا جيدًا قبل أن تقول لها:

-لن أستطيع الخروج من هنا دون حقيبتي.

برقت سودا بعينيها لتُكمل آنا بتوضيح:

-حقيبتي بها الثعبان المعدني الصغير الذي كان مفتاحًا

لدخولي إلى هنا، ولن أستطيع الخروج دونه.

حدقت بها سودا بضع لحظات ثم قالت لها:

-حسنًا لا تتحركي من هنا حتى أعود إليك.

وكما توقعت آنا فقد سلكت سودا طريقاً غير الممر الذي أدخلها عدار من خلاله للقصر، حين غابت عن نظرها وتأكدت أنها اختفت من المكان بأكمله، تركت الكتّاب أمام المخرج وركضت نحو الممر الذي وجدته فارغاً كما توقعت؛ لكنها شعرت بحركة جوارها فاختبأت خلف الجدار ووضعت كفها على فمها حتى لا يظهر صوت أنفاسها المضطربة، حتى مر الثعبان الكبير أمامها ولم يشعر بوجودها، أخذت نفسًا عميقًا وخطت على أطراف أصابعها وهي تلتفت يمينًا ويسارًا وترهف سمعها لتتأكد من خلو المكان حولها من الثعابين.

حتى وصلت لغرفة عدار دفعت الباب بيدها سريعًا ثم اتخذت الجدار مخبئًا فلم تجد شيئًا غير عادي، دلفت داخل الغرفة بحذر لتُتمتم:

-يبدو أن عراكهم بالأسفل.

بحثت عن حقيبتها بعينيها حتى وجدتها كما تركتها جوار الفراش، فحملتها وركضت خارج الغرفة عائدة للمخرج، وقد أخرجت الثعبان المعدني من حقيبتها وهي تنادي بهمس تُجزم أنه سيسمعه ويأتي إليها:

-عدااااار.

وبالفعل حين وصلت للكتّاب وجدته أمامها بهيئته الأفعوانية، وقد امتلئ جسده بالجروح العميقة ولدغات الثعابين، ركضت نحوه تمرر يدها بحزن شديد على جسده ليتحول لهيئته وجسده العاري يغطيه الدماء، لم يتمالك نفسه وهو يحتضنها بقوة هامسًا:

-كنت سأموت قلقًا عليكِ.

حاولت أن تبتعد عن أحضانه، لكنه أبى لتردد آنا بحزم:

-اتركني.

تجاهل أصوات الهسيس التي تأتيه من خلفه، وترك جسدها من بين يديه، لكنه لم يقبل بابتعادها عنه فأمسك يدها بقلق بان بشدة على وجهه وهو يُحدثها:

-ما بكِ؟!

تحولت نظرتها من الشفقة على ما أصابه من أجل حمايتها للغضب الشديد وهي تقول له:

-لقد أخبرتني سودا كل شيء حدث بينكما.

زفر بضيق قائلًا بصدق غريب شعرت هي به:

-أنا لم أحب غيرك في حياتي يا آنا، صدقتني أم لم تستطيعي تصديقي فهذا لن ينفي الأمر.

ضمت حاجبيها بتعجب وهي تقول:

-هذه أول مرة تعترف لي بالأمر ألم تُخبرني البارحة أنك...

أوقفها بقبلة جعلتها تهوي بين ذراعيه للحظات حتى ابتعد قليلاً عنها لتلتقط أنفاسها وهو يخبرها ثانية بصدق شديد:

-أنا أحبك كما لم أفعل من قبل، عديني أنكِ لن تتركيني حتى وإن عدتِ لزمانك.

ترنحت بين يديه من الصدمة ليعيد عليها القول:

-عديني يا آنا.

سمعت سودا حديثهما فزحفت بأقصى سرعة لها لتلتف حول جسدها ظاهرة أنيابها السامة بجوار عنقها قائلة:

-حسنًا لقد قررت بإرادتكِ أن تموتين.

وقف عدار أمامها يرجوها:

-أرجوكِ يا سودا اتركيها سأفعل كل ما تبغينه؛ لكن اتركيها الآن تخرج من هنا قبل أن يصل الأحناش إلينا.

تجاهلت حديثه وهي تخاطب آنا:

- كان أمامك الفرصة لتنجين بنفسك، وكنت أخدع نفسي أنه لم يحب أحدًا في حياته سوى نفسه لكني الآن تأكدت من الأمر، لن أتركِك تعيشين بحبه وأنا التي خسرت حياتي بأكملها وعشتُ في جسد حيوان مفترس طوال تلك القرون من أجله، لم يخبرني يومًا أنه أحبني كما أخبرك الآن.

نظرت آنا لعدار الذي ما زال يتوسل لسودا أن تتركها فتطلعت نحوه وهي تحرك أهدابها نحو حقيبتها، ليفهم عدار مقصدها فقذف الحقيبة نحوها وفي لحظة لم تدركها سودا أخرجت آنا الحجر لتهمس سريعًا بصوت مرتفع:

-يوناااااس!

*****

قبل قليل....

وقفت كوبا بقلق تخطو ذهابًا وإيابًا نحو باب المنزل، بينما استراش يجلس على الأريكة ينظر لساعته كل دقيقة بتوتر شديد، ينتظران وصول الساعة للثانية عشر، حتى تعود آنا سالمة.

طرق باب المنزل ففزعت كوبا بخوف غير مبرر ليقول لها استراش بتعجب وهي تخطو نحو الباب:

-ما بكِ يا كوبا، تمالكي نفسكِ!

ارتسم الغضب على وجهها حين وجدته إيدين يقف مطأطأ الرأس بخجل قائلًا:

-جئت كي أنتظر معكما عودتها.

كادت أن تنهره، لكن استراش أوقفها وهو يحدث إيدين:

-تفضل يا إيدين فأنت أعز أصدقائها على كل حال.

تنحت كوبا من أمام الباب ليدلف إيدين ويجلس على أحد المقاعد قائلًا:

-أردت أن أقترح عليكما أن ننتظرها أمام الدير.

نظر استراش نحوه وقد أصابت هذه الفكرة هوى في نفسه ليؤيده قائلًا:

-كنت أفكر بهذا الأمر.

ثم نظر نحو كوبا التي حدقت بهما تدير الأمر برأسها لتجيبهم وهي تتوجه ناحية حقيبتها اليدوية:

-حسنًا هيا بنا.

صعد الثلاثة لسيارة كوبا بعدما رفضت أن تستقل سيارة إيدين الذي تتجاهله منذ أن رأته، أدارت كوبا محرك السيارة وانطلقت نحو الدير وقلبها يقرع بشدة من الخوف على فتاتها.

وصلوا للدير فارتجف جسد إيدين من الذكرى السيئة والمرعبة على حد سواء الذي أخلفه له بني النعمان، صفت كوبا سيارتها وترجل الثلاثة منها متوجهين نحو الباب الخلفي، حاول استراش فتحه لكنه مثل كل مرة لم ينفتح الباب ولم ييأس هو ولا مرة، نظرت كوبا لساعة يدها التي اقتربت على منتصف الليل فلم يتبقَ سوى ساعة واحدة وقد نال التوتر منها مبلغه ليتحدث استراش بشجن، وألم، وامنية ما زالت لم تتحقق بعد:

-أتمنى أن تخرج آنا من هنا حتى أستطيع رؤية أمي ولو مرة واحدة.

نظر نحوه إيدين بغيظ لأنه السبب في دخول آنا لهذا المكان، بينما توجهت كوبا نحوه لتربط على كتفه برفق وحنان قائلة:

-لا تقلق ستراها وأنا واثقة أن ابنتي ستفعل الصواب.

*****

خلف الجدار العازل بينهما كان يقف نعمان وولده يسترقان السمع للعراك الشديد الذي يحدث بالداخل، ليقول يوناس بقلق:

-لا أعرف ما الخطأ! لقد أخبرنا آصف أنني يمكنني الدخول ما دام الحجر بالداخل.

ثم صمت لبرهة ليكمل:

-ترى هناك طريقة معينة لعمل الحجر مع السوار بشكل يجعلني أدلف كي أخرجها من هناك.

هبط نعمان من أعلى السقف قائلا:

-لقد أتت والدتها بالخارج ومعها الأحمق الذي علقته بالجدار ويصحبهما الشخص المريب الذي طالته اللعنة رغم خروجه من الدير في وقت مناسب.

تطلع يوناس للسوار الذي بيده فوجده يهتز فضيق عينيه ليقف نعمان جواره متسائلاً:

-ما الذي يحدث؟!

هز يوناس رأسه وهو يذم شفتيه ليضئ الحجر باللون الزمردي للمرة الثانية وينطق اسمه بصوتها ليجد نفسه أمامها وقد سحبه السوار إليها!

*****

اختض جسد سودا حين وجدت عفريتاً ضخماً كبير الحجم أمامها ليلقف آنا من بين يدها بغتة،

لتمد آنا يدها سريعًا تلتقط الكتاب، بينما رمق يوناس عدار بغضب شديد جعل الأخير ينظر إليه، لكنه حول نظرته المتعالية لأخرى متوسلة فهمها يوناس على الفور رغم تعجبه الشديد لما يحدث، ليكرر عدار جملته بصوت مرتفع:

-عديني يا آنا أريد أن أسمعها قبل أن ترحلين.

وقبل أن تتفوه بها آنا انتقل بها يوناس للخارج لتجد أمها واستراش وإيدين الذي تفاجأت بوجوده معهما!

لتركض أمها نحوها تحتضنها بشدة فتركت آنا الكتاب يقع أرضاً لتبكي على صدر أمها بحرقة وهي تبحث بعينيها بغضب

عن يوناس الذي اختفى فور خروجها من الدير، قبل أن تعد حبيبها بأنه ستظل تحبه للأبد.

*****

اهتز الدير بعدما خرجت آنا لتبدأ الجحور بالتهدم فتحولت سودا لهيئتها متجاهلة ما يحدث لهما، لتتجه نحو عدار الحانق الذي يقف مستشيطًا بالغضب لأنها خرجت دون أن تعده، لتُمسك سودا برقبته وتصرخ به وهي تدفعه للخلف بينما هو تارك لها جسده تفعل به ما تشاء:

-لقد عشت قرونًا تحت قدميك أيها الأحمق، وضحيت بحياتي ورسالتي من أجلك أنت، وفي النهاية تأتي هذه البلهاء لتفوز بقلبك!

تطلع نحوها بعينيه الطوليتين المخيفتين ليرتعد جسدها، لكنها أصرت على غضبها واستمرت بالضغط على رقبته ولم تتراجع رغم نظراته التحذرية لتُكمل صراخها في أذنه:

-لن أتركها يا عدار، سأقتلها وأحرق قلبك كما أحرقت قلبي، ولو كان هذا آخر عمل سأقوم به.

وفي لحظة لم تدركها سودا كان عدار خلفها يحيط رأسها

بكفيه هامسًا:

-لن يستطيع أحد أذيتها ما دمتُ على قيد الحياة.

ثم أدار رقبتها بقوة لتلفظ أنفاسها الأخيرة بين يديه وهي تتطلع لعينيه بذهول ليخبرها:

-أنا على استعداد لقتل أي أحد تسول له نفسه أن يهدد عدار بحياة الفتاة التي امتلكت قلبه.

ثم تركها تهوى على الأرض جثة هامدة، وخطى في الممر نحو غرفته التى ما زالت تهتز بزلزال مثل المكان بأكمله، ليجد أنجيتا تتطلع نحوه بحقد دفين أمام باب غرفته، ليطلق هو ضحكة عالية جعلت الغضب يتملك منها لتتحول لأكبر أناكوندا على الإطلاق وتلتف حول جسده في لحظات جعلته يتوقف عن الضحك، رغم أن وجهه ما زال مبتسماً، ليتحول هو لثعبان شبكي كبير ويبدأن في قتال مميت وهي تنهره بغضب:

-أنت شيطان مغرور وأنا واثقة أن آنا ستفعل الصواب.

التف حول جسدها ليعتصرها بجسده وهو يقول لها:

-لقد أحبتني الفتاة كما أحبتها ولذلك ستفعل من أجلي ما أمرتها به.

تملصت بخفة من بين قبضته ليتفاجأ عدار بقوتها ثم التفت هي حوله قائلة:

-سيخبرها ولدي بكل شيء كما أخبرته في رسالتي.

تركها عدار تظن أنها استطاعت امتلاكه لتبتسم عيناه الطوليتين ابتسامة جعلتها تهتز لتدرك حقيقة الأمر وهو يخبرها:

-أنا من قرأت رسالة ولدك، وأنا من أبدلتها بأخرى، وأنا من ربيت ولدك حتى صار شابًا جميلًا.

ارتخى جسدها الذي تلفه حوله ليتبادل عدار الدور ويلف هو حولها يعتصر رقبتها بجسده الطويل والقوي وهو يخبرها:

-وهو الآن ينتظرك بالخارج بعدما جائني بسودا ومن بعدها آنا حتى يخرج الكتّاب لبني آدم، وقد أطاع الأبله أمري حتى يراك ولو لمرة واحدة، وسيظل مطيعًا لأمري ما دام لم يعرف الحقيقة، ومؤكد لن يراكِ ليعرفها!

ثم شهق بخفة قائلًا:

-وللأسف الشديد ستموتين قبل أن ترين حتى وجهه.

جحظت عيناها من الضغط الشديد على رقبتها، وقد بدأت في لفظ آخر نفس لها ليهمس لها عدار:

-ولدك الحبيب من صلب شيطان الإنس الكبير، وقد جاء بطريقة تعرفينها جيدًا، وتربى على يدي أنا، فيجب أن تعرفين قبل أن تموتي أن الرجل الذي حاربتني لأجله لقرون عدة سيكون حريصًا أكثر مني على ظهور الكتّاب للعيان، وسيُصبح مجتهدًا أكثر مني لإتمام أمر أبي.

ثم تركها بعدما ارتخى جسدها تمامًا وسقطت أرضًا لتعود لجسدها البشري والدموع تغرق وجهها الشاحب شحوب الموتى.

*****

خرجا أربعتهم من الدير لتناول كوبا مفاتيح السيارة لستراش الذي ما زال يحدق في الباب بحزن كبير لا يعلم مصدره وكأنه يشعر بأمه التي ماتت للتو.

نادته كوبا ثانية وما زالت يدها ممدودة نحوه ليلتفت إليها يتطلع للمفاتيح بعدم فهم وعقله وقلبه ما زالا داخل الدير لتحدثه كوبا بتفهم:

-قد أتت يا استراش.

بينما حاوطت هي ابنتها بكلتا ذراعيها تضمها إليها، وإيدين يرفض النظر لشيء سواها بينما هي تتجنب النظر نحوه وهي تشعر أنها خائنة!

وصلوا للمنزل لترفع آنا رأسها نحو الساعة الموضوعة على الحائط فوجدتها لم تصل للثانية عشر بعد، صعدت الدرج دون أن تتحدث مع أحد منهم، بينما داخلها يشعر بشيء غريب يحدث وكأنها تأبى أن يكون الأمر انتهى هكذا.

دلفت كوبا معها للغرفة لتجلس آنا على فراشها والكتّاب بين يديها تنظر نحوه وتفكر فيما ستفعله به، بينما أكثر ما يشغلها هو ماذا حدث للبقية في الدير بعدما خرجت هي منه بالكتّاب، لا تصدق إلى الآن أنها لن تراه ثانية، جلست كوبا أمامها على المقعد وهي تحدثها بحماس:

-أخبريني تفصيلًا ما حدث معكِ.

ثم نظرت نحو الكتاب لتسألها:

-ما هذا الكتاب؟!

نظرت آنا نحو أمها بإرهاق شديد بان على وجهها لتشهق كوبا بفزع قائلة:

-بئس الأم أنا، مؤكد تتضورين جوعًا.

ثم انتفضت واقفة لتتوجه نحوها تُقبل جبهتها بسعادة:

-أكاد أجن من الفرحة لعودتك سالمة يا حبيبتي.

ثم تركتها وخرجت من الغرفة للأسفل نحو مطبخها ليقف استراش بقلق متوجهًا نحوها قائلًا:

-هل أخبرتك أنها قد رأت أمي؟

أخرجت كوبا الأغراض من ثلاجتها وهي تُجيبه:

-لم تخبرني بشيء بعد، ابنتي مرهقة للغاية يا استراش دعنا نمنحها بعض الوقت.

توقفت عما تفعل ثم رمقت إيدين بنظرة جعلته يشعر بالحرج، لكنه لا يستطيع أن يرحل قبل أن يجلس معها كي يخبرها كل ما حدث علها تسامحه، لكن كوبا حدثته بلهجة قاسية:

- آنا لن تقابل أحداً الليلة، تستطيع أن تأتي في الغد لتجلس معها.

وقف إيدين بحرج يستشعره للمرة الأولى في البيت الذي ترعرع به، ليقترب منها وبرجاء شديد قال لها:

- أتوسل إليك يا كوبا أن لا تخبريها بشيء مما حدث بيننا فأنا سأخبرها بكل شيء.

اكتفت بإيماءة من رأسها واستدارت لتُكمل ما تفعله، بينما خطى إيدين نحو باب المنزل بخطوات ثقيلة بثقل ما يشعره ويخشاه.

ترجلت آنا من فراشها لتضع الكتاب على الطاولة الكبيرة أمامها، ثم أخرجت الحجر من جيب بنطالها لتحركه في كفها قائلة:

-هل لو استدعيته ثانية كي يخبرني ما حدث لعدار سيأتي؟! أم أن هذا الحجر لا يصلح سوى مرة واحدة!

قررت في لحظة أن تُجازف هامسة:

-يونااااس!

سمعها يوناس وقبل أن يذهب إليها أوقفه نعمان قائلًا:

-انتظر قليلًا، دعها تفكر لبعض الوقت.

تطلع يوناس له بدهشة قائلًا:

-كنت أظن أنك ستدفعني إليها كي أخبرها الحقيقة.

حرك نعمان رأسه باعتراض:

-يجب أولًا أن تبحث هي عن الحقيقة وقتها سنساعدها لتكتشفها بمفردها.

تعجب يوناس من وجهة نظر والده ليردد:

-لقد كنت قلقًا على هذه الفتاة أن تتبع الشيطان كما فعل

من قبلها؟!

أجابه نعمان بنظرة ماكرة:

-وما زلت قلقًا خاصة أن الكتّاب معها، لكني أريدها أن تتخذ قراراها بنفسها، خاصة بعدما أخبرتني أن عدار وقع في حبها وهي كذلك أيضًا.

*****

فقدت آنا الأمل أن يأتها يوناس، فعادت لفراشها لكن رائحة كريهة تنبعث من جسدها جعلتها تقف تنظر لنفسها في المرآة بتقزز، وقد أصبحت ملابسها متسخة للغاية بينما شعرها المشعث أعطها مظهراً دميماً لتخطو بسرعة نحو مأزرها تلقفه وتتوجه لحمامها الخاص كي تستحم وتزيل أثر لعنة المكان التي كانت فيه من على جسدها.

دقائق مرت وهي تستلقي في حوض الاستحمام مغمضة العينين تحاول الاسترخاء من الجنون الذي عايشته لإثني عشر يومًا على التوالي؛ لكن الجنون أبى أن يتركها لتتحرك حدقتيها المغلقتين بسرعة فائقة وهي تستعيد ما حدث لها خلال هذه الأيام منذ أن وقع الشهاب أمام نافذتها إلى الآن.

عيناه وهو يقتحم قصر النمرود، ومن بعدها ظل يراقبها من خلف جدها الأول، حتى قابلته!الوعد الذي طلبه منها، وعيده لها، رؤيته في القصر، حبس نيبائيل له، عينا الثور، قتله لأجدادها، تتبعه لها في المرآة قبل الحادثة، عيناه التي رأتها تلمع، ووعده الأخير!!

انتفضت آنا بفزع لتركض خارج الحوض ترتدي مأزراها وتنظر للمرآة لترى عينيه بوضوح شديد تنعكس أمامها، وصل لأذنها رنين المنبه الخاص به يعلن عن وصوله للثانية عشر بالتمام.

لتردد آنا بأنفاس متقطعة:

-إنه هو!

*****

اليوم الثالث عشر.. الأخير

١٣ -أكتوبر

تجاوز عدار الحرس ليصل لعرش والده وهو يخطو نحوه بزهو وكبرياء هي من أهم صفاته، ليقول له بثقة لا يمتلكها أحد من أبناء عقازئيل سواه:

-لقد تمت المهمة.

طرق عقازئيل بحوافره على طرف كرسيه مرددًا:

-لم ينتهِ يوم الثالث عشر بعد.

ناطحه عدار بالقول:

-لكني أثق بها.

هبط عقازئيل من كرسيه يتوجه ناحيته قائلًا بكره شديد تفوح رائحته الكريهة من فمه:

-لا نثق في أبناء آدم قط، خاصة أحفاد الملعون نيبائيل.

ثم تطلع لعين ولده للحظات قبل أن يسأله بخبث:

-أم أنك تثق في حبها لك؟!

أجابه وهو ينظر إليه:

-نعم، هو هكذا.

وضع يده على كتفه وبمكر دميم قال:

-أحسنت خداعها!

ردد عدار بصوت عالٍ:

-أنا لم أستطع خداعها.

احمرت عين عقازئيل بغضب شديد ليطيح بها بقوة جعلته يرتطم في الجدر ساقطًا على الأرض، ليقف سريعًا يضبط ملابسه وهو ينظر لوالده بحنق جعل الأخير ينعق به:

-الشياطين ليس لديهم قلب حتى يعشقون به بني آدم

أيها الغبي.

ليصدمه بقوله:

-حين تنتهي الليلة ستقتلها وبأبشع الطرق.

بحظت عينا عدار برعب ليتوسل إليه:

-أرجوك يا أبي لا تفعل هذ بي.

أصاب عقازئيل هياج شديد ليصل دوي صوته لأخويه وهو يقول:

-أقسم برأس أبي لو لم تفعل ما أمرتك به لعذبنك عذابًا شديدًا ولأسجننك حتى تقوم الساعة ويلقي بك الله في قعر جهنم لتُكمل عذابك هناك.

هرول الأخوان بفزع من صوت أبيه ليسأل أكبرهم عما حدث، ليخبره عقازئيل بتهكم واستهزاء:

-ولدي الذي لم أنجب أحداً في مكره وكبريائه وقوته، يقع في حب إنسية؟! ومن؟! حفيدة نيبائيل الذي سجنني تحت الأرض ألف عام حتى تعفنت.

صاح الإثنان بوجهه ليدفعهما عدار بعيدًا عنه ويخرج من القصر وقد بلغ الغضب الشديد منه مبلغه.

*****

جلست آنا بإرهاق شديد، وقد أعياها ما اكتشفته للتو، نظرت للكتاب أعلى المنضدة لتتوجه نحوه بخطوات بطيئة وثقيلة، ثم بيدين مرتعشتين فتحت صفحاته الكبيرة لتقرأ ما به بعينيها، حتى دخلت كوبا الغرفة تدفع بيديها طاولة الطعام التي تنتقل على عجلات متحركة وهي تقول لها:

-لقد صنعت لكي أكثر طعام تحبينه، حذري ما هو.

تطلعت نحو أمها بعينين زائغتين لتشعر كوبا بالقلق الشديد عليها فهرولت تجاهها قائلة:

-ما بكِ! ما الذي حدث؟!

رددت بارتباك واضح:

-أين استراش؟!

ضيقت كوبا عينيها وهي تجيبها:

-بالأسفل، لماذا؟!

توجهت آنا نحو باب الغرفة قائلة:

-أريده الآن.

أمسكت كوبا بذراعها وهي تشير لمآزرها قائلة:

-ستقابليه هكذا!

عادت آنا بآلية وعقلها يعمل في مكان آخر لتلتقط من خزانتها ما وجدته أمامها، لترتديه على عجل وتهبط الدرج لأسفل إلى أن رآها استراش فوقف ينظر نحوها بتعجب لتتقدم نحوه وتجلس على المقعد قائلة:

-دعنا نتحدث قليلًا.

نظر لكوبا التي رفعت كتفيها بعدم فهم لتقول له آنا:

-هل أخبرتك أنجيتا في رسالتها عن وجود الشيطان بينهم؟!

ضم حاجبيه مرددًا:

-تقصدين أمي؟!

أومأت برأسها، ليجيبها مراوغاً:

-لا لم تخبرني بشيء كهذا.

لتسأله آنا بتشكيك:

-هل أخبرتك عن شخص في هذه اللعنة يُسمى عدار؟!

اهتزت حدقتاه لتعرف آنا الإجابة قبل أن ينطقها، لتُصدم بقوله:

-لا لم تخبرني أمي عن هذا الاسم.

حاولت إخفاء صدمتها لتقف قائلة:

-حسنًا.

تساءلت كوبا بقلق وهي تشعر بشيء غريب في صوت

ابنتها وهي تردد اسمه:

-من عدار؟!

أجابتها وهي تتحرك نحو الدرج:

-سأخبرك فيما بعد.

صعدت عائدة لغرفتها فأوقفها استراش وهو يركض خلفها:

-هل رأيت أمي؟!

تطلعت لعينيه اليائسة بشفقة لتجيبه:

-نعم رأيتها.

دون تردد قال:

-صفي لي شكلها.

شعرت آنا بالألم تجاهه قائلة:

-هي جميلة ونقية وفوق كل ذلك هي سيدة صالحة.

تهللت أساريره فأكملت آنا:

-وتحبك جدًا.

ابتسم لها استراش بامتنان قائلًا:

-شكرًا لكِ.

بادلته الابتسامة وصعدت لغرفتها وهي تقول لأمها:

-لا أحد يوقظني في الصباح.

رددت كوبا بصوت مرتفع:

-لا تنسي تناول طعامك قبل النوم.

دخلت غرفتها وأغلقت الباب خلفها بالمفتاح وجلست على المقعد أمام المنضدة الكبيرة التي يعلوها مخطوطة الشيطان، لتبدأ في قراءة المخطوطة الصفحة تلو الأخرى حتى توقفت عند رسالة عقازئيل وأغلقت فمها دون ترديد للكلمات التي عرفت معناها على الفور دون توضيح،

أكملت المخطوطة إلى أن وصلت لنهايتها مع طلوع الفجر.

نهضت من على المقعد متوجهة لشرفتها تتطلع نحو النهر بحنين كبير، لقد افتقدته كثيرًا في ظل الأحداث المتلاحقة، استنشقت الهواء النقي بصدر مفتوح وهي مغمضة العينين، لتشعر بنعاس شديد مع ظهور أول خيوط للصباح، فالتفتت عائدة لفراشها، لكنها شهقت بفزع حين رأته يقف أمامها، اشتعل جسدها بالغضب الشديد لتدفعه في صدره وهي تصرخ به:

-أيها الشيطان المُخادع اللعين، لن أسامحك أبدًا على ما فعلته بي.

أمسك بكلتا كفيها قائلًا:

-صدقيني أنا لم أخدعك، لقد أحببتك يا آنا.

سحبت كفيها من بين يديه بقوة لتضربه في صدره بقبضتها مرددة:

-أنت كاذب ملعون وأنا حمقاء وغبية، لأنني للحظة صدقتك ولم أستمع لقلبي الذي ظل يُخبرني أنك حقير ولا تستحق الثقة، وكل ما قلته وفعلته لأجل المخطوطة اللعينة.

رفع كلتا يديه باستسلام قائلًا:

-حسنًا اهدأي قليلًا حتى أخبرك ما جئت هنا لأجله.

هزت رأسها بعنف ووضعت راحتيها على أذنها وهي تقول:

-لا أريد سماع مزيد من أكاذيبك.

صاح بها:

-أرجوكِ!

لفت نظرها شيء على المنضدة يعكس نور الشمس بإضاءة غريبة لتتوجه سريعًا نحوه، فوجدته الحجر الزمردي أمسكته قائلة بتوسل:

-أرجوك يا يوناس احضر في الحال!

وجدته أمامها بهيئة بشرية كما رأته في المرة الأولى فحمدت الله على مجيئه لتقف خلف ظهره قائلة:

-لا أريد رؤية هذا الملعون أرجوك أنقذني منه وسيكون هذا آخر طلب لي.

رمقه يوناس بنظرة غاضبة وهو يسأله:

-ما الذي جاء بك إلى هنا بعدما علمت أنها في حمايتي؟!

صك عدار أسنانه بغيظ وقد شعر بالحنق الشديد من احتمائها به ليجيبه:

-جئت كي أحذرها.

اقترب منه يونس لتردد آنا من خلفه:

- كاااذب.

أدار يوناس وجهه نحوها لينظر لها نظرة جعلتها تبتلع لسانها بخوف لم تشعره به تجاه عدار الذي من المفترض أن يكون أكثر رعباً منه، أعاد انتباهه لعدرا مردداً:

-أنا أسمعك.

ورغم شعوره بالضيق من حديثه مع هذا الجني المسلم؛

لكنه مضطر لإجابته عله يستطيع حمايتها من أبيه:

-أبي يريد قتلها.

لم يقدر على إخبارها برغبة أبيه حتى لا تغضب منه أكثر من ذلك فاكتفى بما قاله، شهقت آنا بذعر ليسأله يوناس:

-لماذا؟!

أجابته آنا بوضوح:

-كما قتل جميع عائلتي من سلالة جدي نيبائيل، لأنه قام بحبس هذا الملعون ألف سنة.

هز عدار رأسه بالنفي لينتظر يوناس إجابته التي فطنها على الفور:

-لأنني أحببتك يا آنا.

نظرت لعينيه اللتان تلمعان بضوء رأته مرتين حينما قبلها، لتتحسس شفتيها بسبابتها وهي تحرك رأسها قائلة:

-أخبر هذا اللعين أنه لن يستطيع أن يمس شعرة مني

وسوف أحرق مخطوطتكم هذه ولن تصل ليد بشري وأنا على قيد الحياة.

تطلع لها يوناس بإعجاب شديد بينما ظهر الغضب جليًا على وجه عدار الذي اعترض بتحذير:

-إياك أن تفعليها، وقتها لن يستطيع أحد حمايتك من عقازئيل سوف يقتل ويُعذب كل من تعرفيه، لن يتواني لحظة واحدة عن تعذيبك قبل قتلك.

تنحى يوناس من أمامها حين رأها تخطو نحو عدار بغضب شديد:

-لا تهددني أيها الخائن الكاذب، فسأفعل كل ما قلته ولن أخاف من شياطين مثلكم فأنتم جميعكم ليس لكم سلطان على أي منا.

رمقها بنظرة تحذرية ثم اختفى من أمامها سريعًا قبل أن يعود لهيئته الحقيقة، لتترك آنا جسدها يهوى على المقعد خائرة القوى بعدما استنفزت كل ما تملك من قوة في مواجهته، بدأ جسدها في الارتعاد ليقترب منها يوناس متسائلًا بقلق:

-هل أنتِ بخير؟!

أومأت برأسها، ليطمئنها يوناس قائلًا:

-لا تخافي فأنتي وعائلتك في حمايتنا.

نظرت نحوه بامتنان قائلة:

-أشكرك لحضورك السريع، وأعدك أنني لن أستدعيك ثانية فقد أخبرني السيد آصف ألا أستخدم هذا الحجر سوى مرة واحدة، ولقد جعلتها أنت اثنتين بكرمك فشكرًا جزيلًا لك.

ضيق عينيه بتعجب من ودها الشديد ليبتسم نحوها قائلًا:

-أعتقد أنك لم تستمعي لما قلت، لذلك سأقوله ثانية، أنتِ وعائلتك في حمايتنا حتى تمر هذه الليلة بسلام، ومن بعدها أيضًا إن أردتي.

تعجبت آنا من وده الشديد وتعامله اللطيف معها فهي كانت تعتقد أن الجن غليظون وليسوا بهذا الود، ابتسم يوناس وهو يقرأ بعينيها ما تفكر به ليقول لها:

-أمي إنسية وزوجتي أيضًا.

شهقت آنا بخفة وقد تعجبت لما قاله، ليبتسم لها قائلًا:

-لو مرت الليلة بسلام سأعرفك عليهما.

ذمت آنا شفتيها والدهشة احتلت ملامحها قائلة:

-ألم ينتهِ يوم الثالث عشر؟!

فاجأها يوناس بقوله:

-سينهي عند منتصف الليل.

انتفضت آنا بفزع فهدأها قائلًا:

-استريحي الآن بضع ساعات ولا تقلقي فأنا هنا.

نظرت له بعينين زائغتين ليختفي يوناس من أمامها مرددًا:

-يجب حقًا أن تستريحي وبعدها سأخبرك بما يجب عليكِ فعله.

*****

فتح باب شقته ليدلف بداخلها فوجده يجلس على المقعد يُشبك كفيها بعضها البعض قائلًا:

-ما الذي أخرك هكذا؟!

أجابه استراش وهو يغلق الباب خلفه:

-لقد جئتك على الفور حينما هاتفتني.

وقف عدار يسأله بقلق واضح:

-هل آنا بخير؟!

رفع كتفيه وذم شفتيه قائلًا:

-لا أعرف، لم أراها منذ البارحة، لكنها كانت مشوشة حين رأيتها، وقد جلست معي لتسألني عنك.

تطلع نحوه بغضب قائلًا:

-وما الذي أخبرته به؟!

أجابه:

-لا شيء، قلت لها إنني لا أعرفك.

وبفضول أضناه تسأل:

-هل جلست مع هذا المُسمى إيدين؟!

جلس استراش على المقعد أمامه قائلًا:

-لا، لقد طردته كوبا من المنزل.

ضم كفيه بعضهما ببعض قائلًا:

-وهل عرفت بأمر خيانته؟!

زفر استراش بضيق ليجيبه:

-لا، فهي صعدت لغرفتها فور رجوعها، ولم تخرج منها إلا حينما جلست معي لتسألني عنك.

ثم سأله بتعجب:

-ما سر هذا الاهتمام بآنا؟! أعتقد أن هدفنا كان واضحًا.

ردد عدار:

-الكتاب!

تسأل استراش:

-ما به؟!

أخبره عدار بحنق:

-تريد آنا حرقه.

وقف استراش بغضب:

-ماذاااا؟!

أشار له عدار أن يجلس فأطاعه ستراش ليتساءل بذعر:

-وما الذي يجب علينا فعله؟!

أجابه وهو يحدق:

-إقناعها بما نريده.

ردد استراش:

-وكيف خرجت بالكتاب إذن إن لم تستطع إقناعها؟!

قال له بحزنٍ بالغ:

-لم تكن تعرف حقيقتي وقتها.

تساءل استراش:

-ومن أين عرفت حقيقتك؟!

وقف يزفر بضيق:

-لأنها فتاة ذكية، توقف عن أسئلتك هذه وجد لنا حلاً.

نهض استراش وهو يفكر فيما يفعله، هل يتوسل لها أن تفعل ما أمرها به عدار حتى يرى أمه؟ أم يأخذ هو الكتاب ويسلمه للسلطات وينهي الأمر؟!

أعجبته الفكرة ليقترحها على عدار:

-سأخذ أنا الكتاب وأسلمه للسلطات وأفعل المطلوب.

فكر عدار قليلًا ثم قال له:

-هل ستستطيع أخذ الكتاب منها؟!

توجه ناحية الباب قائلًا:

-لا تقلق سأفعلها بطريقة أو بأخرى.

حذره عدار قبل أن يخرج من باب الشقة:

-احذر من يوناس فقد وعدها أن يحميها حتى منتصف الليلة.

*****

فتحت كوبا باب المنزل لتجد الطارق لم يكن سوى إيدين، تركته يدخل خلفها وتوجهت ناحية مكينة القهوة لتأخذ منها فنجان آنا الكبير وتضعه على الطاولة، لتصعد لغرفتها وهي تحمل الطاولة لتقول له:

-لم تستيقظ بعد.

جلس على المقعد خلفه وهو يجول بعينيه بحثًا عن استراش الذي حين لم يجده تنفس براحة،

استمر في هز قدمه بتوتر لبضع دقائق، حتى هبطت آنا الدرج وهي تتطلع نحوه بحزن عليه، وندم شديد لخيانتها له، فلقد سمحت بدخول قلبها رجل آخر؛ لكنها توقفت لتتردد بعقلها جملة منطقية "لو أحببته لما استطعت أن أعشق رجلًا آخر"، لتصل لنتيجة حتمية "يجب أن نظل أصدقاء مهما حدث".

تأملته بإحساس آخر كانت دومًا تحاربه لتقنع نفسها أنها تحبه وأنه الوحيد الجدير بقلبها، بينما هو تطلع لها وكأنه سيراها للمرة الأخيرة، لقد اشتاق لها بالفعل، جال نظره على جسدها الذي لم يكن ملكه يومًا ولن يكون.

لم ينسَ يومًا أي موقف جمعهما، لم يعشق شيئاً في الحياة مثل ابتسامتها التي لم يرها منذ عادت البارحة، تلاقت أعينهما للحظة؛ لحظة واحدة جعلته يعود بالزمن قبل عشرين عامًا ويزيد، حين رأى عينيها الساحرتان للمرة الأولى ليُصبح أسيرًا لهما منذ ذلك الوقت، نزلت كوبا

خلفها وهي تنظر إليه بحنق ظاهر ليستأذنها إيدين:

-أرجو أن تتركينا بمفردنا قليلًا.

تعجبت آنا من طلبه، لكنها تعجبت أكثر عندما وقفت كوبا لتتوجه لباب المنزل لتخرج منه، فنظرت آنا لإيدين ولأمها مرددة:

-ما الذي يحدث هنا؟!

أشار لها كي تجلس أمامه ففعلت آنا وهي تشعر بالقلق حيال الأمر، ليجلي إيدين صوته وقد أصابته الحيرة في مقتل لتخرج الكلمة من فمه دون أن يعي:

-لقد خنتك يا آنا.

وكأنه صفعها على وجهها بغتة، لم تشعر بالصدمة حيال اعترافه، لكنها شعرت بالألم الشديد لأنه قالها هكذا! وبكل بساطة، دون ذرة ندم!

انعقد لسانها فلم تجد ما تجيبه به سوى التطلع نحوه والانتظار حتى ينتهي، شعر أنها تريد أن تسمع المزيد، ورغم أنه كان يتوقع ردة فعل عنيفة مثل أمها؛ لكن

ثباتها هذا أخافه أكثر، ليُكمل وهو لا يعرف تمامًا ما الذي يجب عليه قوله:

-لم أشعر يومًا أنكِ تحبينني مثلما أحببتك، دائمًا كنت آخر أولوياتك، تمنيت أن أشعر يومًا أنني جزء مهم في حياتك لا تستطيعين الاستغناء عنها.

صمت وهو ينظر لعينيها الخاليتين من أي تعابير، ليتنهد قائلًا:

-لقد أحببتك منذ رأيتك وأنتِ فتاة صغيرة لم تتعلم المشي بعد، منذ أن وقعت عيناي عليكِ وقد علمت.

رفعت آنا كفها أمام وجهه ليصمت منتظرًا، لتسأله هي بوضوح:

-إلى أي مدى وصلت خيانتك؟!

نظرت واحدة من عينيه شرحت لها الأمر، ليناديها برجاء:

-آنا! أرجوكِ لا أريد سوى أن تفهمي ما مررت به، فأنتِ دومًا..

أوقفته ثانية:

-إيدين!

فتوقف عن الحديث وهو ينتظر هجومها عليه أن تنهي علاقتهما بكل بساطة؛ لكنه لم يتوقع أبدًا ما تفوهت به:

-شعورك حقيقي، فأنا بالفعل لم أشعر تجاهك يومًا بأي مشاعر تخالف الصداقة والأخوة.

ضيق عينيه بدهشة لتُكمل:

-وأنت لم تحبني يومًا سوى حب امتلاك لفتاة جميلة، قد فرض عليك القدر أن تظل بجوارها.

ردد إيدين:

-آنا! أنا لم أحب أحداً غيرك.

رفعت زاوية فمها بابتسامة متهكمة وهي تقول له ما كان يجهله:

-لو أحببتني كما تدعي، لن تمس امرأة غيري مهما ساءت الأمور بيننا.

ثم وقفت قائلة:

-أتمنى أن نظل أخوة وأصدقاء للأبد.

وقف قبالتها بحزن بالغ، لتدفع كوبا الباب وتهرول بحذر نحوهما هامسة:

-لقد رأيت استراش يتسلل صاعدًا على أنبوب المياه نحو غرفتك.

رددت آنا بفزع:

-الكذاب!

ركض إيدين على الدرج بسرعة كبيرة لتتبعه آنا ومن خلفهم كوبا، وقفوا أمام باب غرفة آنا وانتظر ثلاثتهم حتى سمعوا صوت النافذة تفتح، وصوت أقدامه الذى وصلهم واضحًا، فتح إيدين باب الغرفة على عجل فوقف استراش بذعر بان على وجهه وهو يلوح لهم بسلاح ناري صغير يحمله بين يديه وهو يقول لهم:

-لا أحد يقترب، وإلا أطلقت النار عليه.

ليتلقى نظرات اللوم من كوبا بينما نظرات آنا مختلفة تمامًا ليقول إيدين:

-لقد قلت لكِ مرارًا إنني لا أثق بهذا الشخص.

تقدمتهم آنا لتحدثه بتفهم:

-هو من بعثك؟!

أجابها بانفعال:

-أنا أريد رؤية أمي، لقد انتظرت قرونًا كثيرة لأجل هذه اللحظة، وأنتِ تريدين ببساطة أن تحرقي الكتاب وتحرقي قلبي معه.

حركت آنا رأسها قائلة:

-أنجيتا لم نثق به قط، ومنذ خطت قدمي لهذه المدينة وهي تحذرني منه بكل طريقة ممكنة.

أكملت وهي تشعر بوخزة في قلبها:

-إنه يخدعك يا استراش كما خدعني.

سمعت همس يوناس:

-تريديني أن أتدخل؟!

بصوت مرتفع أجابته:

-لااا.

نظر إيدين بتعجب نحوها كما فعلت كوبا، ليشعر استراش بالتشوش، فهو يعرف آنا جيدًا، فهي أبدًا لم تكن كاذبة، كما أنه يعرف عدار فهو من رعاه منذ كان رضيعًا ومستحيل أن يخدعه، صرخت كوبا بفزع وهي تشير نحو أفعى وردية تدلف من النافذة المفتوحة خلف استراش، لتهدئها آنا:

-لا تخافي يا أمي.

بينما ظن استراش أنها خدعة منهما حتى ينقضوا عليه فلم يلتفت خلفه وانتظر يرفع السلاح بوجهها، نظرت آنا

للأفعى قائلة:

-تقدمي يا فيرترا.

شعر استراش بها خلفه فلتفت ليجدها بالفعل، وقد بطأت حركتها وعلى وشك أن تموت، أسرعت آنا نحوها لتُمسك بها تحت أنظار أمها وإيدين اللذان فغر فاهما وهما يران الأفعى تلف على صدر آنا وتحدثها بهسيس غريب، استمع له استراش وفهمه ليقع السلاح من يده المرتعشة حين أنهت الأفعى حديثها، لم يستطع تمالك نفسه وخر على ركبتيه ليرتخي جسد الأفعى من على صدر آنا وتسقط أرضًا نافقة!

جلست آنا بجوار استراش المصدوم وهي تُمرر كفها على جلد الأفعى، وقد تساقطت دموعها حزنًا فربطت على كتف استراش قائلة:

-صدقني يا استراش لقد كانت تتمنى أن تنتهي لعنتها لكن مؤكد ليس بهذا الشكل.

تحجرت الدموع بعينيه وحاول الوقوف إلا أنه ترنح وكاد أن يقع فحاولت آنا مساعدته ليدفعها برفق وهو يستند على المنضدة خلفه، ليلتقط السلاح من على الأرض لتتساءل

كوبا عما يحدث، فأشارت لها آنا لتصمت بينما تنهد استراش بألم وهو يقول:

-عدار هو من أخذني وأنا رضيع واعتني بي، كان أبي وأخي وصديقي، لم أرفض له طلبًا يومًا، كنت على استعداد لأن أضحي بحياتي من أجله.

نظر لآنا باستجداء وكأن عدار قد ذبحه كما فعل بأمه ليردد:

-لما فعل ذلك يا آنا؟! هو يعرف أنني عشت هذه السنوات الطواال لأجلها، لأجل أن آراها ولو مرة واحدة، مرة واحدة فقط، لم أكن أطمع في أكثر من ذلك.

جففت آنا دموعها التي تتساقط بغزارة ليُكمل هو:

-دومًا كنت أتوسل إليه أن يدخلني إلى هناك، لقد غضبت منها لأنها دفعتي بالخارج ولم تتركني معها، لماذا تركتني يا آنا؟ أجيبيني؟!

ثم رفع سلاحه ليضعه على رأسه بينما صرخت آنا ومن بعدها كوبا ليتطلع نحو كوبا المفزوعة وهي تترجاه ألا

يفعل، ليقول لها:

-لقد تمنيت يومًا أن تكوني أنتِ أمي، أشكرك على الأيام التي شاركتني بها.

لينتقل بنظراته نحو إيدين قائلًا:

-سامحيني يا إيدين فأنا من أوقعتك بشباك ميلان، بناءً على طلبه.

ثم وجه نظره نحو آنا التي تحرك رأسها بعنف قائلًا:

-لقد أرادك أن تكوني له وحده، لا تتركيه يا آنا احرقي هذا الكتاب الملعون كما نويتِ.

صاحت آنا:

-يونااااس!

صرخ استراش:

-أرجوك لا تفعل، دعني أستريح.

حاول يوناس أن يقنعه بالعدول عن الأمر، لكنه أوهمه أنه يستمع لهمسه ثم ألقى نظرة أخيرة على كوبا، وضغط على الزناد وهو يبتسم.

ركضت كوبا نحوه تبكي بحرقة شديدة جوار جثمانه الذي أصبح ترابًا حين وقع أرضًا بجوار رماد فيرترا، مسحت آنا دموعها بحدة وخطت نحو الكتّاب لتحمله بصعوبة قائلة:

-يوناس، انقلني للدير.

هرول إيدين نحوها وهو يصيح بها:

-لا يا آنا لا تعودي.

بينما انتفضت كوبا بذعر وهي تردد:

-آنااا!!

لكن يوناس قد نقلها بالفعل أمام الباب قائلًا:

-لن أستطيع الولوج، لكن حين تشعرين بالخطرناديني وفي يدك الحجر.

أومأت له برأسها ليؤكد عليها:

-دون الحجر لن أستطيع الدخول.

عادت تلتفت نحوه لتسأله سؤالاً أدركته للتو:

-لماذا لم تنقذ استراش؟!

رفع كتفيه قائلًا:

-ومن قال لكِ إنني لم أحاول؟!

ضمت حاجبيها بحنق مرددة:

- كان باستطاعتك أن تأخذ السلاح من يده.

حاول أن يوضح لها الأمر:

-هذا هو قدره وساعته يا آنا حتى ولو أخذت السلاح من يده كان سينهي حياته حين يخرج من المنزل لقد كان قراره حاسمًا، شعوره بالألم من أجل أمه التي قتلها اللعين الذي اعتبره أباً له كان يفوق احتمال البشر، فنحن أيضًا

نعيش لقرون وللعجب أن جزءاً منا لا يُحب الحياة هكذا أبدًا.

أومأت متفهمة ثم فتحت الباب بعنف ودلفت وفي يدها الثعبان المعدني بيننا يدها الأخرى تقبض على الحجر، ليوقفها يوناس:

-آنا!

التفتت تنظر نحوه ليردد:

-ستكونين بخير.

ابتسمت له بشكر لينغلق الباب خلفها، وضعت الثعبان الصغير مكانه لينفتح الباب على مصرعيه، شعرت بهزة خفيفة تجاوزتها وهي تضم الكتّاب لصدرها متوجهة نحو الممر،

وفجأة ارتعد جسدها حين رأته يقف أمامها، ينظر لها بغضب شديد قائلًا:

-لو فعلتيها ستموتين يا حمقاء!

أجابته بثبات:

-ومن قال إنني أخشى الموت؟!

اقترب منها قائلًا:

-وأنا لن أدعكِ تقتلين نفسك، أنتِ لا تعرفين عقازئيل.

نظرت له باشمئزاز قائلة:

-بل أعرفه جيدًا فهو أقذر مخلوق على وجه هذه الأرض.

حاول أن يقنعها:

-لقد حكم عليَّ أن أقتلك وإلا سيعذبني وسيجنني في أسفل الأرض.

ابتسمت باستهزاء قائلة:

-حسنًا أنا هنا أمامك، اقتلني إذنٍ كما فعلت بأنجيتا وسودا.

صاح بها بغضب:

-لقد قتلت سودا حين هددتني أنها ستمسك بسوء، وقتلت أنجيتا أيضًا حتى لا تجعلك تعودين إلى هنا، أنا قتلت الاثنين من أجلك.

برقت عيناها لتصرخ به بانفعال:

-وخدعت الرجل الذي اعتبرك أباه، وقتلت أمه وجعلته ينهي حياته أمامنا منذ قليل، أيضًا من أجلي!

نظر لها بعدم فهم ليسألها:

-عن من تتحدثين؟!

تقدمت نحوه لتدفعه بالكتاب الذي بيدها لتهدر به:

-أتحدث عن استراش، الذي خدعته لقرون كي يفعل ما تريده أيها اللعين.

أوقفها:

-لحظة! استراش قتل نفسه؟!

لكزته بيدها ثانية وهي تبكي بانفعال:

-نعم أيها الشيطان الحقير لقد قتل نفسه، لم يتحمل خبر قتل أمه على يد من كان يعتبره أباً له.

صك عدار أسنانه وهو يردد:

-غبي!

تركت آنا الكتاب من يدها ليسقط أرضًا وأخرجت قداحة من جيبها، لتشعل النار بيدها بينما وقف عدار مذهولًا ليتوسل لها:

-لا تفعلي يا آنا أرجوكِ، لن أستطيع حمايتك، لا أحد سيستطيع.

الإصرار بعينيها جعله يوقن أنها لن تعود في قرارها، قذفت بالقداحة المشتعلة على الكتاب لتجدها طارت في الهواء وارتطمت بالجدار أمامها ولم تسقط على الكتاب، صُعق عدار عندما عرف بوجودهما!

ظهرا الإثنان بوجههم الدميم لتعود آنا للخلف بفزع شديد،

وقد أصابها التقزز من أشكالهما حتى كادت أن تتقيأ من قوة شعورها بالاشمئزاز منهما، خاصة عندما صدح صوت أحدهما:

-أبي كان يعلم أنك لن تقتلها لذلك بعثنا نحن لنفعل.

وعند هذه الجملة لم تعِ ما حدث سوى أن أحدهم دفعها بقوة لتصطدم في الجدار من خلفها، ويسقط جسدها على الأرض وهي تشعر أن جميع عظامها تكسرت! حتى إنها عجزت عن الصراخ.

رفعت عينيها لترى ما الذي يحدث وكأن جدران الدير تتحطم فوقها، وجدت عدار يسحب أحدهم من ذيله والآخر من قرنيه ويتقاتل الثلاثة بشراسة جعلتها تبحث بعينيها عن القداحة، وجدتها ليست ببعيدة عنها فقررت أن لا تستسلم، حتى وإن ماتت فسوف تموت بعدما أنهت مهمتها.

شعرت بالحجر في جيبها يهتز بشدة فعلمت أن يوناس يريدها أن تستدعيه، مؤكد قد شعر بهؤلاء الشياطين، لم تلتفت له وظلت تزحف على بطنها حتى وصلت للقداحة، ووسط عراكهما المميت أشعلتها وقذفت بها نحو الكتاب الذي ما إن لمس النار حتى أصبح مثل الجحيم يحيل بينها

وبينهم، لتتذكر حين جلس معها يوناس بعد الظهيرة وأعطاها مادة خاصة يجب عليها أن تضعها على الكتّاب ليحترق بسرعة كبيرة يعجز بها عدار أو أبوه عن إنقاذه حتى بلعنة كما فعلا سابقًا.

ابتعد الثلاثة عن الكتّاب بفزع شديد ليختفي الإثنان الدميمان بينما دخل عدار وسط النيران ليعبر تجاهها ركضًا، وقد تساقط جلده البشري ليظهر جسده الحقيقي الدميم مثلهما، أغمضت عينيها حتى لا تراه بهيئته هذه، ليحملها بعيدًا عن النيران التي قد بدأت تطول جسدها، كتمت صرختها المتألمة وهي تسمع جدارن الدير يقع على رؤوس الجميع، وقبل أن يغلبها الألم وتفقد وعيها وصلها صرخات كل من بالداخل.

*****

الخاتمة

رنين المنبه الخاص بها الذي لم يكن موجود سوى بعقلها، جعلها تفتح عينيها بذعر وهي تتطلع حولها، لتجد أمها تهرع نحوها بسعادة قائلة:

-حمداً لله على سلامتك يا حبيبتي.

ثم تركتها وتوجهت للزر الموجود فوق سريرها لتضغطه، شعرت آنا بالعجز الشديد، وأنها لا تستطيع تحريك جسدها رفعت رأسها لتنظر لجسدها المغطى جميعه بالجبائر المتفرقة لتضيق عينيها متسائلة:

-ما كل هذا؟!

دخلت الممرضة للغرفة مبتسمة لآنا وهي تردد:

-حمداً لله على سلامتك أيها البطلة.

رددت بخفوت:

-ماذا فعلت لأصبح بطلة؟!

مررت الفتاة كفها على شعر آنا قائلة:

-أنتِ بطلة ملهمة يا آنا، لقد حاربتي الجميع كي تعيشين بعدما جئت للمشفى، وقد توقف قلبك تمامًا إثر تهدم الدير عليكِ.

ذمت آنا شفتيها ثم نظرت لأمها التي أدارت وجهها لتجفف دموعها، لتقول آنا بابتسامة:

-ما زال لديَّ وقت على هذه الأرض.

ثم وجهت الحديث لأمها:

-أليس كذلك يا أمي؟!

اقتربت منها تُقبل جبهتها وتتضرع لله على عودة ابنتها لها.

*****

مر شهر وآنا ما زالت تسكن المشفى وإيدين لم يتوقف يوماً عن زيارتها والجلوس معها طول الوقت، حتى تعافى جزء كبير من جسدها جعلها تطلب من الأطباء عودتها

لمنزلها، وافق الأطباء بشرط المتابعة المستمرة فوافقت كوبا، وخرجت آنا من المشفي وما زالت تجلس على كرسي متحرك، عادت لغرفتها بشوق وهي تتأمل جدرانها، وكل ما حدث فيها من قبل، تذكرت استراش فدمعت عيناها ودلفت داخل الغرفة تتجول في أركانها بشوق، لتلمح الحجر الزمردي على المنضدة موضوعاً بداخل المطفأة الكرستالية، ابتسمت نحوه بسعادة وتقدمت بكرسيها لتجلبه بصعوبة حتى استطاعت إمساكه، همست بجواره:

-يونااس.

لم تنتظر سوى لحظات قليلة حتى وجدته يقف أمامها بشكله البشري الذي تحبه بشدة، ابتسم لها بود قائلًا:

-لقد سعدت جدًا برؤيتك.

ضحكت له بلطف مرددة:

-وأنا أكثر منك سعادة.

جلس على المقعد أمامها منتظراً أسئلتها الكثيرة لتفاجأه بأولها:

-ماذا حدث لعدار؟

اتسعت ابتسامته قائلًا:

-هل تصدقين أن أبي كان متأكدًا أن هذا سيكون سؤالك الأول قبل ما الذي حدث لي؟!

ضحكت وهي تعض شفتيها ليُكمل بنزق:

-سيكسب الرهان كعادته.

استعاد جديته وهو يُجيبها:

-لقد سجنه عقازئيل، وسمعت أنه يتلقى عذابًا شديداً هناك.

تجعدت ملامح وجهها بألم، ليحرك يوناس رأسه بقلة حيلة قائلًا:

-لو طلب حمايتنا كنا سنفعل لأجلك.

ضمت آنا حاجبيها تتساءل:

-وهل هذا يجوز؟! وهل ستسطيعون حمايته من عقازئيل؟!

أومأ يوناس برأسه قائلًا:

-نعم يجوز لو أعلن إسلامه، فهو في النهاية جن مثلنا، ثم أنتِ تستهنين بقوتنا للغاية.

هزت رأسها قائلة:

-لن يفعلها عدار، فكبرياؤه سيمنعه من فعلها، ثم أنا أعرِف قوتكم جيدًا فيكفي أن عقازئيل لم يستطع الاقتراب مني ثانية.

اعتدل يوناس في مجلسه قائلًا:

-هذه صفة الشياطين جميعهم من الجنسين يا آنا.

ثم قرب وجهه منها ليُكمل:

-لا تدري لعل حبه لكِ يجعله يعود!

رددت بخفوت:

-وحتى إن فعل، فأنا لست مثل أمك أو زوجتك.

قال لها وهو يرفع حاجبه:

-هذا من حسن حظنا.

تصنعها للحزن جعله يضحك لها لتسأله:

-هو من أخرجني من هناك؟!

أجابها:

-نعم، بعدما تعبت من الصراخ بالسوار وجدته يخرج بكِ بعدما أصبح الدير كومة من التراب.

تنهدت براحة ثم نظرة له نظرة يعرفها ليسبقها القول:

-ماذا تريدين؟!

أجابته ببراءة:

-شيء بسيط جدًا.

انتظر طلبها الذي قالته على الفور:

-أريد الذهاب لكتبي.

تعجب يوناس من طلبها ليرمقها بنظرة وهو يشير لوضعها الصحي قائلًا:

-لن تتحملي الدخول هكذا!

قالت له برجاء:

-أريد بشدة مقابلة جدي وآصف، أريد مشورتهما أنا أشعر بالتيه الشديد يا يوناس.

وقف يوناس يمد له يده قائلًا بمزاح:

-حسنًا لا تبكين.

وضعت يديها بين كفه لينتقل بها للغرفة السفلى وقبل أن يتركها ويذهب أوقفته:

-لقد سمعت من الممرضة أنني وصلت المشفى ميتة، هل

تعرف ماذا حدث هناك؟!

حرك رأسه قائلًا:

-بعض المساعدة من أحد حكماء الجن كانت مجدية.

رددت بصوت مرتفع بعد أن اختفى من أمامها:

-شكرًا لكما.

ثم التفتت نحو كتابها الذي تريده وفتحت غلافه ليأخذها الكتاب بداخله وينغلق غلافه السميك خلفها.

*****

تمت بحمد الله.

١/١/٢٠٢٠